مذكرات الرئيس السادات



تحقيق ومراجعة:

أشرف السيد الشربينى

https://www.facebook.com/ashrafLinux

https://www.facebook.com/histoc

ذكريات الأحداث كما سجلها الرئيس السادات منذ تحمل المسئولية([1])

المقدمة التي سجلها السادات:


الرئيس أنور السادات

منذ حوالى منتصف عام ١٩٧٤ قرر الرئيس أنور السادات أن يسجل تاريخ حياة مصر السياسية منذ بدأ يساهم في هذه الحياة إلى أن تحمل المسئولية كاملة بعد وفاة جمال عبد الناصر([2])، ثم ما واجه هذه المسئولية من أحداث وتطورات داخلية وعربية ودولية إلى أن تمت حرب ٦ أكتوبر، ثم ما أعقب الحرب من أحداث.

وقد قال الرئيس أنور السادات في مقدمة هذه التسجيلات:

لا أدرى من أين أبدأ تفاصيل الحياة السياسية المرتبطة بكل أحداث مصر والتي عشتها العمر كله منذ أن تفتح العمر على الإحساس بالمسئولية الوطنية..

وقد فكرت أن أقسم حياتى السياسية إلى ثلاث مراحل:

* المرحلة التي تبدأ بالقرية وعشتها إلى أن تحققت ثورتنا.. ثورة ٢٣ يوليو..

* المرحلة التي تبدأ مع الثورة وتنتهى بوفاة أخ العمر جمال عبد الناصر..

* المرحلة التي تبدأ منذ تحملت المسئولية كرئيس للجمهورية خلفًا لعبد الناصر..

وبعد تفكير طويل اقتنعت بأن أبدأ بالمرحلة التي نعيشها اليوم لأنها أقرب إلى تصوير الواقع، والواقع الذى نعيشه هو الذى يمكن أن يفسر المراحل التي سبقته.. أي أن الواقع هو الذى يضع التفسير الصحيح للتاريخ..

وعندما ينطلق الفكر إلى مراجعة وسرد تفاصيل الواقع أحس بالإشفاق على نفسى وقد اضطرتنى الأحداث إلى تحمل مسئولية هذا الواقع.. فقد تحملت في شبابى مسئولية اتخاذ قرارات وطنية كثيرة، ولكن على قد ما كانت هذه القرارات تمثل عمليات خطيرة إلا أن مسئوليتها كانت دائمًا محصورة في الأفراد القلائل الذين يشتركون في تنفيذ هذا القرار وكان أثره هو المساهمة في العمل الوطنى لا أثر يتعلق به مصير مصر كلها.. وبعد الثورة أصبحت مسئوليتى أقرب إلى مجرد إبداء الرأي،

([1]) الأهرام الخميس ٢٥ سبتمبر ١٩٧٥م - ٢٠ رمضان ١٣٩٥هـ

([2]) جمال عبد الناصر: ولد جمال عبد الناصر حسين في ١٥ يناير ١٩١٨م فى ١٨ شارع قنوات فى حى باكوس الشعبى بالإسكندرية. وفى عام ١٩٤٨ أسس حركة الضباط الأحرار التى قامت بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ضد الملك فاروق وحكم أسرة محمد على.. دعم الثورات العربية فى الجزائر وليبيا واليمن.. إلخ.. وتوفى فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م

وإلى المساهمة في تنفيذ ما يصدره مجلس قيادة الثورة من قرارات حتى انتهاء عمله عام ١٩٥٦ بعد انتخاب جمال عبد الناصر رئيسًا للجمهورية[١] ثم مشاركتى وصحبتى لجمال بعد ذلك.. إلى أن أصبحت مسئولية إصدار القرارات هي مسئوليتى.. وفرق كبير بين مسئولية إبداء الرأي ومسئولية اتخاذ القرارات.. إن مسئولية إبداء الرأي تنعكس عليك وحدك، ومسئولية اتخاذ قرار تنعكس على الأمة كلها..

وقد عانيت وتحملت كثيرًا قبل إصدار كل قرار.. ولم يكن كل ما أعانيه هو تحديد الموقف الذى اتخذه في مواجهة الحدث أو الواقع الذى يواجهنى، ولكن ما كنت أعانيه هو اختيار القرار الذى يعبر عن هذا الموقف.. هل هذا هو القرار الصحيح أم قد يكون قرارًا خاطئًا؟. هل ظلمت أحدً أم كنت محقًا؟ وكنت أقضى أيامًا وليالى طويلة منعزلا صامتًا حتى يخيل للبعض أن ليس هناك مشكلة تشغلنى، ولكنى كنت في هذه الأيام والليالى أعانى أصعب ما يحتاج إليه إنسان مسئول، وهو إقناع النفس إلى أن يصل إلى رضاء الضمير.. وكان هذا هو الأساس الذى اعتمد عليه قبل مواجهة أمتى بالقرار الذى اتخذته.. اقناع نفسى وإرضاء ضميرى.. وهذه هي قمة الراحة النفسية التي يمكن بها أن تتحمل كل ما يعترضك من صعاب، والتي تستطيع بها أن تصر على موقفك وقرارك مهما تجمعت القوى ضدك، حتى لو ضحيت بنفسك في سبيل قرارك..

وقد تحملت المسئولية بعد عبد الناصر ومصر كلها ضائعة ممزقة..

الأرض ضائعة

والحكم ضائع بين عدة قوى متصارعة

وقوة إسرائيل تتحكم في مصيرنا وقوى أجنبية تحاول أن تفرض علينا وصايتها وإرادتها

والفقر.. مصر فقيرة.. كل مصري فقير.. إننا نكاد نستجدى السلاح بل نستجدى لقمة العيش..[٢]

يا رب كيف أواجه كل هذا..

يا رب لا تحملنى أكثر مما أطيق..

---

(١) حسب الاستفتاء الذى أجرى في ٢٣ يونيو ١٩٥٦.. وقد تولى الحكم بعدها يومين في ٢٥ يونيو ١٩٥٦.

(٢) فى عهد عبد الناصر تم بناء أكثر من ١٢٠٠ مصنع.. وبعد هزيمة يونيو ٦٧ تم استكمال بناء السد العالى فى موعده المحدد وبناء مجمع مصانع الألومنيوم فى نجع حمادى. - كان سعر الجنيه المصرى أكثر من اثنين ونصف دولار.. ونسبة البطالة صفر. - قام بحرب الاستنزاف والتى جعلت أمريكا تعرض مبادرة روجرز والتى وافق عليها عبد الناصر واستغل فترة وقف إطلاق النار فى بناء حائط الصواريخ. - أصبحت نسبة البطالة صفر ومرتب خريج الجامعة ١٨ جنيه وجرام الذهب يساوى ٨٠ قرش اى المرتب يساوى بسعر اليوم ١٢ الف جنيه.

يا رب لا تحمل علي أصرًا كما حملته على الذين من قبلنا.. ربى إنى أعيش بما قدرته لى، فأعنى ولا تتخل عنى..

وكنت أتوجه إلى الله وأنا حائر.. من أين أبدأ وكيف أبدأ، إلى أن استعجلت مراكز القوى عملية الصراع فكان أن اتخذت أول قرار رئيس وهو تصفية مراكز القوى المتصارعة التي تعجل لتحطيم الحكم ووقف المسيرة..

ولم يكن هذا القرار سهلا، إن أصعب ما يواجهك عندما تستغنى عن خدمات شخص هو اختيار من يحل محله بحيث لا تترك المركز فارغًا ولو ليوم واحد، ثم القدرة على أن تتخذ موقف القاضي وتصدر حكمك بالإدانة وأنت مقتنع بحكمك مستريح الضمير حتى لو كان هذا الشخص قد سبق أن عرفته وعملت معه، وخلفيات هذا القرار وحده كثيرة وذات أبعاد متشعبة تعود إلى سنوات طويلة قبل أن أتحمل المسئولية كاملة..

ثم كانت معاناة أخرى أقسى وأشد تحملتها مع كثير من الجهد في البحث عن الطريق الصحيح إلى أن اتخذت القرار الرئيسى الثانى، وهو الاستغناء عن الخبراء السوفيت.. ولقد عشت شهورًا وأنا متردد أحاسب نفسى قبل اتخاذ هذا القرار، فمصر في حاجة إلى صداقة الاتحاد السوفيتى فهل أستطيع أن أطور أسلوب وخطوط هذه الصداقة مع الاحتفاظ بها.. وقد كان هناك ما هو أقوى من ترددى، كان الأقوى هو إحساسى الوطنى بمصر، ولا أستطيع أن أكون ابنًا لمصر يتحمل مسئوليتها ومصر تحتلها إسرائيل دون أن نتحرك ودون أن نحارب.. ولهذا اتخذت قرار الاستغناء عن الخبراء السوفيت بخلفياته الحساسة الرهيبة التي لن أستطيع أن أذكر منها هنا إلا أقل القليل تاركًا كامل التفاصيل مسجلا على الأشرطة.. اتخذت هذا القرار لأحارب وأنا كامل الاقتناع مرتاح الضمير..

ثم اتخذت قرار الحرب..

إن أحدًا لا يستطيع أن يُقدر المعاناة التي يتعرض لها المسئول عن اتخاذ قرار الحرب، ولقد عشت حياتى كضابط يعيش الحرب أو يعد نفسه للحرب، واتخذت بعيدًا عن الجيش قرارات لعمليات وطنية تقوم على إطلاق النار، ولكن كل هذا لا يُقاس بمسئولية اتخاذ قرر حرب تشمل الأمة كلها، والجيش كله.. إن كل فرد سأدفعه بيدى إلى خط النار، وكل فرد قد يصبح شهيدًا كما أصبح أخى عاطف[1]..

ثم من يضمن نتيجة هذه الحرب.. لا أحد يستطيع أن يضمن نتيجة أي حرب.. الله وحده..

([1]) محمد عاطف أنور السادات: الشقيق الأصغر للرئيس السادات.. ولد فى ١٣ مارس ١٩٤٨م.. وتخرج من الكلية الجوية عام ١٩٦٦م وأمضى عامين فى الاتحاد السوفيتى ضمن برنامج تدريبى على المقاتلات الجوية، وفى عامى ١٩٦٩ و١٩٧٠ شارك فى أول عمليات هجومية للقوات الجوية المصرية ضد المواقع الإسرائيلية فى اتجاه سيناء.. واستشهد فى حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣م.

ورغم ذلك فهناك دائمًا الدافع الأقوى من كل شيء.. دافع الإحساس بمصر، وما تريده مصر، واثبات وجود مصر..

مصر لا تزال تعيش ولا تزال قادرة على الحرب.. ولقد كنت ولا أزال أثق ثقة كاملة في قواتنا المسلحة، وبعد تحليلى الدقيق لمعركة ١٩٦٧ بكل ما فيها من مرارة أصبحت أثق في أن قواتنا المسلحة كانت ضحية من ضحايا الهزيمة وليست أبدًا سببًا لها، وسأروى كيف اجتمعت بأبنائنا الضباط والجنود بعد أن أفاقت مصر من ذهول لهزيمة في ١٩٦٧ لأكتشف هذه الحقيقة ليس فقط من فوق أرض المعركة. وإنما أيضًا من على أرض الوطن كله.. وكان هذا الدافع وحده هو ما يؤيد قرار الإعداد للحرب وهو الذى دفع رجالنا إلى الحرب وكان كلا منهم قد اتخذ لقرار بنفسه.. كل منهم يحارب لأنه يريد الحرب لا لأنه ينفذ قرارًا بالحرب.. وكان هذا هو ما حقق معجزة العبور..

وسأسجل تفاصيل كل هذه الأحداث في مذكراتى..

ولكن..

هل كنت أستطيع وسط كل ما يحيط بى من مسئوليات أن أجد الوقت الذى يسمح لى بأن أجلس لأكتب هذا التاريخ وكل هذه الذكريات.. إنها مهمة تحتاج إلى تفرغ كامل لا حق لى فيه إلا بعد أن يتسلم المسئولية من يتحملها بعدى.. وفى الوقت نفسه فإن تسجيل هذا التاريخ هو أيضًا مسئولية مفروضة على تجاه الجيل المسئول معى، والجيل الذى جاء بعدنا وبدأ هو الآخر يواجه المسئولية، ثم أيضًا تجاه جيل المستقبل، لأنها كلها أحداث ووقائع نعيشها يومًا بيوم، وكل يوم فيها مرتبط باليوم الذى سبقه واليوم الذى يأتي بعده..

وكانت الوسيلة الوحيدة أمامى هي أن أسجل على أشرطة تسجيل، لأنها وسيلة لا تتطلب الوقت الطويل الذى تتطلبه الكتابة بالقلم.. ورغم ذلك استغرقت وقتًا طويلا.. ليالى طويلة كثيرة كنت أشدها من خلال زحمة العمل لأجلس وأسجل، حتى أستغرق التسجيل عشرات الأشرطة، ولم أنته بعد من المرحلة التي حددتها وهى مرحلة الواقع الذى عشته منذ أن تحملت المسئولية كاملة..

وقد كنت خلال التسجيل أعتمد اعتمادًا كاملا على ذكرياتى مكتفيًا بالإشارة إلى الوثائق التي يمكن الرجوع إليها لتأكيد هذه الذكريات.. والاعتماد على الذكريات يفرض الانتقال غير المنظم بين الأحداث ويجعل التسلسل المنظم أمرًا مستحيلا لأن مجرد كلمة واحدة ترد على خاطرك قد تنقلك إلى ذكريات حادث آخر تنتهى من روايته لتعود مرة أخرى إلى الكلمة التي ذكرتك بهذا الحادث لذلك خطر لى أن أحتفظ بهذه الذكريات مسجلة على الأشرطة إلى أن أجد الوقت لأعيد تسجيلها مسلسلة تسلسلا مدروسًا في كتاب ولكننى وجدت أنها أوسع من أن يضمها كتاب واحد، إنها

تحتاج إلى أكثر من كتاب وقد يحتاج إعدادها إلى شهور، في الوقت الذى أحس فيه بأن من حق الرأي العام الداخلى والعالمى أن يعرف كل تفاصيل الواقع الذى وصلنا إليه ونعيشه..

ومن هنا خطر لى خاطر ربما يعتبر حدثًا جديدً بالنسبة لوسائل العرض على الرأي العام.. ولم يسبق إليه أي مسئول في نشر مذكراته، وهو أن أترك ما سجلته على الأشرطة يُنقل إلى كلمات يضمها كتاب.. وهى بذلك تكون أقرب إلى تسجيل يوميات شخصية خاصة مع ما يضمه كل يوم من أحداث مختلفة ومواضيع متعددة، ثم أترك هذه اليوميات بعد جمعها في كتب إلى كل من يجد في نفسه القدرة على البحث أو الدرس كى يستجمع وثائقها وتفاصيل أحداثها ليضمها في كتاب آخر..

وأرى أن أشير في هذه الكلمة إلى أنى أحتفظ ببعض ما سجلته على الأشرطة بعيدًا عن النشر، حرصًا على المصلحة القومية العليا تجاه بعض الدول وليس هناك داع لإثارتها والتعرض لها من جديد خلال الظروف التي نمر بها ونعيشها اليوم، ولكنها كلها ستبقى مسجلة بحيث تُنشر إذا جد ما يدعو إلى نشرها أو ينشرها غيرى عندما تصبح ملكًا للتاريخ.

***

هذه هي الكلمة التي سجلها الرئيس السادات في مقدمة تسجيلاته التي استغرقت حتى الآن عشرة أشرطة كل شريط على وجهين ولم تنته بعد..

وفى مناسبة ذكرى وفاة جمال عبد الناصر وانتقال المسئولية إلى الرئيس أنور السادات استطاع "الأهرام" أن يستأذن سيادته في نشر جزء مما جاء في الشريط الأول الذى سجله ورى فيه ذكريات الأحداث الواقعة والاتجاهات السياسية التي شهدتها هذه الأيام..

ذكريات الأحداث كما سجلها الرئيس السادات منذ تحمل المسئولية

منذ حوالى منتصف عام ١٩٧٤ قرر الرئيس أنور السادات أن يسجل تاريخ حياة مصر السياسية منذ بدأ يساهم فى هذه الحياة الى أن تحمل المسئولية كاملة بعد وفاة جمال عبد الناصر ، ثم ما واجه هذه المسئولية من أحداث وتطورات داخلية وعربية ودولية الى أن تمت حرب ٦ أكتوبر ، ثم ما أعقب الحرب من أحداث .

وقد قال الرئيس أنور السادات فى مقدمة هذه التسجيلات :

المقدمة التى سجلها السادات :

كان هناك ماهو أقوى من التردد وأقوى من المفاجأة

من السهل أن تقول رأيك ومن الصعب أن تتخذ قرارا

لا ادرى من اين ابدأ سرد تفاصيل الحياة السياسية المرتبطة بكل احداث مصر والتى عشتها العمر كله منذ ان تفتح العمر على الاحساس بالمسئولية الوطنية ..

وقد فكرت ان اقسم حياتى السياسية الى ثلاث مراحل :

- ☐ المرحلة التى تبدا بالقرية وعشتها الى ان تحققت ثورتنا .. ثورة ٢٣ يوليو ..
- ☐ المرحلة التى تبدأ مع الثورة وتنتهى بوفاة اخ العمر جمال عبد الناصر ..
- ☐ المرحلة التى تبدا منذ تحملت المسئولية كرئيس للجمهورية خلفا لعبد الناصر ..

وبعد تفكير طويل اقتنعت بان ابدا بالمرحلة التى نعيشها اليوم لانها اقرب الى تصوير الواقع ، والواقع الذى نعيشه هو الذى يمكن ان يفسر المراحل التى سبقته .. أى ان الواقع هو الذى يضع التفسير الصحيح للتاريخ ..

وعندما ينطلق الفكر الى مراجعة وسرد تفاصيل الواقع احس بالاشفاق على نفسى وقد اضطرتنى الاحداث الى تحمل مسئولية هذا الواقع .. فقد تحملت فى شبابى مسئولية اتخاذ قرارات وطنية كثيرة ، ولكن على قدر ما كانت هذه القرارات تمثل عمليات خطيرة الا ان مسئوليتها كانت دائما محصورة فى الافراد القلائل الذين يشتركون فى تنفيذ هذا القرار وكان اثرها هو المساهمة فى العمل الوطنى لا اثر يتعلق به مصير مصر كلها .. وبعد الثورة اصبحت مسئوليتى اقرب الى مجرد ابداء الراى ، والى المساهمة فى تنفيذ ما يصدره مجلس قيادة الثورة من قرارات حتى انتهاء عمله عام ١٩٥٦ بعد انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية ثم مشاركتى وصحبتى لجمال بعد ذلك .. الى ان اصبحت مسئولية اصدار القرارات هى مسئوليتى .. وفرق كبير بين مسئولية ابداء الراى ومسئولية اتخاذ القرارات .. ان مسئولية ابداء الراى تنعكس عليك وحدك ، ومسئولية اتخاذ قرار تنعكس على الامة كلها ..

وقد عانيت وتحملت كثيرا قبل اصدار كل قرار .. ولم يكن ما اعانيه هو تحديد الموقف الذى اتخذه فى مواجهة الحدث او الواقع الذى يواجهنى ، ولكن ما كنت أعانيه هو اختيار القرار الذى يعبر عن هذا الموقف .. هل هذا هو القرار الصحيح ام قد يكون قرارا خاطئا ؟ . هل ظلمت احدا ام كنت محقا ؟ وكنت اقضى اياما وليالى طويلة منعزلا صامتا حتى يخيل للبعض ان ليس هناك مشكلة تشغلنى ولكنى كنت فى هذه الايام والليالى اعانى اصعب ما يحتاج اليه انسان مسئول ، وهو اقناع النفس الى ان يصل الى رضاء الضمير .. وكان هذا هو الاساس الذى اعتمد عليه قبل مواجهة امتى بالقرار الذى اتخذته .. اقناع نفسى وارضاء ضميرى .. وهذه هى قمة الراحة النفسية التى يمكن بها ان تتحمل كل ما يعترضك من صعاب ، والتى تستطيع بها ان تصر على موقفك وقرارك مهما تجمعت القوى ضدك ، حتى لو ضحيت بنفسك فى سبيل قرارك ..

وقد تحملت المسئولية بعد عبد الناصر ومصر كلها ضائعة ممزقة ..

الارض ضائعة

والحكم ضائع بين عدة قوى متصارعة

وقوة اسرائيل تتحكم فى مصيرنا



الرئيس انور السادات

وقوى اجنبية تحاول ان تفرض علينا وصايتها وارادتها

والفقر .. مصر فقيرة .. كل مصرى فقير .. اننا نكاد نستجدى السلاح بل نستجدى لقمة العيش ..

يارب كيف اواجه كل هذا ..

يارب لا تحملنى اكثر مما اطيق ..

يارب لا تحمل على اصرا كما حملته على الذين من قبلنا .. رب انى اعيش بما قدرته لى ، فاعنى ولا تتخل عنى ..

وكنت اتوجه الى الله وانا حائر .. من اين ابدا وكيف ابدا ، الى ان استعجلت مراكز القوى عملية الصراع فكان ان اتخذت اول قرار رئيسى وهو تصفية مراكز القوى المتصارعة التى تعمل لتحطيم الحكم ووقف المسيرة ..

ولم يكن هذا القرار سهلا ، ان اصعب ما يواجهك عندما تستغنى عن خدمات شخص هو اختيار من يحل محله بحيث لا تترك المركز فارغا ولو ليوم واحد ، ثم القدرة على ان تتخذ موقف القاضى وتصدر حكمك بالادانة وانت مقتنع بحكمك مستريح الضمير حتى لو كان هذا الشخص قد سبق ان عرفته وعملت معه ، وخلفيات هذا القرار وحده كثيرة وذات ابعاد متشعبة تعود الى سنوات طويلة قبل ان انحمل المسئولية كاملة ..

ثم كانت معاناة اخرى اقسى واشد

[البقية صفحة ٣]

الصفحة الأولى

ذكريات الأحداث كما سجلها الرئيس السادات منذ تحمل المسئولية بقية

● مايعانيه المسئول عن اتخاذ قرار الحرب

● ليس كل ما سجلته يمكن أن ينشر

● يارب انى أعيش بما قدرته لى فلا تتخل عنى

تحملتها مع كثير من الجهد فى البحث عن الطريق الصحيح الى ان اتخذت القرار الرئيسى الثانى ، وهو الاستغناء عن الخبراء السوفيت ..

ولقد عشت شهورا وانا متردد احاسب نفسى قبل اتخاذ هذا القرار ، فمصر فى حاجة الى صداقة الاتحاد السوفيتى فهل استطيع ان اطور اسلوب وخطوط هذه الصداقة مع الاحتفاظ بها .. وقد كان هناك ماهو اقوى من ترددى ، كان الاقوى هو احساسى الوطنى بمصر ، ولا استطيع ان اكون ابنا لمصر يتحمل مسئوليتها ومصر تحتلها اسرائيل دون ان نتحرك ودون ان نحارب .. ولهذا اتخذت قرار الاستغناء عن الخبراء السوفيت بخلفياته الحساسة الرهيبة التى لن استطيع ان اذكر منها هنا الا اقل القليل تاركا كامل التفاصيل مسجلا على الاشرطة .. اتخذت هذا القرار لاحارب وانا كامل الاقتناع مرتاح الضمير ..

ثم اتخذت قرار الحرب ..

ان احدا لا يستطيع ان يقدر المعاناة التى يتعرض لها المسئول عن اتخاذ قرار الحرب ، ولقد عشت حياتى كضابط يعيش الحرب او يعد نفسه للحرب ، واتخذت بعيدا عن الجيش قرارات لعمليات وطنية تقوم على اطلاق النار ، ولكن كل هذا لا يقاس بمسئولية اتخاذ قرار حرب تشمل الامة كلها ، والجيش كله .. ان كل فرد سادفعه بيدى الى خط النار ، وكل فرد قد يصبح شهيدا كما اصبح اخى عاطف ..

ثم من يضمن نتيجة هذه الحرب .. لا أحد يستطيع ان يضمن نتيجة اى حرب .. الله وحده ..

ورغم ذلك فهناك دائما الدافع الاقوى من كل شىء .. دافع الاحساس بمصر ، وما تريده مصر ، واثبات وجود مصر ..

مصر لا تزال تعيش ولا تزال قادرة على الحرب .. ولقد كنت وما ازال اثق ثقة كاملة فى قواتنا المسلحة ، وبعد تحليلى الدقيق لمعركة ١٩٦٧ بكل ما فيها من مرارة اصبحت اثق فى ان قواتنا المسلحة كانت ضحية من ضحايا الهزيمة وليست ابدا سببا لها ، وساروى كيف اجتمعت بابنائنا الضباط والجنود بعد ان افاقت مصر من ذهول الهزيمة فى ١٩٦٧ لاكتشف هذه الحقيقة ليس فقط من فوق ارض المعركة ، وانما ايضا من على ارض الوطن كله .. وكان هذا الدافع وحده هو ما يؤيد قرار الاعداد للحرب وهو الذى دفع رجالنا الى الحرب وكان كل منهم قد اتخذ القرار بنفسه .. كل منهم يحارب لانه يريد الحرب لا لانه ينفذ قرارا بالحرب .. وكان هذا هو ما حقق معجزة العبور ..

وساسجل تفاصيل كل هذه الاحداث فى مذكراتى ..

ولكن ..

هل كنت استطيع وسط كل ما يحيط بى من مسئوليات ان اجد الوقت الذى يسمح لى بان اجلس لاكتب هذا التاريخ وكل هذه الذكريات .. انها مهمة تحتاج الى تفرغ كامل لاحق لى فيه الا بعد ان يتسلم المسئولية من يتحملها بعدى .. وفى الوقت نفسه فان تسجيل هذا التاريخ هو ايضا مسئولية مفروضة على تجاه الجيل المسئول معى ، والجيل الذى جاء بعدنا وبدأ هو الآخر يواجه المسئولية ، ثم ايضا تجاه جيل المستقبل ، لانها كلها احداث ووقائع نعيشها يوما بيوم ، وكل يوم فيها مرتبط باليوم الذى سبقه واليوم الذى يأتى بعده ..

وكانت الوسيلة الوحيدة امامى هى ان اسجل على اشرطة تسجيل ، لانها وسيلة لا تتطلب الوقت الطويل الذى تتطلبه الكتابة بالقلم .. ورغم ذلك استغرقت وقتا طويلا .. ليالى طويلة كثيرة كنت اشدها من خلال زحمة العمل لاجلس واسجل ، حتى استغرق التسجيل عشرات الاشرطة ، ولم انته بعد من المرحلة التى حددتها وهى مرحلة الواقع الذى عشته منذ ان تحملت المسئولية كاملة ..

وقد كنت خلال التسجيل اعتمد اعتمادا كاملا على ذكرياتى مكتفيا بالاشارة الى الوثائق التى يمكن الرجوع اليها لتاكيد هذه الذكريات .. والاعتماد على الذكريات يفرض الانتقال غير المنظم بين الاحداث ويجعل التسلسل المنظم امرا مستحيلا لان مجرد كلمة واحدة ترد على خاطرك قد تنقلك الى ذكريات حادث آخر تنتهى من روايته لتعود مرة اخرى الى الكلمة التى ذكرتك بهذا الحادث ..

لذلك خطر لى ان احتفظ بهذه الذكريات مسجلة فى الاشرطة الى ان اجد الوقت لاعيد تسجيلها مسلسلة تسلسلا مدروسا فى كتاب ..

ولكننى وجدت انها اوسع من ان يضمها كتاب واحد ، انها تحتاج الى أكثر من كتاب وقد يحتاج اعدادها الى شهور ، فى الوقت الذى احس فيه بان من حق الراى العام الداخلى والعالمى ان يعرف كل تفاصيل الواقع الذى وصلنا اليه ونعيشه ..

ومن هنا خطر لى خاطر ربما يعتبر حدثا جديدا بالنسبة لوسائل العرض على الراى العام .. ولم يسبق ليه اى مسئول فى نشر مذكراته ، وهو ان اترك ما سجلته على الاشرطة ينقل الى كلمات يضمها كتاب .. وهى بذلك تكون أقرب الى تسجيل يوميات شخصية خاصة مع ما يضمه كل يوم من احداث مختلفة ومواضيع متعددة ، ثم اترك هذه اليوميات بعد جمعها فى كتاب الى كل من يجد فى نفسه القدرة على البحث او الدرس كى يستجمع وثائقها وتفاصيل احداثها ليضمها فى كتاب اخر ..

وارى ان اشير فى هذه الكلمة الى انى احتفظ ببعض ما سجلته على الاشرطة بعيدا عن النشر ، حرصا على المصلحة القومية العليا تجاه بعض الدول وليس هناك داع لاثارتها والتعرض لها من جديد خلال الظروف التى نمر بها ونعيشها اليوم ، ولكنها كلها ستبقى مسجلة بحيث تنشر اذا جد ما يدعو الى نشرها او ينشرها غيرى عندما تصبح ملكا للتاريخ ..

• • •

هذه هى الكلمة التى سجلها الرئيس السادات فى مقدمة تسجيلاته التى استغرقت حتى الان عشرة اشرطة كل شريط على وجهين ولم تنته بعد ..

وفى مناسبة ذكرى وفاة جمال عبد الناصر وانتقال المسئولية الى الرئيس انور السادات استطاع « الاهرام » ان يستأذن سيادته فى نشر جزء مما جاء فى الشريط الاول الذى سجله وروى فيه ذكريات الاحداث الواقعية والاتجاهات السياسية التى شهدتها هذه الايام ..

غدا

يواصل الرئيس السادات رواية مذكراته

الصفحة الثالثة

الأهرام الخميس ٢٥ سبتمبر ١٩٧٥م - ٢٠ رمضان ١٣٩٥هـ

ذكريات الأيام الأولى بعد وفاة عبد الناصر[١]

رغم أني كنت أعلم كل تفاصيل مرض جمال عبد الناصر وكنت متتبعًا لكل تطورات حالته الصحية، ورغم أني كنت أعلم مدى الخطورة التي تحيط به وأتكتم الحديث عنها وأتعهد إخفاءها منذ هزيمة ٥ يونيو وانقلاب مرض السكر إلى مرض حساس داهمه في نوفمبر ٦٧، ثم عقب السيطرة على مرض السكر الذى ما لبث أن شفي به[٢]، داهمته الآلام المبرحة لأعصاب وشرايين ساقيه التي ما إن شفي منها حتى داهمته أول أزمة قلبية عنيفة في سبتمبر ٦٩ أي قبل وفاته بعام واحد، رغم كل ذلك، إلا أني لم أكن أنتظر أبدًا موته.. كانت وفاته مفاجأة عنيفة لي لم أحسب أبدًا حسابها، ربما لأن عبد الناصر كان بالنسبة لنا قد أصبح واقعًا مستمرًا لا يمكن أن يتغير مهما تطورت الحياة به ومن حوله، بل إني كنت مؤمنًا بأن عبد الناصر سيبقى بعدى وبعد كل المحيطين به، فقد كانت شخصيته تبدو لنا دائمًا قوية راسخة إلى حد أن نتصورها أقوى من المرض، ولذلك لم أكن أحسب أبدًا حساب الفراغ الهائل الذى يمكن أن تتركه وفاة عبد الناصر، ولم يخطر على بالي أبدًا أني سأجد نفسي يومًا مضطرًا لحمل مسئولية هذا الفراغ..

وقد رحل جمال عبد الناصر مساء يوم الاثنين ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠[٣]، وهو نفس اليوم الذى شهد نهاية مؤتمر القمة العربى الذى عُقِد في القاهرة لوضع حد لمعركة سبتمبر أو معركة أيلول التي وقعت بين الفدائيين الفلسطينيين والحكومة الأردنية، وكالعادة كان عبد الناصر - كرئيس للدولة المضيفة - يقوم بتوديع الملوك والرؤساء العرب في مطار القاهرة الدولى عند مغادرتهم لمصر عائدين إلى بلادهم، وكان الملك فيصل رحمه الله - وأمير الكويت آخر من قام عبد الناصر بتوديعهما.

وعند وداع الملك فيصل[٤] لاحظ كبير الياوران سعد متولى[٥] - أثناء سيره المعتاد خلف جمال - أن ساقى جمال قد التفتا على بعضهما البعض وكان الاعتقاد السائد ساعتها أن هذا ربما كان سببه الإرهاق الشديد الذى أصاب جمال بسبب التوتر البالغ الذى ساد جو المؤتمر، وسببه أيضًا المجهود الكبير الذى بذله ليوقف المزيد من إراقة

---

(١) الأهرام الخميس ٢٦ سبتمبر ١٩٧٥م - ٢١ رمضان ١٣٩٥هـ

(٢) السكر مرض مزمن ليس له علاج.

(٣) ٢٧ رجب ١٣٩٠هـ (ليلة الإسراء والمعراج).

(٤) فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود: ولد ١٤ أبريل ١٩٠٦م.. تولى حكم المملكة العربية السعودية من ٢ نوفمبر ١٩٦٤م حتى تم اغتياله فى ٢٥ مارس ١٩٧٥م.

(٥) سعد الدين متولى: كبير الياوران

الدماء العربية بين الفلسطينيين والأردنيين. وكان وجه جمال في ذلك اليوم ينطق بالحاجة المُلِحة إلى الراحة والاستجمام. وكنت أعلم جيدًا أن الإسكندرية هي المكان الوحيد الذى يمنح جمال راحته المنشودة جسميًا ونفسيًا.

لم أقل لجمال أن كبير الياوران سعد متولى قد أخبرنى بأن ساقيه التفتا على بعضها البعض. ولكنى قلت له إن الإرهاق واضح تمامًا على وجهه، وأنه من الأفضل أن يذهب لقضاء فترة بالإسكندرية يستعيد فيها نشاطه وحيويته، وبالفعل اتصلت بمحمد أحمد[1] الذى كان يعمل سكرتيرًا خاصًا للرئيس وطلبت منه أن يستعد لسفرنا في صباح اليوم التالى إلى الإسكندرية[2]، ولكى لا يجهد جمال نفسه أكثر من اللازم اقترحت عليه أن أقوم أنا بتوديع أمير الكويت[3] نيابة عنه فهو صديق شخصى لى، وكنت واثقًا من أنه سيقبل اعتذار جمال لمرضه، ولكن جمال قرر توديع أمير الكويت بنفسه خاصة وأنه كان آخر الملوك والرؤساء العرب الذين غادروا مصر بعد انتهاء مؤتمر القمة، ويمكن أن يستريح بعد ذلك.

ولم أستطع أن أثنى جمال عن عزمه، برغم تحامله الواضح على نفسه بعد توديعه للملك فيصل، وسار مع أمير الكويت حتى الطائرة، ثم صعد الأمير الطائرة، وكما هو المعتاد في المراسم، تحركنا بعيدًا عن الطائرة إيذانًا ببدء تحركها حتى نلوح مودعين للضيف المسافر وفى تلك اللحظة لم يستطع جمال أن يتحرك بعيدًا عن الطائرة إلى المكان الذى يستطيع أن يلوح منه مودعًا لأمير الكويت، كان العرق يتصبب بغزارة من وجهه الذى اتشح باللون الأصفر، تسمرت قدماه بالأرض وكان يبدو أنه يبذل جهدًا كبيرًا في مقاومة الإعياء حتى لا يقع في وقفته، وطلب العربة لكى تأتى إلى حيث كان واقفًا، وبالفعل جاءت مسرعة واستقلها دون أن ينتظر ليلوح لأمير الكويت.

وقبل أن تغادر عربته أرض المطار، أخبرته بسفرنا في اليوم التالى إلى الإسكندرية وكان كل فكرى أن المسألة مجرد إرهاق شديد، ووافق جمال وأوصانى ببعض الوزراء الكويتيين الذين كانوا معنا بالمطار لكى نرعى راحتهم ونبحث بعض الأمور معهم، ثم غادرت عربة جمال المطار مسرعة إلى منزله وقمت بالتأكيد على محمد أحمد للقيام بالإجراءات اللازمة لانتقال جمال إلى الإسكندرية، وبعد ذلك انتظرت ومعى المودعون حتى لوحنا لأمير الكويت الذى سافر إلى بلده..

([1]) محمد أحمد السكرتير الخاص للرئيس جمال عبد الناصر ولد فى ٢٨ مايو ١٩٢١م وتوفى الخميس ٨ أغسطس ٢٠٠٢م.

([2]) يذكر سامى شرف فى الجزء الخامس من مذكراته بأنه فى ذلك اليوم كان محمد أحمد متغيبًا وكان الرئيس قد أعطاه الإذن بالتغيب لحضور حالة وضع لزوجته.. بينما حل مكانه السكرتير الخاص المناوب فؤاد عبد الحى.

([3]) الشيخ صباح السالم الصباح أمير الكويت: ولد ١٢ أبريل ١٩١٣م وتولى إمارة الكويت فى ٢٤ نوفمبر ١٩٦٥م حتى وفاته فى ٣١ ديسمبر ١٩٧٧م.

عدت من المطار إلى منزلى، وكنت في ذلك الوقت قد خصصت غرفة لى بالدور الأول للراحة والاستجمام والقراءة.. دخلت الغرفة لأرتاح من عناء اليوم وأخبرتهم بالمنزل بأن يوقظونى حوالى الساعة السابعة مساء، وكنت بدورى في أشد الحاجة للراحة بعد مجهود الأسبوع السابق ومشاركتى لجمال في أعباء المؤتمر، خاصة وأننى كنت قد شفيت حديثًا من نوبة قلبية أصابتنى في صيف عام ١٩٧٠، وهى نفس التوبة التي أصابتنى قبل ذلك عام ١٩٦٠، ولكننى - والحمد لله - شفيت منها تمامًا، وقبل أن أغفوا اتصل بى محمد أحمد تليفونيًا وأخبرنى أن الرئيس جمال سيزورنى مساء لتناول العشاء معى، وكنا في السنة الأخيرة قبل موته قد تعودنا أن نتبادل الزيارات معًا سواء عندى أو عنده، كنا نقضى الأمسيات والجلسات الطويلة نناقش كل الأمور والمتاعب والمشكلات.

طلبت منهم بالمنزل أن يوقظونى مبكرًا قليلا لأن الرئيس جمال سيأتى لتناول العشاء معى، ثم غفوت، وأيقظونى حوالى الساعة السادسة والنصف أو السابعة، لا أذكر على وجه التحديد.

وقالوا أن منزل الرئيس جمال اتصل تليفونيًا، وأننى مطلوب هناك لأمر هام.

قلت لهم: خير. قالوا إن الرئيس متعب قليلا، ولكن كل شيء على ما يرام، وغادرت المنزل في طريقى إلى منشية البكرى حيث يقع منزل جمال. وصعدت فورًا إلى الدور العلوى حيث كان هناك الكابوس يجثم على كل شيء.

لقد مات جمال عبد الناصر، مات منذ ساعة والأطباء يحيطون بسريره، والوجوه واجمة أو باكية والمشهد لوحة من دموع وتأوهات وتشنجات، غطوا وجه جمال بملاءة، وإذ بى أجد نفسى وأنا أكشف عن وجهه.

لقد مات كثيرون من قبل بين يدى، منهم أمى رحمها الله ومن خبرتى أعلم أن وجه الميت يتغير بعد عشر دقائق أو ربع ساعة على أكثر تقدير، لكن عندما كشفت عن وجه جمال، كان طبيعيًا جدًا، كأنه نائم تمامًا، ليس هذا فقط بل أننى ألصقت خدى بخده، ولم تكن هناك برودة الموت المعروفة، نظرت إلى الأطباء حائرً وقلت أنه من المستحيل أن يكون قد مات..

قل الأطباء أنهم تأكدوا من وفاته منذ ساعة مضت، وأنهم قاموا بكل الإسعافات اللازمة وغيرها من الإجراءات الضرورية مثل جهاز القلب الذى يرسل صدماته إلى القلب لكى ينشطه. ولكنها كانت نوبة قلبية شديدة وضعت حدًا لحياته، وجلبت معها الكابوس الجاثم على كاهل الجميع، لم أستطع أن أصدق هذه الحقيقة المفجعة، فطلبت من الأطباء أن يحاولوا مرة أخرى وكان الرد الوحيد هو الدموع، ومن خلال الدموع علمت أنهم شرعوا في محاولاتهم منذ ساعتين، وكان قد مات في الساعة الأخيرة. وتأكد الجميع أن جمال عبد الناصر قد مات.

حقيقة مفجعة ورهيبة، ولكن لا مفر من قبولها، ولا مفر أيضًا من سرعة استجماع القوة في مثل هذه المواقف حتى لا يفلت زمام الأمور، خاصة وأنها تتعلق بمصير أمة في مفترق الطرق وليس بمصير فرد اختاره الله عز وجل إلى جواره.

فكرت في الحال وأدركت أن بقاء الجثمان في البيت مسألة صعبة قد لا تحتملها عائلته، وأيضًا فإن جمال ليس شخصية عادية، فهو زعيم سجل تاريخًا جديدًا لمصر، وهو رئيس دولة، ولابد لجنازته من إجراءات ضخمة متعددة، ولكى نحصل على الوقت اللازم لمثل هذه الإجراءات يتحتم نقله في الحال من المنزل ونقلناه فعلا إلى قصر القبة.

وجلست في الصالون بالدور الأول، ولا أتذكر بالضبط من كان معى من المسئولين في ذلك الوقت واتفقنا على عقد مجلس وزراء طارئ مع اللجنة التنفيذية العليا في قصر القبة.



أول اجتماع لمجلس الوزراء بعد وفاة عبد الناصر

وبالفعل تم عقد الاجتماع، وتركنا مقعد عبد الناصر شاغرًا، جلست أنا على مقعد اليمين كالنائب الوحيد لرئيس الجمهورية، واستدعينا الأطباء للاستماع إلى التقرير الطبى الكامل. واتفقنا على إجراءات الجنازة، وكان ذلك اليوم يوافق يوم الاثنين واتفقنا على أن يكون تشييع الجنازة يوم الخميس التالى لكى نمنح الفرصة للملوك والرؤساء والمعزين الذين يرغبون في تشييع الجنازة، حتى يصلوا إلى القاهرة، وفى نهاية الاجتماع اتفقنا على الصيغة التي سننعى بها عبد الناصر إلى العالم العربى والعالم أجمع.

في ذلك الاجتماع اتضحت لى بداية المناورات الخفية التي حاول البعض القيام بها. كان دستورنا المؤقت في ذلك الوقت ينص على أن الذى يحل محل رئيس الجمهورية أو يخلفه هو النائب الأول له[1]، وكنت قد عينت نائبًا وحيدًا لرئيس الجمهورية لأنه لم يكن هناك نائب ثان. وكان منصب النائب الأول لرئيس الجمهورية قد نص عليه دستور عام ١٩٦٤ لرغبة عبد الناصر في ذلك الوقت أن يكون عبد الحكيم عامر[2] نائبه الأول في حالة تعيين نواب آخرين. وبالفعل كان هناك نواب آخرون ولكن لم يحتفظوا بمناصبهم طويلا واقتصر الأمر فيما بعد على نائب واحد.

---

(١) فى ٢٩ اكتوبر ١٩٦٨ أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارًا بقبول استقالة الوزراء الذين انتخبوا فى اللجنة المركزية ومنهم السيد حسين الشافعى نائب الرئيس ووزير الأوقاف.

(٢) عبد الحيكم عامر: ولد فى ١١ ديسمبر ١٩١٩م.. انضم لتنظيم الضباط الأحرار الذى أسسه جمال عبد الناصر وأصبح الهيئة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار وعضو مجلس قيادة الثورة.. وتولى منصب القائد العام للقوات المسلحة من ١٨ يونيو ١٩٥٣م حتى ١٨ يونيو ١٩٦٧م وانتحر فى ١٣ سبتمبر ١٩٦٧م.

وعندما عُينت في ديسمبر عام ١٩٦٩ نائبًا لرئيس الجمهورية[١]، كنت النائب الوحيد له ولكن البعض حاول في ذلك الاجتماع أن يتعلق بالنص الجامد في الدستور على أساس أن الذى يخلف رئيس الجمهورية هو النائب الأول وليس النائب الوحيد. ولكن الاعتراض كان من التفاهة والسذاجة بمكان، بحيث لم يستطع أن يسانده أحد من المجتمعين، وبرغم تفاهة الاعتراض إلا أنه كانت له دلالته الخاصة التي أبرزت التيارات والصراعات الخفية التي كانت على وشك أن تطفو على السطح.

بعد الاجتماع طلبت من الأطباء العمل على حفظ الجثمان بطريقة طبية سليمة لغاية يوم الخميس، أي حتى تشييع الجنازة، وفعلا قام الأطباء المختصون والطبيب الشرعى بهذه المهمة، وظللت ملازمًا لقصر القبة ومعى حسين الشافعى[٢] وعلى صبرى[٣] وبدأت وفود الملوك والرؤساء والمُعزين في الوصول إلى القاهرة استعدادًا ليوم الوداع التاريخى.

نصيحة الصديق بومدين[٤]

في الواقع لم أن أفكر يومها في سرعة إجراء انتخابات لشغل منصب رئيس الجمهورية، كان جمال قد أعلن في خطاب العودة في ١٠ يونيو ١٩٦٧ أنه يعود بناء على رغبة الشعب على أساس أن تُجرى فيما بعد انتخابات لرئيس الجمهورية بعد إزالة آثار العدوان مباشرة، وعلى الطريق نفسه كنت أفكر في أن أعمل نائبًا لرئيس الجمهورية أو رئيس للجمهورية بالنيابة لحين إزالة آثار العدوان، وبعد ذلك تجرى الانتخابات وينتخب الشعب رئيسه انتخابًا حرًا ديمقراطيًا، وكنت مُصرًا على رأيى هذا طوال أيام الاثنين والثلاثاء حتى مساء الأربعاء ٣٠ سبتمبر ١٩٧٠[٥].

في مساء الأربعاء نفسه غيرت رأيي بعد أن سمعت وأحسست بالتيارات والمناورات الخفية التي بدأت تطفو على السطح. كانت مصر في حالة حداد كامل. ولم يقتصر

---

(١) ٢٠ ديسمبر ١٩٦٩ أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارًا بتعيين السيد أنور السادات نائبًا لرئيس الجمهورية، وقد أقسم السيد أنور السادات اليمين القانونية أمام الرئيس عبد الناصر قبيل سفر الرئيس إلى الرباط.

(٢) حسين محمود الشافعى: ولد فى ٨ فبراير ١٩١٨م بمدينة طنطا. كانت بداية معرفته بجمال عبد الناصر في الكلية الحربية عام ١٩٣٧.. شارك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م.. وقع اختيار جمال عبد الناصر عليه عام ١٩٥١ ليكون ممثلا للضباط الأحرار في قيادة المدرعات.. تولي قيادة الكتيبة الأولى سيارات مدرعة التي أدار منها العمل في قيادة المدرعات ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م. وقع اختيار جمال عبد الناصر عليه عام ١٩٦٣ ليتولى منصب النائب الأول لرئيس الجمهورية بجانب المناصب الأخرى.. وتوفى ١٨ نوفمبر ٢٠٠٥م.

(٣) على صبرى: ولد فى ٣١ أغسطس ١٩٢٠م.. وتوفى ٣ أغسطس ١٩٩١.

(٤) هواري بومدين واسمه الحقيقي محمد إبراهيم بوخروبة ولد فى ٢٣ أغسطس ١٩٣٢م.. وكان وقت وفاة عبد الناصر يشغل منصب رئيس مجلس الوزراء فى الجزائر من ١٩ يونيو ١٩٦٥م حتى ١٠ ديسمبر ١٩٧٦م.. ثم أصبح الرئيس الثاني للجزائر المستقلة من ١٠ ديسمبر ١٩٧٦ حتى وفاته فى ٢٧ ديسمبر ١٩٧٨م.

(٥) الأربعاء ٢٩ رجب ١٣٩٠هـ

الأمر على الحداد بل كانت البلد كلها في حالة ترقب متوتر بسبب الوقوف في مفترق الطرق دون اختيار الطريق الصحيح.

ولكن هنا تبرز ميزة شعب مصر الأصيل الذى يستند إلى سبعة آلاف عام من الحضارة العريقة. في هذه الكارثة لم يطلب شعب مصر شيئًا سوى أن نضمد الجراح وأن نكمل المسيرة، لأنه لم يحدث قبل ذلك أن توقفت حياة هذا الشعب العريق على مر التاريخ البشرى.

وكان شعب مصر واقفًا بالمرصاد لكل التيارات والمناورات والخزعبلات والصراعات المحتملة حتى يحافظ على مسيرته الحضارية من الضياع والتشتت. وتلك روح القرية التي تحتم على الجميع مواجهة الكارثة أولا ثم تصفية الحسابات فيما بعد، فالجميع أخوة وزملاء حتى تنتهى الكارثة، وإلا جرفتهم جميعًا، عندئذ لا تنفعهم مناورات أو صراعات.



الرئيسان السادات وبومدين.. ونصيحة بعد وفاة عبد الناصر

هناك موقف أذكره للصديق والزميل الأخ هوارى بومدين. كان قد وصل إلى القاهرة قبل الجنازة واجتمع بي ساعتين وأسدى إلى بنصيحة ما زلت أذكرها له حتى اليوم، فقد كنت قد عبرت له عن عدم رغبتى في انتخاب رئيس الجمهورية، واقتناعى بأن أظل أعمل كنائب لرئيس الجمهورية أو رئيسًا للجمهورية بالنيابة لحين إزالة آثار العدوان، تمامًا كما كان عبد الناصر مخططًا ولكن بومدين اعترض بشدة على أساس أنه يتحتم ألا يكون هناك أي شك أو شبهة اهتزاز في مصر، ولذلك يجب أن يتم انتخاب رئيس الجمهورية فورًا، نظرًا لمكانة مصر في العالم العربى، ونظرًا لظروف المعركة والمسئوليات التاريخية الجسيمة المُلقاة على عاتق مصر[1].

([1]) يقول سامى شرف فى الجزء الخامس من مذكراته "سنوات وايام مع جمال عبد الناصر" صفحة ١٢٣٩:

(بعد ذلك انتقل الاجتماع إلى بحث قضية استمرار النظام والشكل الذى يجب أن يتم به انتقال السلطة، وهنا طرحت فكرتان كلاهما ينبثق عن مبدأ الشرعية.

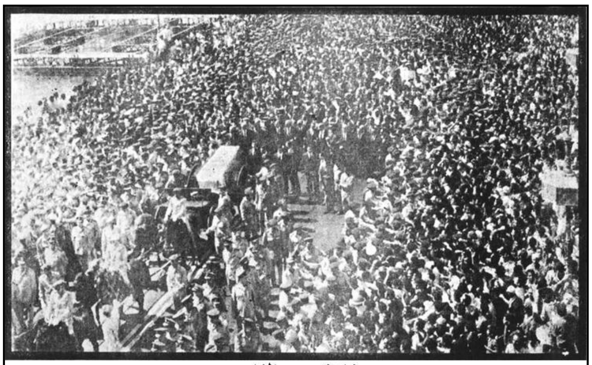
كانت الفكرة الأولى تقترح أن يتولى أنور السادات منصب رئيس الجمهورية بحكم وضعه كنائب لرئيس الجمهورية، ويمارس صلاحيات رئيس الجمهورية حتى انتهاء المدة المتبقية على رئاسة الرئيس جمال عبد الناصر.

أما الفكرة الثانية فهى أن يبقى السادات رئيسًا للجمهورية حتى إزالة آثر العدوان وهو الحد الزمنى الذى وضعه الرئيس عبد الناصر عندما قبل التكليف الشعبى بالعودة إلى السلطة يوم ١٠ يونيو ١٩٦٧ على أن ان تجرى انتخابات جديدة بعد ذلك.)

وفى صفحة ١٢٤٠:

(وكان الفيصل فى الوصول إلى هذا القرار هو القوات المسلحة التى تكلم باسمها الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة الذى قال بوضوح وصراحة كاملة محددًا، مفادها أننا مقبلون على معركة التحرير بل وهناك إصرار على إتمام هذه

ظلت نصيحة بومدين تتردد في ذهنى خاصة وأننى شهدت بنفسى المناورات والتيارات التي بدأت تطفو على السطح في نهاية يوم الأربعاء فقد كانت بعض مراكز القوى في اللجنة التنفيذية العلي قد بدأت التآمر فيما بينها على أساس أنهم الورثة الشرعيون لعبد الناصر.



جنازة عبد الناصر

وجاء يوم الخميس[١] وسط كل هذه التيارات والمناورات. وللأسف لم أستطع أن أكمل الجنازة حتى نهايتها، وأن أودع زميل الكفاح حتى مقره الأخير. كنت في أشد الإرهاق ولم أستطع السير في الجنازة التي بدأت من مجلس قيادة الثورة حيث كنت - قبل ذلك - منهمكًا في ترتيب سيرها منذ لحظة وصول الجثمان إلى مقر المجلس، وعندما تمت الترتيبات وأصبحت الجنازة على وشك الابتداء، أصبت بانهيار جعلهم يحملوننى إلى مجلس قيادة الثورة مرة أخرى، وأحضروا الأطباء الذين أسعفونى بخمس حقن لم أفق منها إلا حوالى الساعة الثانية ظهرًا.

كان أول سؤال طرأ على بالى عندما أفقت، يدور عما إذا كان عبد الناصر قد دُفِن أم لا، ففي الواقع كنت غير مطمئن لاعتقادى أن الشعب ربما اندفع بالجثمان في حومة الحزن والأسى إلى حيث لا نعلم، ولكن الشعب المصرى الأصيل كان بنفس الدرجة من الوعى الذى اشتهر به فتغلب على حدة المأساة ووصل الجثمان إلى مقره الأخير في جامع جمال عبد الناصر[٢].



الرئيس السادات أثناء جنازة عبد الناصر

وانطوت بذلك صفحة من أخطر صفحات التاريخ المصرى المعاصر. عندئذ بدأت أفكر مليًا في أبعاد المسئولية التاريخية الجسيمة التي وقعت على كتفى بمنتهى العنف والسرعة دون أن أحسب لها حسابًا.

رسالة القوات المسلحة

المعركة ولن أستطيع أن أتحرك فى هذا الاتجاه لتنفيذ مهمتنا ما لم يكن هناك قائد أعلى للقوات المسلحة ويمعنى آخر رئيسًا للجمهورية ومنتخب وفقًا للدستور، يحق له وفق الدستور أن يصدر أمر القتال ويصدق على الخطط العسكرية لخوض المعركة.)

(١) الخميس ١ أكتوبر ١٩٧٠م - ٣٠ رجب ١٣٩٠هـ

(٢) مسجد جمال عبد الناصر أو مسجد كوبري القبة الخيري هو أحد مساجد مدينة القاهرة الحديثة الشهيرة، يقع المسجد بمنطقة كوبري القبة بالقرب من مبنى وزارة الدفاع المصرية وجامعة عين شمس

في يوم الخميس نفسه تركت قصر القبة إلى ذلك البيت الصغير المُسمى بقصر العروبة في مصر الجديدة حتى أكون قريبًا من الأحداث. وبعد الظهر استدعيت مباشرة المسئولين وعلى رأسهم شعراوى جمعة وسامى شرف، وأخبرتهم بأنى عدلت عن رأيي في البقاء كنائب رئيس جمهورية أو رئيس جمهورية بالنيابة، وكذلك بإصرارى على إجراء انتخابات سريعة لشغل منصب رئاسة الجمهورية الشاغر.

وبصرف النظر عن المناورات والصراعات والتيارات التي طفت على السطح وبالإضافة إلى نصيحة الأخ بومدين بالإسراع في الانتخابات، برز عامل جديد كان بمثابة الحسم النهائي للموقف بالنسبة لى على الأقل.

فقد أرسلت إليَ القوات المسلحة رسالة خطيرة تقول فيها أنه نظرًا للظروف العصيبة التي تجتازها الأمة ونظرًا للتراب الغالي الذى ما زال تحت أقدام العدو فإنه يتحتم على القوات المسلحة أن تقوم بواجبها التاريخي والمصيرى تجاه الأمة بإذن الله، ولكن لابد أن يكون هناك القائد الأعلى المسئول الذى يعطى القوات المسلحة هذا الأمر وهذا الحق.

وكانت هذه الرسالة الحاسمة بمثابة اللمسة الأخيرة في تصميمى على أن تسير الأمور في نصابها مهما كانت المناورات ومهما كانت الحساسيات.

واستدعيت شعراوى جمعة[١] ظهر الخميس[٢]، وأمرته بصفته وزيرًا للداخلية وأمينًا للتنظيم في الاتحاد الاشتراكى بالتجهيز لعقد اللجنة التنفيذية العليا بالاتحاد الاشتراكى يوم السبت التالى مباشرة لتسمية رئيس الجمهورية وفى الاثنين الذى يليه تنعقد اللجنة المركزية لعرض الاسم، ثم ينعقد مجلس الشعب الخميس التالى مباشرة طبقًا لدستورنا في ذلك الوقت حتى تتم تسمية الرئيس الجديد. وذلك على أن تجرى انتخابات رئيس الجمهورية في الخميس التالى لانعقاد مجلس الشعب، أي أن تتم الانتخابات بعد دفن عبد الناصر بأسبوعين تمامًا، وبذلك لا يحدث فراغ يهز كيان البلد في تلك الفترة العصيبة.

---

(١) شعراوى جمعة وزير الداخلية من ١٠ سبتمبر ١٩٦٦م حتى ١٣ مايو ١٩٧١م

(٢) الخميس ١ أكتوبر ١٩٧٠م - ٣٠ رجب ١٣٩٠هـ

رغم أنى كنت أعلم كل تفاصيل حالته الصحية الا أن موته كان مفاجأة لم أحسب حسابها

اتفقت مع جمال على أن نسافر الى الاسكندرية فى الصباح التالى وليلتها مات

ذكريات الأيام الأولى بعد وفاة عبدالناصر كماسجلها الرئيس السادات



رغم اني كنت اعلم كل تفاصيل مرض جمال عبد الناصر وكنت متتبعا لكل تطورات حالته الصحية ، ورغم اني كنت اعلم مدى الخطورة التى تحيط به واتكتم الحديث عنها واتعمد اخفاءها منذ هزيمة ٥ يونيو وانقلاب مرض السكر الى مرض حساس داهمه فى نوفمبر ٦٧ ، ثم عقب السيطرة على مرض السكر الذى ما لبث ان شفى منه ، داهمته الالام المبرحة لاعصاب وشرايين ساقيه التى ما ان شفى منها حتى داهمته اول ازمة قلبية عنيفة فى سبتمبر ٦٩ اى قبل وفاته بعام واحد ، رغم كل ذلك ، الا انى لم اكن انتظر ابدا موته .. كانت وفاته مفاجاة عنيفة لى لم احسب ابدا حسابها ، ربما لان عبد الناصر كان بالنسبة لنا قد اصبح واقعا مستمرا لايمكن ان يتغير مهما تطورت الحياة به ومن حوله ، بل انى كنت مؤمنا بان عبد الناصر سيبقى بعدى وبعد كل المحيطين به ، فقد كانت شخصيته تبدو لنا دائما قوية راسخة الى حد ان نتصورها اقوى من المرض ، ولذلك لم اكن احسب ابدا حساب الفراغ الهائل الذى يمكن ان تتركه وفاة عبد الناصر ، ولم يخطر على بالى ابدا انى ساجد نفسى يوما مضطرا لحمل مسئولية هذا الفراغ..

وقد رحل جمال عبد الناصر مساء يوم الاثنين ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، وهو نفس اليوم الذى شهد نهاية مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى القاهرة لوضع حد لمعركة سبتمبر او معركة ايلول التى وقعت بين الفدائيين الفلسطينيين والحكومة الاردنية . وكالعادة كان عبد الناصر — كرئيس للدولة المضيفة — يقوم بتوديع الملوك والرؤساء العرب فى مطار القاهرة الدولى عند مغادرتهم لمصر عائدين الى بلادهم . وكان الملك فيصل رحمه الله — وامير الكويت آخر من قام عبد الناصر بتوديعهما .

وعند وداع الملك فيصل لاحظ كبير الياوران اللواء سعد متولى — اثناء سيره المعتاد خلف جمال — ان ساقى جمال قد التفتا على بعضهما البعض وكان الاعتقاد السائد ساعتها ان هذا ربما كان سببه الارهاق الشديد الذى اصاب جمال بسبب التوتر البالغ الذى ساد جو المؤتمر ، وسببه ايضا المجهود الكبير الذى بذله ليوقف المزيد من اراقة الدماء العربية بين الفلسطينيين والاردنيين . وكان وجه جمال فى ذلك اليوم ينطق بالحاجة الملحة الى الراحة والاستجمام . وكنت اعلم جيدا ان الاسكندرية هى المكان الوحيد الذى يمنح جمال راحته المنشودة جسميا ونفسيا.

لم اقل لجمال ان كبير الياوران سعد متولى اخبرنى بان ساقيه التفتا على بعضهما البعض . ولكنى قلت له ان الارهاق واضح تماما على وجهه ، وانه من الافضل ان يذهب لقضاء فترة بالاسكندرية يستعيد فيها نشاطه وحيويته . وبالفعل اتصلت بمحمد احمد الذى كان يعمل سكرتيرا خاصا للرئيس وطلبت منه ان يستعد لسفرنا فى صباح اليوم التالى الى الاسكندرية . ولكى لا يجهد جمال نفسه اكثر من اللازم اقترحت عليه ان اقوم انا بتوديع امير الكويت نيابة عنه فهو صديق شخصى لى ، وكنت واثقا من انه سيقبل اعتذار جمال لمرضه . ولكن جمال قرر توديع امير الكويت بنفسه خاصة وانه كان آخر الملوك والرؤساء العرب الذين غادروا مصر بعد انتهاء مؤتمر القمة ، ويمكن ان يستريح بعد ذلك .

ولم استطع ان اثنى جمال عن عزمه ، برغم تحامله الواضح على نفسه بعد توديعه للملك فيصل . وسار مع امير الكويت حتى الطائرة ، ثم صعد الامير الطائرة . وكما هو المعتاد فى المراسم ، تحركنا بعيدا عن الطائرة ايذانا ببدء تحركها حتى نلوح مودعين للضيف المسافر وفى تلك اللحظة لم يستطع جمال ان يتحرك بعيدا عن الطائرة الى المكان الذى يستطيع ان يلوح منه مودعا لامير الكويت . كان العرق يتصبب بغزارة من وجهه الذى اتشح باللون الاصفر . تسمرت قدماه بالارض وكان يبدو انه يبذل جهدا كبيرا فى مقاومة الاعياء حتى لا يقع فى وقفته ، وطلب العربة لكى تأتى الى حيث كان واقفا ، وبالفعل جاءت مسرعة واستقلها دون ان ينتظر ليلوح لامير الكويت .

وقبل ان تغادر عربته ارض المطار ، اخبرته بسفرنا فى اليوم التالى الى الاسكندرية وكان كل فكرى ان المسالة مجرد ارهاق شديد . ووافق جمال واوصانى ببعض الوزراء الكويتيين الذين كانوا معنا بالمطار لكى نرعى راحتهم ونبحث بعض الامور معهم. ثم غادرت عربة جمال المطار مسرعة الى منزله وقمت بالتأكيد على محمد احمد للقيام بالاجراءات اللازمة لانتقال جمال الى الاسكندرية . وبعد ذلك انتظرت ومعى المودعون حتى لوحنا لامير الكويت الذى سافر الى بلده ..

عدت من المطار الى منزلى ، وكنت فى ذلك الوقت قد خصصت غرفة لى بالدور الاول للراحة والاستجمام والقراءة.. دخلت الغرفة لارتاح من عناء اليوم واخبرتهم بالمنزل بأن يوقظونى حوالى الساعة السابعة مساء . وكنت بدورى فى اشد الحاجة للراحة بعد مجهود الاسبوع السابق ومشاركتى لجمال فى اعباء المؤتمر . خاصة واننى كنت قد شفيت حديثا من نوبة قلبية اصابتنى فى صيف عام ١٩٧٠ . وهى نفس النوبة التى اصابتنى قبل ذلك عام ١٩٦٠ . ولكننى — والحمد لله — شفيت منها تماما ، وقبل ان اغفو اتصل بى محمد احمد تليفونيا واخبرنى ان الرئيس جمال سيزورنى مساء لتناول العشاء معى . وكنا فى السنة الاخيرة قبل موته قد تعودنا ان نتبادل الزيارات معا سواء عندى او عنده ، كنا نقضى الامسيات والجلسات الطويلة نناقش كل الامور والمتاعب والمشكلات .

طلبت منهم بالمنزل ان يوقظونى مبكرا قليلا لان الرئيس جمال سيأتى لتناول العشاء معى . ثم غفوت ، وايقظونى حوالى الساعة السادسة والنصف او السابعة ، لا اذكر على وجه التحديد .

وقالوا ان منزل الرئيس جمال اتصل تليفونيا ، واننى مطلوب هناك لامر هام .

قلت لهم : خير . قالوا ان الرئيس متعب قليلا ، ولكن كل شيء على ما يرام . وغادرت المنزل فى طريقى الى منشية البكرى حيث يقع منزل جمال . وصعدت فورا الى الدور العلوى حيث كان هناك الكابوس يجثم على كل شيء .

لقدمات جمال عبد الناصر . مات منذ ساعة والاطباء يحيطون بسريره . والوجوه واجمة او باكية والمشهد لوحة من دموع وتاوهات وتشنجات . غطوا وجه جمال بملاءة . واذ بى اجد نفسى وانا اكشف عن وجهه .

لقد مات كثيرون من قبل بين يدى ، منهم امى رحمها الله ومن خبرتى اعلم ان وجه الميت يتغير بعد عشر دقائق او ربع ساعة على اكثر تقدير . لكن عندما كشفت عن وجه جمال ، كان طبيعيا جدا ، كانه نائم تماما . ليس هذا فقط بل اننى الصقت خدى بخده ، ولم تكن هناك برودة الموت المعروفة . نظرت الى الاطباء حائرا وقلت انه من المستحيل ان يكون قد مات ..

قال الاطباء انهم تأكدوا من وفاته منذ ساعة مضت ، وانهم قاموا بكل الاسعافات اللازمة وغيرها من الاجراءات الضرورية مثل جهاز القلب الذى يرسل صدماته الى القلب لكى ينشطه . ولكنها كانت نوبة قلبية شديدة وضعت حدا لحياته ، وجلست معها الكابوس الجاثم على كاهل الجميع . لم استطع ان اصدق هذه الحقيقة المفجعة ، فطلبت من الاطباء ان يحاولوا مرة اخرى

وكان الرد الوحيد هو الدموع ، ومن خلال الدموع علمت انهم شرعوا فى محاولاتهم منذ ساعتين ، وكان قد مات فى الساعة الاخيرة . وتأكد الجميع ان جمال عبد الناصر قد مات .

حقيقة مفجعة ورهيبة ، ولكن لا مفر من قبولها ، ولا مفر ايضا من سرعة استجماع القوة فى مثل هذه المواقف حتى لا يفلت زمام الامور ، خاصة وانها تتعلق بمصير امة فى مفترق الطرق وليس بمصير فرد اختاره الله عز وجل الى جواره .

بدأت المناورات الخفية قبل أن يدفن جمال مواجهة الكارثة أولا ثم التصفية فيما بعد



فكرت فى الحال وادركت ان بقاء الجثمان فى البيت مسالة صعبة قد لا تحتملها عائلته ، وايضا فان جمال ليس شخصية عادية ، فهو زعيم سجل تاريخا جديدا لمصر ، وهو رئيس دولة، ولابد لجنازته من اجراءات ضخمة متعددة . ولكى نحصل على الوقت اللازم لمثل هذه الاجراءات يتحتم نقله فى الحال من المنزل ونقلناه فعلا الى قصر القبة .

وجلست فى الصالون بالدور الاول ، ولا اتذكر بالضبط من كان معى من المسئولين فى ذلك الوقت واتفقنا على عقد مجلس وزراء طارىء مع اللجنة التنفيذية العليا فى قصر القبة .

وبالفعل تم عقد الاجتماع ، وتركنا مقعد عبد الناصر شاغرا. جلست انا على مقعد اليمين كالنائب الوحيد لرئيس الجمهورية. واستدعينا الاطباء للاستماع الى التقرير الطبى الكامل .واتفقنا على اجراءات الجنازة . وكان ذلك اليوم يوافق يوم الاثنين واتفقنا على ان يكون تشييع الجنازة يوم الخميس التالى لكى نمنح الفرصة للملوك والرؤساء والمعزين الذين يرغبون فى تشييع الجنازة ، حتى يصلوا الى القاهرة . وفى نهاية الاجتماع اتفقنا على الصيغة التى سننعى بها عبد الناصر الى العالم العربى والعالم اجمع .

فى ذلك الاجتماع اتضحت لى بداية المناورات الخفية التى حاول البعض القيام بها . كان دستورنا المؤقت فى ذلك الوقت ينص على ان الذى يحل محل رئيس الجمهورية او يخلفه هو النائب الاول له . وكنت قد عينت نائبا وحيدا لرئيس الجمهورية لانه لم يكن هناك نائب ثان . وكان منصب النائب الاول لرئيس الجمهورية قد نص عليه دستور عام ١٩٦٤ لرغبة عبد الناصر فى ذلك الوقت ان يكون عبد الحكيم عامر نائبه الاول فى حالة تعيين نواب آخرين . وبالفعل كان هناك نواب آخرون ولكنهم لم يحتفظوا بمناصبهم طويلا واقتصر الامر فيما بعد على نائب واحد .

وعندما عينت فى ديسمبر عام ١٩٦٩ نائبا لرئيس الجمهورية ، كنت النائب الوحيد له ولكن البعض حاول فى ذلك الاجتماع ان يتعلق بالنص الجامد فى الدستور على اساس ان الذى يخلف رئيس الجمهورية هو النائب الاول وليس النائب الوحيد . ولكن الاعتراض كان من التفاهة والسذاجة بمكان ، بحيث لم يستطع ان يسانده احد من المجتمعين ، وبرغم تفاهة الاعتراض الا انه كانت له دلالته الخاصة التى ابرزت التيارات والصراعات الخفية التى كانت على وشك ان تطفو على السطح .

بعد الاجتماع طلبت من الاطباء العمل على حفظ الجثمان بطريقة طبية سليمة لغاية يوم الخميس ، اى حتى تشييع الجنازة . وفعلا قام الاطباء المختصون والطبيب الشرعى بهذه المهمة. وظللت ملازما لقصر القبة ومعى حسين الشافعى وعلى صبرى وبدأت وفود الملوك والرؤساء والمعزين فى الوصول الى القاهرة استعدادا ليوم الوداع التاريخى .

نصيحة الصديق بومدين

فى الواقع لم اكن افكر يومها فى سرعة اجراء انتخابات لشغل منصب رئيس الجمهورية . كان جمال قد اعلن فى خطاب العودة فى ١٠ يونيو ١٩٦٧ انه يعود بناء على رغبة الشعب على اساس ان تجرى فيما بعد انتخابات لرئيس الجمهورية بعد ازالة آثار العدوان مباشرة ، وعلى الطريق نفسه كنت افكر فى ان اعمل نائبا لرئيس الجمهورية اورئيسا للجمهورية بالنيابة لحين ازالة آثار العدوان ، وبعد ذلك تجرى الانتخابات وينتخب الشعب رئيسه انتخابا حرا ديمقراطيا . وكنت مصرا على رايى هذا طوال ايام الاثنين والثلاثاء حتى مساء الاربعاء ٣٠ سبتمبر ١٩٧٠ .

فى مساء الاربعاء نفسه غيرت رايى بعد ان سمعت واحسست بالتيارات والمناورات الخفية التى بدات تطفو على السطح . كانت مصر فى حالة حداد كامل . ولم يقتصر الامر على الحداد بل كانت البلد كلها فى حالة ترقب متوتر بسبب الوقوف فى مفترق الطرق دون اختيار الطريق الصحيح .

ولكن هنا تبرز ميزة شعب مصر الاصيل الذى يستند الى سبعة الاف عام من الحضارة العريقة . فى هذه الكارثة لم يطلب شعب مصر شيئا سوى ان نضمد الجراح وان نكمل المسيرة ، لانه لم يحدث قبل ذلك ان توقفت حياة هذا الشعب العريق على مر التاريخ البشرى .

كان شعب مصر واقفا بالمرصاد لكل التيارات والمناورات والخزعبلات والصراعات المحتملة حتى يحافظ على مسيرته الحضارية من الضياع والتشتت . وتلك روح القرية التى تحتم على الجميع مواجهة الكارثة اولا ثم تصفية الحسابات فيما بعد، فالجميع اخوة وزملاء حتى تنتهى الكارثة ، والا جرفتهم جميعا . عندئذ لا تنفعهم مناورات او صراعات .

هناك موقف اذكره للصديق والزميل الاخ هوارى بومدين . كان قد وصل الى القاهرة قبل الجنازة واجتمع بى ساعتين واسدى الى بنصيحة ما زلت اذكرها له حتى اليوم ، فقد كنت قد عبرت له عن عدم رغبتى فى انتخاب رئيس الجمهورية ، واقتناعى بان اظل اعمل كنائب لرئيس الجمهورية او رئيسا للجمهورية بالنيابة لحين ازالة آثار العدوان ، تماما كما كان عبد الناصر مخططا ولكن بومدين اعترض بشدة على اساس انه يتحتم الا يكون هناك اى شك او شبهة اهتزاز فى مصر ، ولذلك يجب ان يتم انتخاب رئيس الجمهورية فورا ، نظرا لمكانة مصر فى العالم العربى ، ونظرا لظروف المعركة الحرجة والمسئوليات التاريخية الجسيمة الملقاة على عاتق مصر

ظلت نصيحة بومدين تتردد فى ذهنى خاصة واننى شهدت بنفسى المناورات والتيارات التى بدات تطفو على السطح فى نهاية يوم الاربعاء فقد كانت بعض مراكز القوى فى اللجنة التنفيذية العليا قد بدات التآمر فيما بينها على اساس انهم الورثة الشرعيون لعبد الناصر .

وجاء يوم الخميس وسط كل هذه التيارات والمناورات . وللاسف لم استطع ان اكمل الجنازة حتى نهايتها ، وان اودع زميل الكفاح حتى مقره الاخير . كنت فى شدة الارهاق ولم استطع السير فى الجنازة التى بدات من مجلس قيادة الثورة حيث كنت — قبل ذلك — منهمكا فى ترتيب سيرها منذ لحظة وصول الجثمان الى مقر المجلس . وعندما تمت الترتيبات واصبحت الجنازة على وشك الابتداء ، اصبت بانهيار جعلهم يحملوننى الى مجلس قيادة الثورة مرة اخرى . واحضروا الاطباء الذين اسعفونى بخمس حقن لم افق منها الا حوالى الساعة الثانية ظهرا .

كان اول سؤال طرأ على بالى عندما افقت، يدور عما اذا كان عبد الناصر قد دفن أم لا . ففى الواقع كنت غير مطمئن الى ذلك لاعتقادى ان الشعب ربما اندفع بالجثمان فى حومة الحزن والاسى الى حيث لا نعلم . ولكن الشعب المصرى الاصيل كان بنفس الدرجة من الوعى الذى اشتهر به فتغلب على حدة المأساة ووصل الجثمان الى مقره الاخير فى جامع جمال عبد الناصر .

وانطوت بذلك صفحة من اخطر صفحات التاريخ المصرى المعاصر . عندئذ بدات افكر مليا فى ابعاد المسئولية التاريخية الجسيمة التى وقعت على كتفى بمنتهى العنف والسرعة دون ان احسب لها حسابا .

رسالة القوات المسلحة

فى يوم الخميس نفسه تركت قصر القبة الى ذلك البيت الصغير المسمى بقصر العروبة فى مصر الجديدة حتى اكون قريبا من الاحداث . وبعد الظهر استدعيت مباشرة المسئولين وعلى رأسهم شعراوى جمعه وسامى شرف ، واخبرتهم باني عدلت عن رايى فى البقاء كنائب رئيس جمهورية او رئيس جمهورية بالنيابة ، وكذلك باصرارى على اجراء انتخابات سريعة لشغل منصب رئاسة الجمهورية الشاغر .

وبصرف النظر عن المناورات والصراعات والتيارات التى طفت على السطح وبالاضافة الى نصيحة الاخ بومدين بالاسراع فى الانتخابات ، برز عامل جديد كان بمثابة الحسم النهائى للموقف بالنسبة لى على الاقل .

فقد ارسلت الى القوات المسلحة رسالة خطيرة تقول فيها انه نظرا للظروف العصيبة التى تجتازها الامة ونظرا للتراب الغالى الذى مازال تحت اقدام العدو فانه يتحتم على القوات المسلحة ان تقوم بواجبها التاريخى والمصيرى تجاه الامة باذن الله ، ولكن لابد ان يكون هناك القائد الاعلى المسئول الذى يعطى القوات المسلحة هذا الامر وهذا الحق .

وكانت هذه الرسالة الحاسمة بمثابة اللمسة الاخيرة فى تصميمى على ان تسير الامور فى نصابها مهما كانت المناورات ومهما كانت الحساسيات .

واستدعيت شعراوى جمعه ظهر الخميس ، وامرته بصفته وزيرا للداخلية وامينا للتنظيم فى الاتحاد الاشتراكى بالتجهيز لعقد اللجنة التنفيذية العليا بالاتحاد الاشتراكى يوم السبت التالى مباشرة لتسمية رئيس الجمهورية وفى الاثنين الذى يليه تنعقد اللجنة المركزية لعرض الاسم ، ثم ينعقد مجلس الشعب الخميس التالى مباشرة طبقا لدستورنا فى ذلك الوقت حتى تتم تسمية الرئيس الجديد . وذلك على ان تجرى انتخابات رئيس الجمهورية فى الخميس التالى لانعقاد مجلس الشعب . اى ان **تتم الانتخابات بعد دفن عبد الناصر باسبوعين تماما ، وبذلك لا يحدث فراغ يهز كيان البلد فى تلك الفترة العصيبة .**

البقية غدا







① الرئيس السادات اثناء جنازة عبد الناصر
② اول اجتماع لمجلس الوزراء بعد وفاة عبد الناصر
③ الرئيسان السادات وبومدين .. ونصيحة بعد وفاة عبد الناصر ..

٢

ذكريات الأيام الأولى بعد وفاة عبد الناصر[١]

الشعب لا يطلب منى أن أكون نسخة مكررة من عبد الناصر

بداية الصراع.. معركة انتقال السلطة

قد تكون مراكز القوى في ذلك الوقت غير مرتاحة لقرارى باتخاذ الإجراءات وإجراء الانتخابات لتسمية رئيس الجمهورية. ولكنها لم تظهر أية علامة من علامات الاستياء، انتظارًا للفرص التي تمكنها من قلب الأوضاع. وفى اليوم التالى لدفن عبد الناصر وكان يوم جمعة[٢]، بدأت المناورات تتخذ شكلا ملموسًا ومحدودًا، فقد جاء اثنان منهم إلى قصر العروبة لمقابلتى وأعربا عن خوفهما المصطنع من حدوث شرخ أو انشقاق في جلسة اللجنة التنفيذية العليا المحدد لها اليوم التالى وهو يوم السبت، وتحججا بأن هناك اعتراضًا على مسألة تحديد الانتخابات بعد أسبوعين مباشرة من دفن عبد الناصر، وكان مثار الاعتراض أننا لسنا في حاجة مُلحة إلى حسم الأمور بهذه العجلة، لأن المسألة ستبدو وكأن المقصود منها هو انتخاب شخص محدد بالذات.

حسمت الأمور - كعادتي - وأفهمت من جاءنى أننى اتخذت قرارى بإجراء الانتخابات بصفتي نائبًا لرئيس الجمهورية الراحل الذى ترك لى أمانة هذا الشعب، ولن أفرط في هذه الأمانة مهما احتدمت الصراعات وتكاثرت المناورات. ولن يقرر مصير هذه الأمانة سوى الشعب الذى هو صاحبها الشرعي. فعندما ينتخب الشعب رئيس جمهورية، بصرف النظر عن شخص الرئيس الجديد بالذات، سأقوم فورًا بتسليمه الأمانة التي لن يحسد أبدًا على حملها. أما أساليب المناورات والصراعات، والخروج عن دستورنا القومي وخطنا الأصيل وتقاليدنا المصرية، فسأقابلها بمنتهى الحسم، بل وبمنتهى الردع، وقد عشت حياتى جنديًا محاربًا أو مكافحًا مضطهدًا، ولم أنس بعد استعمال السلاح الذى سألجأ إليه عند الضرورة.. وقد سجلت كل هذه التفاصيل لكى تحفظ للتاريخ.

ومن هنا بدأت ملامح الصراع بينى وبين ما يسمى بمراكز القوى تتضح، وسأعود إليها بالتفصيل في التسجيل التالى، ويهمنى الآن التركيز على علاقتى الفكرية بعبد الناصر وتحليل مفهوم هذه العلاقة التي كان لها صلة مباشرة بسنوات الحسم التي نحن بصدد سرد تاريخها في هذا التسجيل..

---

(١) الأهرام الجمعة ٢٧ سبتمبر ١٩٧٥م - ٢٢ رمضان ١٣٩٥هـ

(٢) الجمعة ٢ أكتوبر ١٩٧٠ - ١ شعبان ١٣٩٠هـ

وحدة المبادئ واختلاف الأسلوب

كان هناك تقليد وضعه عبد الناصر، يقضى بترشيح الوزراء أمام اللجنة المركزية، وطبقًا لهذا التقليد قمت بترشيح الدكتور محمود فوزى رئيسًا للوزراء، عندما انعقدت اللجنة المركزية لأول مرة بعد وفاة عبد الناصر يوم الاثنين ٥ أكتوبر سنة ١٩٧٠[1]. ولكن هذا الترشيح لم يلق أي ترحيب سواء من مراكز القوى لأنهم يكرهون الدكتور فوزى، أو من بعض أعضاء اللجنة العليا للاتحاد الاشتراكى الذين كانوا يطمعون في رئاسة الوزارة.

ولم أحب - كعادتى- أن أترك الأمور بهذا التسيب والتميع، فالوضوح هو المنهج الذى أحسم به كل المسائل دون استثناء، ولذلك أخبرتهم بمنتهى الصراحة أننى لا أستطيع أن أتبع نفس الأساليب التي سار عبد الناصر على نهجها قبلي، وهذا لا يعنى أننى أختلف مع عبد الناصر على المبادئ الأساسية التي ارتضاها كل منا، ولكنه يعنى أننا نختلف في الوسائل والأساليب برغم أن الأهداف دائمًا واحدة. إن الشعب يطلب منى - وله الحق كل الحق في هذا - أن أحقق الأهداف القومية التي كان يسعى إليها عبد الناصر ولم يمهله الموت حتى يحققها، ولكن الشعب في الوقت ذاته لا يطلب منى أن أكون نسخة مكررة من عبد الناصر، لأن الطبيعة البشرية تأبى هذا التكرار.



الرئيسان يشاهدان إحدى المناورات الحربية..

ومن المعروف أن كل إنسان على وجه هذه الأرض يختلف عن الآخر اختلاف بصمات الأصابع، سواء في البيئة أو العائلة أو النشأة أو التربية أو التعليم أو الثقافة، وهذا الاختلاف الطبيعى لا يتعارض مع الزمالة أو الصداقة، ومن السذاجة وقصر النظر أن نطلب من إنسان أن يتحول إلى نسخة باهتة من إنسان آخر، مهما كان حبنا واحترامنا لهذا الانسان، ولذلك دهشت من مطالبتى

(1) الاثنين ٤ شعبان ١٣٩٠هـ

بأن أسير بنفس الأساليب التي اتبعها عبد الناصر من قبل، لأن المسألة هي مسألة غاية وليست مسألة وسيلة.

وشرحت لهم أيضًا كم كانت لى جلسات طويلة مع عبد الناصر سواء في بيتى أو في بيته، واستمرت هذه الجلسات حتى قبيل وفاته، وكان عبد الناصر مُدركًا ومُتقبلا لاختلافى معه في الأساليب والوسائل، وقد اقتضت الحكمة ألا أذيع شيئًا عن هذه الخلافات لأننى لست من هواة المناورات والصراعات واستعراض العضلات، ولأننى كنت مؤمنًا بأن عبد الناصر قادر على التصرف، وطالما أن هذا هو إيمانى واقتناعى فلا ضرورة لمشكلات أنا في غنى عنها. وأيضًا فإن مشكلة الحكم تقضى وجود رجل مسئول مسئولية أخيرة وتاريخية عن اتخاذ القرارات المصيرية، وبعد ذلك يأتي يأتي دور الشعب للحكم عليه وتقييم قراراته.

ولم أكن سلبيًا تمامًا فيما يختص بقضية اختلافى في الوسائل مع عبد الناصر، لأنه بطول عام ١٩٧٠ بالذات وحتى وفاته، كنت أتناقش وأتجادل معه بخصوص ضرورة تغيير المنهج والأسلوب الذى أدى بنا إلى هزيمة سنة ١٩٦٧[١]، وخاصة أن شعبنا العظيم الذى صمد بعد الهزيمة وأعاد عبد الناصر كرمز لإرادة الصمود، من حق هذا الشعب أن يختار الأسلوب الذى يتفق مع مقوماته الأصيلة، وهى المقومات التي تختلف بطبيعتها عن الأسلوب الذى أدى إلى هزيمة سنة ١٩٦٧. وقد كان لى رأى في ضرورة إحداث هذا التغيير ابتداء من يوم ١٠ يونيو ٦٧[٢] مباشرة عقب أن أعاد الشعب عبد الناصر واتخذت فعلا خطوات محددة لتحقيق هذا التغيير كما سأروى عندما أتناول الأيام السوداء من يونية ٦٧.


مجلس قيادة الثورة أثناء أحد الاجتماعات..

وقد أدى أسلوب جمال عبد الناصر في الحُكم إلى تطورات كثيرة متتابعة، كانت تفرضها الأحداث، وأحيانًا كانت تفرضها طبيعة عبد الناصر نفسه، وشملت هذه التطورات مجلس قيادة الثورة منذ السنوات الأولى للثورة، وقد فوجئت بعد وفاة عبد الناصر بعدد من الأصدقاء أعضاء مجلس قيادة الثورة القديم يرسلون لى اقتراحًا في عريضة وقعوها، وكان سبب المفاجأة بالنسبة لى، هو أنه لم يخطر على فكرى أبدًا منذ أكثر من عشرين سنة، بدلا من أن نستمر بما انتهينا إليه بعد كل هذه السنوات.. كان مجرد مثل هذا التفكير لا يمكن أن يخطر ببالى، ولا يمكن

(١) الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧م - ٢٦ صفر ١٣٨٧هـ

(٢) السبت ٢ ربيع الأول ١٣٨٧هـ

حتى مناقشته، لا مساسًا بتقدير الأشخاص وهو أخوة وزملاء لهم دورهم، ولكن حرصًا على التقدم بالمسيرة لا الرجوع بها إلى الوراء..

وكانت خلاص العريضة التي أرسلها أعضاء مجلس قيادة الثورة، وهى اقتراح بعودة مجلس قيادة الثورة القديم إلى الحكم لمدة سنة على أساس إنشاء جمعية تأسيسية، وأن أتولى بحكم منصبى كنائب لرئيس الجمهورية رئاسة مجلس قيادة الثورة لحين القيام بعمل انتخابات رئيس الجمهورية، وعلى الجمعية التأسيسية أن تحضر للدستور.

كان معنى هذا أن يظل البلد في الفراغ الكامل الذى تركه عبد الناصر بعد رحيله، وكان معناه أيضًا أن ندخل في صراعات بينما العدو يدق أبواب مصر، لأن انتخابات رئيس الجمهورية من بين أعضاء المجلس القديم لا يعنى سوى الصراع بسبب تأييد شخص ضد آخر وهكذا.

وطبعًا رفضت الاقتراح الذى قُدم إلىَ تجنبًا لمثل هذه الصراعات التي سبق وأن تعرض لها مجلس قيادة الثورة ودارت في داخله منذ عام ١٩٥٤، ولاقتناعى بأنى لا يمكن أن أعود بالتاريخ إلى الوراء، وحرصى على أن تستمر مصر وتتقدم وتتطور من حيث هي واقفة..

الوفاء يربطنى دائمًا بعبد الناصر

تمت الانتخابات بالفعل، وتلقيت النتيجة يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٠[١]، الذى كان يوافق نصف شعبان، وبعد انتخابى مباشرة بدأت مشاورات تشكيل الوزارة وشكل الحكم، وأعلنت منذ البداية أننى لا أستطيع ولا أوافق على جمع السلطات كلها في يد واحدة طالما أن الفرصة سنحت لتوزيع أعباء السلطة والمسئولية، بمعنى أن يكون هناك رئيس للوزراء، وأمين للاتحاد الاشتراكى، وذلك لإيمانى وتجربتى على مدى ما يقرب من عشرين عامًا، أن تسيير دفة الأمور في البلد بفرد واحد يؤدى إلى مخاطر ومزالق عديدة، وقد حدث هذا بالنسبة لعبد الناصر، لأنه بشر، ومهما كانت طاقته فليس في وسعه أن يلم بكل الأمور.

كانت مراكز القوى هي النتيجة الطبيعية لجمع عبد الناصر لكل السلطات في يده، فكان بعض معاونيه ينتهزون هذه الفرصة ويتصرفون على أساس أن المسئولية مُركزة وبالتالي فمن حق كل واحد منهم أن يُركز سلطة القطاع الذى يشرف عليه في يده، ويتصرف فيه كما يشاء، وتكون النتيجة أن ترتكب أخطاء كثيرة وجسيمة باسم عبد الناصر، بينما عبد الناصر برئ منها، ولكنهم استخدموا ثقته فيهم في تنفيذ مآربهم وأغراضهم، نظرًا لأنه لم يكن في استطاعته أن ينهض بكل التفاصيل، ولذلك

---

(١) الجمعة ١٥ شعبان ١٣٩٠هـ

ارتكبت هذه الأخطاء الجسيمة دون علمه، ولكنها التصقت به في نهاية الأمر. وقد كان اقتناعي الثابت هو أن أعمل بكل قوتي على إيجاد الفريق المتجانس الذى يحمل المسئولية بكل حب وتعاون وعطاء، واضعًا في اعتباره مصلحة مصر فوق أي اعتبار آخر وأحمد الله أني استطعت تحقيق ذلك بعد خمس سنوات كاملة من المعاناة أي في عام ١٩٧٥.

وللحقيقة والتاريخ، فإن عبد الناصر في رقبتى دينًا يفرض على الوفاء له، خاصة ونحن نتعرض للتقييم الموضوعى لمرحلة عبد الناصر، وهو ما يتحتم إبراز السلبيات لتجنبها وتأكيد الإيجابيات لتأصيلها، فإن كنت لم أتصارع مع عبد الناصر وهو حى، فلا يمكن أن أتصارع معه بعد أن رحل، واختلافى معه كان حول الوسائل والأساليب. أما فيما يختص بالقيم والغايات، فكنا دائمًا على أتم اتفاق ووفاق، ولا عجب في هذا، فقد كنا أصدقاء منذ العام العشرين من عمرنا، وظللنا على هذه الصداقة والزمالة حتى يوم رحيله، ولكن هذا لا ينفى أننا نختلف في طبائعنا، بل أن هذا الاختلاف شيء تفرضه الطبيعة البشرية التي لا تحتمل التكرار.

ومن ملامح الاختلاف بيننا على سبيل المثال، أن عبد الناصر كان من هذا النوع من الناس الذى يعيش دائمًا على أعصابه، حياته عبارة عن وتر مشدود طوال الأربع والعشرين ساعة، وفي الواقع لم يكن عبد الناصر يفتعل هذا الجو المتوتر على سبيل إحاطة الحكم بالهيبة اللازمة، بل كانت هذه طبيعته، سواء قبل الثورة أو بعدها، منذ أن خطط للثورة، وبعد أن أصبح عضو مجلس قيادة الثورة، ثم رئيسًا له حتى تولى رئاسة الجمهورية.

كانت طبيعته المتوترة سمة أساسية في تكوينه منذ العشرين من عمره، ولم يستطع التخلص منها، بل يبدو أن أعباء الحكم ومسئولياته قد زادت من حدتها.

ولقد جعلت هذه الطبيعة المشدودة الاقتراب منه شيئًا ليس بالسهولة التي قد تخطر على بالنا، فقد صنع هذا الجو المتكهرب حاجزًا صلبًا بينه وبين الآخرين، ولذلك لم يكن لعبد الناصر صداقات بالمفهوم البسيط لمعنى الصداقة. هذا إذا استثنينا عبد الحكيم عامر، الذى كان صداقة العمر بالنسبة له، هذه الصداقة التي استمرت زهاء ثلاثين عامًا، أما صداقتى له فتعتمد على قيمة إنسانية كبيرة من القيم التي شكلت حياتى منذ الطفولة، هذه القيمة هي الوفاء الذى تعلمته في القرية والذى كان النبع الرئيسى الذى أمدنى بالسلام الروحى، وبدونه لا يمكن أن يكون الإنسان منطقيًا، سواء مع نفسه أو مع الآخرين.

ولا أستطيع أن أشعر الآن إلا بالوفاء لجمال عبد الناصر وذكراه، وهذا الوفاء أو الدين الذى عنقى تجاهه يرجع إلى بدايات العمل من أجل الثورة، فقد انغمست في الكفاح السياسى حتى أذنى بعد تخرجى في الكلية الحربية بعام واحد، ولم أكن قد تجاوزت العشرين من عمرى. بعدها بدأت المخابرات البريطانية تتعقبنى وتطاردنى

في كل مكان آمن أحل فيه، وأرجو أن تتاح لى الفرصة لتسجيل هذه الحقبة المصيرية من تاريخ مصر الحديث، ولكن المهم الآن هو تسجيل بدايات الصداقة والوفاء والزمالة بينى وبين عبد الناصر.

في ليلة القدر عام ١٩٤٢، وهى الليلة التي توافق ٢٦ رمضان أعلنت بالطرد من الخدمة العسكرية، وتسلمنى البوليس السياسى الذى كان يديره في ذلك الوقت محمد إبراهيم إمام[١]، وأودعت سجن الأجانب، وكانت أول مرة في حياتى أتناول فيها إفطار رمضان في السجن، إذ كنت صائمًا كعادتى منذ طفولتى المبكرة، بعد ذلك نُقِلت من سجن الأجانب إلى معتقل المنيا الذى يقع في بلدة صغيرة بالقرب من المنيا تسمى "ماقوسة"[٢]، ومن معتقل ماقوسة رحلونى إلى معتقل الزيتون الذى هربت منه في أكتوبر سنة ١٩٤٤، وبعد ذلك سقطت الأحكام العرفية أثناء هروبى متخفيًا في سبتمبر سنة ١٩٤٥، فعُدت إلى الحياة العادية مرة أخرى باسمى الحقيقى.

في سبتمبر سنة ١٩٤٥، قمت بتشكيل الجمعية السرية التي اتهمت في يناير سنة ١٩٤٦ باغتيال أمين عثمان، وبذلك عدت مرة أخرى إلى السجن في ١١ يناير سنة ١٩٤٦[٣]، وخرجت منه في يوليو سنة ١٩٤٨، أي قضيت في السجن ٣١ شهرًا، وبذلك أكون قد قضيت الفترة بين عامي ١٩٤٢، ١٩٤٨ بين المعتقلات والسجون والمطاردة والتشريد، وعند خروجى من السجن عام ١٩٤٨، كانت حرب فلسطين قد هدأت بالهدنة الأولى الشهيرة، وطلبت أن أعود إلى القوات المسلحة، ولكن طلبى رُفض لأن النيابة كانت قد استأنفت الحكم وتحتم على الانتظار حتى يتأكد الحكم.

أمضيت بقية عام ١٩٤٨ وعام ١٩٤٩ في الأعمال الحرة، ولكننى تمكنت من العودة إلى الجيش مرة أخرى في يناير ١٩٥٠، بفضل الله عز وجل، وكنت قد اختلفت مع شريكى في الأعمال الحرة فافترقنا، وأصبحت مفلسًا لا أملك شيئًا على الإطلاق، ولكن الله سبحانه وتعالى لم يتخل عنى والتحقت فعلا بالجيش.

هنا فقط عادت الصداقة بينى وبين عبد الناصر إلى ما كانت عليه بعد أن كنا قد افترقنا منذ عام ١٩٤٠، عندما ذهب مع وحدته إلى السودان الذى عاد منه في أواخر عام ١٩٤٢، بعد القبض على.

---

(١) اللواء محمد إمام إبراهيم.. أشهر من تولى رئاسة جهاز البوليس السياسى فى الفترة من ١٩٤٨ وحتى ١٩٥٢م.

(٢) يقع على بعد كيلومترين من مدينة المنيا.

(٣) الثلاثاء



عبد المنعم عبد الرؤوف..

في أوائل الثورة كتبت عن حياة عبد الناصر، وقلت أنه لم يبدأ معنا الكفاح السياسى عام ١٩٣٩، وكان الزميل رقم ٢ بعدى هو عبد المنعم عبد الرؤوف[1]، وفى الطيران كان هناك بغدادى وحسن عزت وحسن إبراهيم، وسعودى، وفى الفرسان كان هناك خالد محيى الدين، وقد انضم عبد المنعم عبد الرؤوف بعد ذلك إلى الإخوان، ولكن عندما عاد عبد الناصر من السودان في ديسمبر عام ١٩٤٢[2]، أي بعد القبض على في يوليو عام ١٩٤٢، اتصل عبد المنعم عبد الرؤوف بجمال، وبذلك نستطيع القول بأنه منذ نهاية عام ١٩٤٢ وأوائل عام ١٩٤٣، تولى جمال الإشراف الكامل على التنظيم حتى قامت الثورة في عام ١٩٥٢، أي أن عبد الناصر كان المحرك الفعلى للتنظيم أثناء الفترة التي قضيتها بين المعتقلات والسجون من عام ١٩٤٢ إلى عام ١٩٤٨ ثم إلى قيام الثورة عام ١٩٥٢[3].

عندما عدت إلى الجيش عام ١٩٥٠، كان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر من أوائل الزملاء الذين اتصلوا بى، فقد زارانى في شقتى التي كنت أسكنها بالمنيل، وعبرا عن تهانيهما القلبية بعودتى إلى الجيش، بل وساعدانى على تأدية امتحانات

([1]) الفريق طيار عبد المنعم عبد الرؤوف بسيم أبو الفضل.. ولد ١٦ مايو ١٩١٤م وشارك فى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م وتوفى ٣١ يوليو ١٩٨٥م

([2]) يذكر السادات هنا وفى البحث عن الذات بأن عبد الناصر قد عاد من السودان فى ديسمبر ١٩٤٢.. وهذا ينافى الحقيقة:

- السادات نفسه يذكر فى كتابه "أسرار الثورة المصرية: ((وقد تختفى من بيننا أسماء فى كثير من الأوقات كما اختفى اسم عبد الناصر عامين كاملين بين ديسمبر ١٩٣٩ وديسمبر ١٩٤١، إذ كان فى هذه الفترة قد نقل إلى السودان)).

أى أن عبد الناصر عاد من السودان فى ديسمبر ١٩٤١ وليس ديسمبر ١٩٤٢.

- كما أن هناك دليل لا مجال بعده لنقاش أو جدال فهو ملف الخدمة العسكرية الخاص بعبد الناصر، ويحمل هذا الملف الرقم ٢٤٣٤ ويتضح منه أن عبد الناصر وصل القاهرة فى النصف الأول من نوفمبر ١٩٤١ وأنه أمضى عام ١٩٤٢ بأكمله فى مصر بين الصحراء الغربية والكتيبة الثالثة والكلية الحربية بالقاهرة، ولم يمض هذا العام كما ذكر السادات فى السودان.

ويرى جمال حماد أن السبب فى تغيير السادات لتاريخ عودة عبد الناصر وتأخيره عام كامل وذلك لأن السادات نفسه اعتقل أغسطس ١٩٤٢م.. و(لو ذكر السادات التاريخ الصحيح لانتابت الناس الدهشة ولتساءلوا: وكيف لم تتم أية لقاءات بين السادات وزميله عبد الناصر فى القاهرة عقب عودته من السودان طوال المدة التى قضاها الأخير فى مصر قبل اعتقال السادات (من نوفمبر ١٩٤١ حتى أغسطس ١٩٤٢)..... وكان اللقاء بالطبع سهلا متيسرا خاصة وأن البيت الذى كان يقطن فيه السادات وقتئذ كان فى كوبرى القبة أى على مسافة شديدة القرب من معسكر الكتيبة الثالثة بمنشية البكرى، بل هو فى طريق ذهابه وإيابه من عمله.).

([3]) يحاول السادات هنا التمهيد بأنه من قام بإنشاء تنظيم الضباط الأحرار.. وهو ما قام به بالفعل فى كتابه "البحث عن الذات".. وهو ما رد عليه جمال حماد فى كتابه "أسرار ثورة ٢٣ يوليو".. فالتنظيم الذى يتحدث عنه السادات يتكون من مجموعة من سلاحى الطيران والفرسان.. ويتعجب جمال حماد من تشكيل السادات لتنظيم من الطيران وهو يعمل فى سلاح الإشارة بالمعادى أى يفصل بينه وبينهم ما لا يقل عن ثلاثين كيلو مترا.

فى حين لا يوجد فى هذا التنظيم أحد من سلاح الإشارة الذى كان فيه السادات.. فهل من المنطقى أن يقوم ضابط فى سلاح الإشارة بتشكيل تنظيم من سلاحى الطيران والفرسان ولا يضم فيه أحدًا غيره من سلاح الإشارة؟؟!!

كما يذكر السادات فى "البحث عن الذات" بأنه كان ضمن التنظيم الذى أنشأه سنة ١٩٣٩"خالد محيى الدين" فى حين أن "خالد محيى الدين عام ١٩٣٩ لم يكن قد تخرج بعد من الكلية الحربية.

هذا فضلا عن أن "خالد محيى الدين" نفسه ذكر أن أول صلة له بأحداث السياسة كانت فى صيف عام ١٩٤٢ عندما عُين حرسًا على الطيار حسن عزت بعد اعتقاله مع السادات فى ميس سلاح الفرسان فى قضية الجاسوسين الألمانيين فى أغسطس ١٩٤٢.

الترقية فقد رجعت برتبة النقيب التي كانت تقابل رتبة اليوزباشى في ذلك الوقت، وكان على أن أؤدى امتحانات الترقية إلى رتبة المقدم التي تقابل رتبة البكباشى، أي أن أؤدى الامتحانات لترقيتى رتبتين متتاليتين، ولن أنسى مساعدتهما القيمة والأخوية في هذا المجال.

هنا، أعود إلى قيمة الوفاء المقدسة في حياتى، فأقول أننى عندما عدت إلى الجيش عام ١٩٥٠، كان التنظيم الذى أشرف عليه عبد الناصر منذ أواخر عام ١٩٤٢، قد تبلور وبدأ يأخذ شكله المميز ووضعه المحدد، كان جمال عبد الناصر قد أنشأ قيادة للتنظيم تحت اسم الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار، ومن المعروف أن جمال قد حارب في فلسطين وخرج من الحرب بعقيدة ثابتة، وهى أن الإصلاح لابد أن يبدأ من داخل مصر نفسها، وأثناء الحرب بدأ يُفكر في الأعضاء الذين يمكن اختيارهم للقيام بهذه المهمة، فاختار أولا زملاء ممن شاركوا معه في الحرب، كصلاح سالم[١]، وكمال الدين حسين[٢]، وزكريا محيى الدين[٣]، وعبد الحكيم عامر، وبدأت بعد ذلك الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار بجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم وكمال الدين حسين ثم انضم لهم بعد ذلك جمال سالم[٤] وبغدادى[٥] وحسن إبراهيم[٦] وخالد محيى الدين[٧] وأنا..

(١) صلاح مصطفى سالم: ولد ٢٥ سبتمبر ١٩٢٠م في مدينة سنكنات شرق السودان حيث كان والده موظفًا هناك.. تعرف على جمال عبد الناصر أثناء حصاره فى الفالوجة وانضم لتنظيم الضباط الأحرار الذى أسسه جمال عبد الناصر وأصبح الهيئة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار وعضو مجلس قيادة الثورة.. وتوفى ١٨ فبراير ١٩٦٢م حيث كان أول من توفى من مجلس قيادة الثورة.

(٢) كمال الدين حسين عبد الرحمن: ولد في القليوبية عام ١٩٢١م.. حصل على بكالوريوس العلوم العسكرية من الكلية الحربية عام ١٩٣٩.. انضم لتنظيم الضباط الأحرار الذى أسسه جمال عبد الناصر وأصبح الهيئة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار وعضو مجلس قيادة الثورة.. عين وزيرا للشئون الاجتماعية عام ١٩٥٤ ثم وزيرا للتربية والتعليم وساهم في تأسيس نقابة المعلمين واختير نقيبا للمعلمين عام ١٩٥٩.. وفي ٤ مارس ١٩٦٤ حدث صدام بينه وبين مجلس قيادة الثورة وقدم استقالته على اثر ذلك.. وفى ١٤ أكتوبر ١٩٦٥ صدر قرار بتحديد إقامة كمال الدين حسين وزوجته في إحدى الاستراحات بالهرم.. توفى فى ٢٩ يونيو ١٩٩٩م.

(٣) زكريا عبد المجيد محيى الدين: ولد في ٧ مايو ١٩١٨م فى كفر شكر بمحافظة القليوبية.. التحق بالمدرسة الحربية في عام ١٩٣٦م وتعرف على جمال عبد الناصر عن قرب في منقباد.. وتخرج من كلية أركان الحرب عام ١٩٤٨ وسافر مباشرة إلى فلسطين.. انضم للضباط الأحرار قبل قيام الثورة بحوالي ٣ شهور.. تولي منصب مدير المخابرات الحربية عامي ١٩٥٢ - ١٩٥٣م.. عين وزير داخلية عام ١٩٥٣م.. عين وزير داخلية الوحدة مع سوريا ١٩٥٨.. عندما تنحي جمال عبد الناصر عن الحكم عقب هزيمة ١٩٦٧ ليلة ٩ يونيو أسند الحكم إلى زكريا محي الدين ولكن الجماهير خرجت في مظاهرات تطالب ببقاء عبد الناصر في الحكم.. اعتزل الحياة السياسية عقب هذه المظاهرات.. وتوفى ١٥ مايو ٢٠١٢م.

(٤) جمال مصطفى سالم: ولد عام ١٩١٨م.. وانضم لتنظيم الضباط الأحرار الذى أسسه جمال عبد الناصر وأصبح الهيئة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار وعضو مجلس قيادة الثورة.. وأختير رئيسًا للجنة العليا للإصلاح الزراعى التي لعبت دورًا بارزًا في تصفية ممتلكات كبار ملاك الأراضى الزراعية. أصيب بالسرطان وتوفى في مايو ١٩٦٨م.

(٥) عبد اللطيف البغدادى: ولد ٢٠ سبتمبر ١٩١٧م.. انضم لتنظيم الضباط الأحرار الذى أسسه جمال عبد الناصر وأصبح الهيئة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار وعضو مجلس قيادة الثورة.. وتوفى ٨ يناير ١٩٩٩م.

(٦) حسن إبراهيم: ولد فى ١٩١٧م بالإسكندرية.. وانضم لتنظيم الضباط الأحرار الذى أسسه جمال عبد الناصر وأصبح الهيئة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار وعضو مجلس قيادة الثورة.. وتوفى ١٩٩٠م.

(٧) خالد عبد المجيد محيى الدين: ولد بمحافظة القليوبية عام ١٩٢٢.. تخرج من الكلية الحربية عام ١٩٤٠م.. وانضم لتنظيم الضباط الأحرار عام ١٩٤٤م.. استقال من مجلس قيادة الثورة في مارس ١٩٥٤م.. تولي رئاسة مجلس إدارة وتحرير دار أخبار اليوم خلال عامى ١٩٦٤ و ١٩٦٥م. وتوفى ٦ مايو ٢٠١٨م.

وقد تمثل دين جمال في عنقى في إصراره على ضمى إلى الهيئة التأسيسية بعد عودتى إلى الجيش عام ١٩٥٠، فقد أخبر أعضاء الهيئة التأسيسية أن تاريخى في الكفاح السياسى لا يمكن التغاضى عنه، بل على العكس يمكن الاستفادة منه ومن خبرته، وقد طلب جمال أيضًا ضم عبد المنعم عبد الرؤوف إلى الهيئة التأسيسية بحكم أنه كان رقم ٢ بعدى في التنظيم، كما قلت من قبل، وتم ضم عبد المنعم عبد الرؤوف بالفعل، وقد أخبرنى جمال أن عضوً واحدًا من الهيئة التأسيسية - ولا داعى لذكر اسمه - عارض في ضمى إلى الهيئة، ولكن جمال عبد الناصر لم يأبه لهذه المعارضة، متمسكًا باحترام المعانى والقيم والمثل التي اضطهدت من أجلها، سواء كنت معتقلا أو مشردًا أو سجينًا، وبالفعل انضممت إلى الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار بفضل إصرار جمال على رأيه وتقديره.

هذا هو الدين الذى في عنقى تجاه جمال، وهو الدين الذى لم ولن أنساه له طوالى حياتي، كان وفائى له سببًا في تجنب كل مظاهر الصراع أو الحقد أو الغيرة التي حاول الآخرون الادعاء بوجودها بيني وبينه، وهذا يفسر ردى على السؤال الذى ووجهت به أثناء زيارتى لفرنسا هذا العام وهو:

هل أحس بالغيرة كلما ذكر اسم جمال عبد الناصر أمامى مثلما كانت الغيرة تنهش بومبيدو[١] كلما ذكر اسم ديجول[٢] في حضرته؟

فقلت لهم: لم أشعر بهذه الغيرة إطلاقًا، لأن جمال كان زميلي وصديقى وأخي، وكانت ثقتى فيه كاملة ومُطلقة، ومهمتى الآن لا تتيح لى الانشغال بمثل هذه الأحاسيس العابرة، فأنا منهمك في إكمال المسيرة التي بدأها عبد الناصر عن اقتناع وعن إيمان.

وعندما أقول أننى لم ولن أنسى دين جمال في عنقى، فهذا لأنه كان من الممكن ألا يتمسك بانضمامى إلى الهيئة التأسيسية وله الحق كل الحق في هذا، فقد كان يكافح منذ عام ١٩٤٣ حتى عام ١٩٥٠، مع أعضاء التنظيم، وكنت قد انفصلت عنهم تمامًا، فكان من الممكن ألا أنضم إليهم، ولم يكن هذا يسبب لى أي حزن أو أسف أو حقد أو ضغينة، لأننى سأكون عندئذ ضابطًا من ضباط التنظيم العادى. وهذا هو معنى الوفاء الذى استمر من ناحيتى تجاهه والذى كان سببًا في نقطة التحول الكبيرة في حياتى فيما بعد، والتي تمثلت في توليتى رئاسة الجمهورية، وهو التحول الذى لم أفكر فيه في يوم من الأيام ولم أتصوره أو أعمل له، أي أنه كما اختارنى للانضمام إلى الهيئة

(١) جورج جان ريموند بومبيدو: سياسى فرنسى ولد فى ٥ يوليو ١٩١١م وتولى الرئاسة الفرنسية من ٢٠ يونيو ١٩٦٩م حتى وفاته فى ٢ أبريل ١٩٧٤م.

(٢) شارل ديجول: جنرال ورجل سياسة فرنسى ولد فى ٢٢ نوفمبر ١٨٩٠م.. وتولى رئاسة الجمهورية الفرسنية من ٨ يناير ١٩٥٩م حتى ٢٨ أبريل ١٩٦٩م. وتوفى فى ٩ نوفمبر ١٩٧٠م.

التأسيسية للضبط الأحرار عام ١٩٥٠ اختارنى أيضًا لأكون نائبًا وحيدًا له عام ١٩٦٩.

ملخص ماتشر

عندما أصر عبد الناصر على انضمامي الى الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار



سجل الرئيس السادات في حديثه ذكرياته عن مفاجأة وفاة جمال عبدالناصر وما تم بعد ذلك من اجراءات ، وظهور تحركات مراكز القوى الى ان قرر ان يتم انتخاب رئيس الجمهورية بعد دفن عبد الناصر باسبوعين

ذكريات الأيام الأولى بعد وفاة عبدالناصر كماسجلها الرئيس السادات

● الذين أرادوا تأجيل انتخابات الرئاسة



مجلس قيادة الثورة اثناء احد الاجتماعات ..

● من كان يريد أن يكون رئيسا للوزارة ؟

الشعب لا يطلب مني أن أكون نسخة مكررة من عبد الناصر

● لماذا رفضت اقتراح أعضاء مجلس قيادة الثورة

□

● لم أنس استعمال السلاح الذي سألجأ اليه عند الضرورة



الرئيسان يشاهدان احدى المناورات الحربية ..



عبد المنعم عبد الرؤوف ..

بدء الصراع .. معركة انتقال السلطة

قد تكون مراكز القوى في ذلك الوقت غير مرتاحة لقراري باتخاذ الاجراءات واجراء الانتخابات لتسمية رئيس الجمهورية . ولكنها لم تظهر اية علامة من علامات الاستياء ، انتظارا للفرص التي تمكنها من قلب الاوضاع . وفي اليوم التالي لدفن عبد الناصر وكان يوم جمعة ، بدأت المناورات تتخذ شكلا ملموسا ومحدودا ، فقد جاء اثنان منهم الى قصر العروبة لمقابلتي واعربا عن خوفهما المصطنع من حدوث شرخ او انشقاق في جلسة اللجنة التنفيذية العليا المحدد لها اليوم التالي وهو يوم السبت ، وتحججا بأن هناك اعتراضا على مسألة تحديد الانتخابات بعد أسبوعين مباشرة من دفن عبد الناصر ، وكان مثار الاعتراض اننا لسنا في حاجة ملحة الى حسم الامور بهذه العجلة ، لان المسألة ستبدو وكان المقصود منها هو انتخاب شخص محدد بالذات .

حسمت الامور — كعادتي — وافهمت من جاءني انني اتخذت قراري باجراء الانتخابات بصفتي نائبا لرئيس الجمهورية الراحل الذي ترك لي امانة هذا الشعب ، ولن افرط في هذه الامانة مهما احتدمت الصراعات وتكاثرت المناورات . ولن يقرر مصير هذه الامانة سوى الشعب الذي هو صاحبها الشرعي . فعندما ينتخب الشعب رئيس جمهورية ، بصرف النظر عن شخص الرئيس الجديد بالذات ، سأقوم فورا بتسليمه الامانة التي لن يحسد ابدا على حملها . اما اساليب المناورات والصراعات ، والخروج عن دستورنا القومي وخطنا الاصيل وتقاليدنا المصرية ، فسأقابلها بمنتهى الحسم ، بل وبمنتهى الردع ، وقد عشت حياتي جنديا محاربا او مكافحا مضطهدا ، ولم انس بعد استعمال السلاح الذي سالجأ اليه عند الضرورة .. وقد سجلت كل هذه التفاصيل لكي تحفظ التاريخ .

ومن هنا بدأت ملامح الصراع بيني وبين ما يسمى بمراكز القوى تتضح ، وساعود اليها بالتفصيل في التسجيل التالي ، ويهمني الان التركيز على علاقتي الفكرية بعبد الناصر وتحليل مفهوم هذه العلاقة التي كان لها صلة مباشرة بسنوات الحسم التي نحن بصدد سرد تاريخها في هذا التسجيل ..

وحدة المبادىء واختلاف الأسلوب

كان هناك تقليد وضعه عبد الناصر ، يقضي بترشيح رئيس الوزراء امام اللجنة المركزية ، وطبقا لهذا التقليد قمت بترشيح الدكتور محمود فوزي رئيسا للوزراء ، عندما انعقدت اللجنة المركزية لاول مرة بعد وفاة عبد الناصر يوم الاثنين ٥ اكتوبر سنة ١٩٧٠ . ولكن هذا الترشيح لم يلق اي ترحيب سواء من مراكز القوى لانهم يكرهون الدكتور فوزي ، او من بعض اعضاء اللجنة العليا للاتحاد الاشتراكي الذين كانوا يطمعون في رئاسة الوزارة ..

ولم احب — كعادتي — ان اترك الامور بهذا التسيب والتميع ، فالوضوح هو المنهج الذي احسم به كل المسائل دون استثناء ، ولذلك اخبرتهم بمنتهى الصراحة انني لا استطيع ان اتبع نفس الاساليب التي سار عبد الناصر على نهجها قبلي ، وهذا لا يعني انني اختلف مع عبد الناصر على المبادىء الاساسية التي ارتضاها كل منا ، ولكنه يعني اننا نختلف في الوسائل والاساليب برغم ان الاهداف دائما واحدة . ان الشعب يطلب مني — وله الحق كل الحق في هذا — ان احقق الاهداف القومية التي كان يسعى اليها عبد الناصر ولم يمهله الموت حتى يحققها ، ولكن الشعب في الوقت ذاته لا يطلب مني ان اكون نسخة مكررة من عبد الناصر ، لان الطبيعة البشرية تأبى هذا التكرار .

ومن المعروف ان كل انسان على وجه هذه الارض يختلف عن الاخر اختلاف بصمات الاصابع ، سواء في البيئة او العائلة او النشأة او التربية او التعليم او الثقافة ، وهذا الاختلاف الطبيعي لا يتعارض مع الزمالة او الصداقة ، ومن السذاجة وقصر النظر ان نطلب من انسان ان يتحول الى نسخة باهتة من انسان آخر ، مهما كان حبنا واحترامنا لهذا الانسان ، ولذلك دهشت من مطالبتي بان اسير بنفس الاساليب التي اتبعها عبد الناصر من قبل ، لان المسألة هي مسألة غاية وليست مسألة وسيلة .

وشرحت لهم ايضا كم كانت لي جلسات طويلة مع عبد الناصر سواء في بيتي او في بيته ، واستمرت هذه الجلسات حتى قبيل وفاته ، وكان عبد الناصر مدركا ومتقبلا لاختلافي معه في الاساليب والوسائل ، وقد اقتضت الحكمة الا اذيع شيئا عن هذه الخلافات لانني لست من هواة المناورات والصراعات واستعراض العضلات ، ولانني كنت مؤمنا بأن عبد الناصر **قادر دائما على التصرف** ، وطالما ان هذا هو ايماني واقتناعي فلا ضرورة لمشكلات انا في غنى عنها . **وايضا فان مشكلة الحكم تقتضي وجود رجل مسئول مسئولية اخيرة وتاريخية عن اتخاذ القرارات المصيرية ، وبعد ذلك يأتي دور الشعب للحكم عليه وتقييم قراراته .**

ولم اكن سلبيا تماما فيما يختص بقضية اختلافي في الوسائل مع عبد الناصر ، لانه بطول عام ١٩٧٠ بالذات وحتى وفاته ، كنت اتناقش واتجادل معه بخصوص ضرورة تغيير المنهج والاسلوب الذي ادى بنا الى هزيمة سنة ١٩٦٧ ، وخاصة ان شعبنا العظيم الذي صمد بعد الهزيمة واعاد عبد الناصر كرمز لارادة الصمود ، من حق هذا الشعب ان يختار الاسلوب الذي يتفق مع مقوماته الاصيلة ، وهي المقومات التي تختلف بطبيعتها من الاسلوب الذي ادى الى هزيمة سنة ١٩٦٧ . وقد كان لي رأي في ضرورة احداث هذا التغيير ابتداء من يوم ١٠ يونيو ٦٧ مباشرة عقب ان اعاد الشعب عبدالناصر واتخذت فعلا خطوات محددة لتحقيق هذا التغيير كما سأروي عندما اتناول الايام السوداء من يونيو ٦٧ .

وقد ادى اسلوب جمال عبدالناصر في الحكم الى تطورات كثيرة متتابعة ، كانت تفرضها الاحداث ، واحيانا كانت تفرضها طبيعة عبد الناصر نفسه ، وشملت هذه التطورات مجلس قيادة الثورة منذ السنوات الاولى للثورة ، وقد فوجئت بعد وفاة عبد الناصر بعدد من الاصدقاء اعضاء مجلس قيادة الثورة القديم يرسلون لي اقتراحا في عريضة وقعوها ، وكان سبب المفاجأة بالنسبة لي ، هو انه لم يخطر على فكري ابدا ان اعود بالتاريخ الى الوراء ، او ان ابدأ من حيث بدأنا منذ اكثر من عشرين سنة ، بدلا من ان نستمر بما انتهينا اليه بعد كل هذه السنوات .. كان مجرد مثل هذا التفكير لا يمكن ان يخطر ببالي ، ولا يمكن حتى مجرد مناقشته ، لا مساسا بتقدير الاشخاص وهم اخوة وزملاء لهم دورهم ، ولكن حرصا على التقدم بالمسيرة لا الرجوع بها الى الوراء ..

وكانت خلاصة العريضة التي ارسلها اعضاء مجلس قيادة الثورة ، هي اقتراح بعودة مجلس قيادة الثورة القديم الى الحكم لمدة سنة على اساس انشاء جمعية تأسيسية ، وان اتولى بحكم منصبي كنائب لرئيس الجمهورية رئاسة مجلس قيادة الثورة لحين القيام بعمل انتخابات رئيس الجمهورية ، وعلى الجمعية التأسيسية ان تحضر للدستور .

كان معنى هذا ان يظل البلد في الفراغ الكامل الذي تركه عبد الناصر بعد رحيله ، وكان معناه ايضا ان ندخل في صراعات بينما العدو يدق ابواب مصر ، لان انتخابات رئيس الجمهورية من بين اعضاء المجلس القديم لا يعني سوى الصراع بسبب تأييد شخص ضد آخر وهكذا .

وطبعا رفضت الاقتراح الذي قدم الي تجنبا لمثل هذه الصراعات التي سبق وان تعرض لها مجلس قيادة الثورة ودارت في داخله منذ عام ١٩٥٤ ، ولاقتناعي بانى لا يمكن ان اعود بالتاريخ الى الوراء ، وحرصي على أن تستمر مصر وتتقدم وتتطور من حيث هي واقفة ..

الوفاء يربطني دائما بعبد الناصر

تمت الانتخابات بالفعل، وتلقيت النتيجة يوم ١٦ اكتوبر ١٩٧٠ الذي كان يوافق نصف شعبان، وبعد انتخابي مباشر بدأت مشاورات تشكيل الوزارة وشكل الحكم ، **واعلنت منذ البداية انني لا استطيع ولا اوافق على جمع السلطات كلها في يد واحدة طالما ان الفرصة سنحت لتوزيع أعباء السلطة والمسئولية ، بمعنى ان يكون هناك رئيس للوزراء ، وامين للاتحاد الاشتراكي ، وذلك لايماني وتجربتي على مدى ما يقرب من عشرين عاما ، ان تسيير دفة الامور في البلد بفرد واحد يؤدي الى مخاطر ومزالق عديدة ، وقد حدث هذا بالنسبة لعبد الناصر ، لانه بشر ، ومهما كانت طاقته فليس في وسعه ان يلم بكل الامور .**

كانت مراكز القوى هي النتيجة الطبيعية لجمع عبد الناصر لكل السلطات في يده ، فكان بعض معاونيه ينتهزون هذه الفرصة ويتصرفون على اساس ان المسئولية مركزة وبالتالي فمن حق كل واحد منهم ان يركز سلطة القطاع الذي يشرف عليه في يده ، ويتصرف فيه كما يشاء ، وتكون النتيجة ان ترتكب أخطاء كثيرة وجسيمة باسم عبد الناصر ، بينما عبد الناصر بريء منها ، ولكنهم استخدموا ثقته فيهم في تنفيذ مآربهم واغراضهم ، نظرا لانه لم يكن في استطاعته ان ينهض بكل التفاصيل ، ولذلك ارتكبت هذه الاخطاء الجسيمة دون علمه ، ولكنها التصقت به في نهاية الامر. وقد كان اقتناعي الثابت هو ان اعمل بكل قوتي على ايجاد الفريق المتجانس الذي يحمل المسئولية بكل حب وتعاون وعطاء ، واضعا في اعتباره مصلحة مصر فوق اي اعتبار آخر واحمد الله اني استطعت تحقيق ذلك بعد خمس سنوات كاملة من المعاناة اي في عام ١٩٧٥ .

وللحقيقة والتاريخ ، فان لعبد الناصر في رقبتي دينا يفرض علي الوفاء له ، خاصة ونحن نتعرض للتقييم الموضوعي لمرحلة عبدالناصر، وهو ما يحتم ابراز السلبيات لتجنبها وتأكيد الايجابيات لتأصيلها ، فان كنت لم اتصارع مع عبد الناصر وهو حي ، فلا يمكن ان اتصارع معه بعد أن رحل ، واختلافي معه كان حول الوسائل والاساليب . اما فيما يختص بالقيم والغايات ، فكنا دائما على اتم اتفاق ووفاق ، ولا عجب في هذا ، فقد كنا اصدقاء منذ العام العشرين من عمرنا ، وظللنا على هذه الصداقة والزمالة حتى يوم رحيله ، ولكن هذا لا ينفي اننا نختلف في طبائعنا ، بل ان هذا الاختلاف شيء تفرضه الطبيعة البشرية التي لا تحتمل التكرار

ومن ملامح الاختلاف بيننا على سبيل المثال ، ان عبد الناصر كان من هذا النوع من الناس الذي يعيش دائما على اعصابه ، حياته عبارة عن وتر مشدود طوال الاربع والعشرين ساعة ، وفي الواقع لم يكن عبد الناصر يفتعل هذا الجو المتوتر على سبيل احاطة الحكم بالهيبة اللازمة ، بل كانت هذه طبيعته ، سواء قبل الثورة او بعدها ، منذ ان خطط للثورة ، وبعد ان اصبح عضو مجلس قيادة الثورة ، ثم رئيسا له حتى تولى رئاسة الجمهورية .

كانت طبيعته المتوترة سمة اساسية في تكوينه منذ العشرين من عمره ، ولم يستطع التخلص منها ، بل يبدو ان اعباء الحكم ومسئولياته قد زادت من حدتها .

ولقد جعلت هذه الطبيعة المشدودة الاقتراب منه شيئا ليس بالسهولة التي قد تخطر على بالنا ، فقد صنع هذا الجو المتكهرب حاجزا صلبا بينه وبين الاخرين، ولذلك لم يكن لعبد الناصر صداقات بالمفهوم البسيط لمعنى الصداقة . هذا اذا استثنينا عبد الحكيم عامر ، الذي كان صداقة العمر بالنسبة له ، هذه الصداقة التي استمرت زهاء ثلاثين عاما ، **اما صداقتي له فتعتمد على قيمة انسانية كبيرة من القيم التي شكلت حياتي منذ الطفولة ، هذه القيمة هي الوفاء الذي تعلمته في القرية والذي كان النبع الرئيسي الذي امدني بالسلام الروحي ، وبدونه لا يمكن ان يكون الانسان منطقيا ، سواء مع نفسه او مع الاخرين .**

ولا استطيع أن اشعر الان إلا بالوفاء لجمال عبد الناصر وذكراه ، وهذا الوفاء او الدين الذي في عنقي تجاهه يرجع الى بدايات العمل من اجل الثورة ، فقد انغمست في الكفاح السياسي حتى الذي بعد تخرجي في الكلية الحربية بعام واحد ، ولم اكن قد تجاوزت العشرين من عمري . بعدها بدأت المخابرات البريطانية تتعقبني وتطاردني في كل مكان آمن احل فيه ، وارجو ان تتاح لي الفرصة لتسجيل هذه الحقبة المصيرية من تاريخ مصر الحديث ، ولكن المهم الان هو تسجيل بدايات الصداقة والوفاء والزمالة بيني وبين عبد الناصر .

في ليلة القدر عام ١٩٤٢ ، وهي الليلة التي توافق ٢٦ رمضان اعلنت بالطرد من الخدمة العسكرية ، وتسلمني البوليس السياسي الذي كان يديره في ذلك الوقت محمد ابراهيم امام ، واودعت سجن الاجانب ، وكانت أول مرة في حياتي اتناول فيها افطار رمضان في السجن ، اذ كنت صائما كعادتي منذ طفولتي المبكرة ، بعد ذلك نقلت من سجن الاجانب الى معتقل المنيا الذي يقع في بلدة صغيرة بالقرب من المنيا تسمى « ماقوسة » ، ومن معتقل ماقوسة رحلوني الى معتقل الزيتون الذي هربت منه في اكتوبر سنة ١٩٤٤ ، وبعد ذلك سقطت الاحكام العرفية اثناء هروبي متخفيا في سبتمبر سنة ١٩٤٥ ، فعدت الى الحياة العادية مرة أخرى باسمي الحقيقي .

في سبتمبر سنة ١٩٤٥ ، قمت بتشكيل الجمعية السرية التي اتهمت في يناير سنة ١٩٤٦ باغتيال امين عثمان ، وبذلك عدت مرة اخرى الى السجن في ١١ يناير سنة ١٩٤٦ ، وخرجت منه في يوليو سنة ١٩٤٨ ، اي قضيت في السجن ٣١ شهرا ، وبذلك اكون قد قضيت الفترة بين عامي ١٩٤٢ و ١٩٤٨ بين المعتقلات والسجون والمطاردة والتشريد ، وعند خروجي من السجن عام ١٩٤٨ ، كانت حرب فلسطين قد هدأت بالهدنة الاولى الشهيرة ، وطلبت ان اعود الى القوات المسلحة، ولكن طلبي رفض لان النيابة كانت قد استأنفت الحكم وتحتم على الانتظار حتى يتأكد الحكم .

امضيت بقية عام ١٩٤٨ وعام ١٩٤٩ في الاعمال الحرة ، ولكنني تمكنت من العودة الى الجيش مرة أخرى في يناير سنة ١٩٥٠ ، بفضل الله عز وجل ، وكنت قد اختلفت مع شريكي في الاعمال الحرة فافترقنا، واصبحت مفلسا لا املك شيئا على الاطلاق، ولكن الله سبحانه وتعالى لم يتخل عني والتحقت فعلا بالجيش.

هنا فقط عادت الصداقة بيني وبين عبد الناصر الى ما كانت عليه بعد ان كنا قد افترقنا منذ عام ١٩٤٠ ، عندما ذهب مع وحدته الى السودان الذي عاد منه في أواخر عام ١٩٤٢ ، بعد القبض علي .

في اوائل الثورة كتبت عن حياة عبد الناصر ، وقلت انه لم يبدأ معنا الكفاح السياسي عام ١٩٣٩ ، وكان الزميل رقم ٢ بعدي هو عبد المنعم عبد الرؤوف ، وفي الطيران كان هناك بغدادي وحسن عزت وحسن ابراهيم وسعودي ، وفي الفرسان كان هناك خالد محيي الدين ، وقد انضم عبد المنعم عبد الرؤوف بعد ذلك الى الاخوان ، ولكن عندما عاد عبد الناصر من السودان في ديسمبر عام ١٩٤٢ ، اي بعد القبض علي في يوليو عام ١٩٤٢ ، اتصل عبد المنعم عبد الرؤوف بجمال ، وبذلك نستطيع القول بأنه منذ نهاية عام ١٩٤٢ واوائل عام ١٩٤٣ ، تولى جمال الاشراف الكامل على التنظيم حتى قامت الثورة في عام ١٩٥٢ ، اي ان عبدالناصر كان المحرك الفعلي للتنظيم اثناء الفترة التي قضيتها بين المعتقلات والسجون من عام ١٩٤٢ الى عام ١٩٤٨ ثم الى قيام الثورة عام ١٩٥٢

عندما عدت الى الجيش عام ١٩٥٠ ، كان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر من اوائل الزملاء الذين اتصلوا بي ، فقد زاراني في شقتي التي كنت اسكنها بالمنيل ، وعبرا عن تهانيهما القلبية بعودتي الى الجيش ، بل وساعداني على تأدية امتحانات الترقية فقد رجعت برتبة النقيب التي كانت تقابل رتبة اليوزباشي في ذلك الوقت ، وكان علي ان اؤدي امتحانات الترقية الى رتبة المقدم التي تقابل رتبة البكباشي ، اي ان اؤدي الامتحانات لترقيتي رتبتين متتاليتين ، ولن انسى مساعدتهما القيمة والاخوية في هذا المجال .

هنا ، أعود الى قيمة الوفاء المقدسة في حياتي ، فأقول انني عندما عدت الى الجيش عام ١٩٥٠ ، كان التنظيم الذي اشرف عليه عبد الناصر منذ أواخر عام ١٩٤٢ ، قد تبلور وبدأ يأخذ شكله المميز ووضعه المحدد ، كان جمال عبد الناصر قد انشأ قيادة للتنظيم تحت اسم الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، ومن المعروف ان جمال كان قد حارب في فلسطين وخرج من الحرب بعقيدة ثابتة ، وهي ان الاصلاح لابد ان يبدأ من داخل مصر نفسها ، واثناء الحرب بدأ يفكر في الاعضاء الذين يمكن اختيارهم للقيام بهذه المهمة ، فاختار اولا زملاء ممن شاركوا معه في الحرب، كصلاح سالم، وكمال الدين حسين، وزكريا محيي الدين، وعبدالحكيم عامر ، وبدأت بعد ذلك الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار بجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم وكمال الدين حسين ثم انضم لهم بعد ذلك جمال سالم وبغدادي وحسن ابراهيم وخالد محيي الدين وانا ..

وقد تمثل دين جمال في عنقي في اصراره على ضمي الى الهيئة التأسيسية بعد عودتي الى الجيش عام ١٩٥٠، فقد اخبر اعضاء الهيئة التأسيسية ان تاريخي في الكفاح السياسي لا يمكن التغاضي عنه ، بل على العكس يمكن الاستفادة منه ومن خبرته ، وقد طلب جمال ايضا ضم عبد المنعم عبد الرؤوف الى الهيئة التأسيسية بحكم انه كان رقم ٢ بعدي في التنظيم ، كما قلت من قبل ، وتم ضم عبد المنعم عبد الرؤوف بالفعل ، وقد اخبرني جمال ان عضوا واحدا من الهيئة التأسيسية — ولا داعي لذكر اسمه — عارض في ضمي الى الهيئة ، ولكن جمال عبد الناصر لم يأبه لهذه المعارضة ، متمسكا باحترام المعاني والقيم والمثل التي اضطهدت من اجلها ، سواء كنت معتقلا او مشردا او سجينا ، وبالفعل انضممت الى الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار بفضل اصرار جمال على رأيه وتقديره .

هذا هو الدين الذي في عنقي تجاه جمال ، وهو الدين الذي لم ولن انساه له طوال حياتي ، كان وفائي له سببا في تجنب كل مظاهر الصراع او الحقد او الغيرة التي حاول الاخرون الادعاء بوجودها بيني وبينه ، وهذا يفسر ردي على السؤال الذي ووجهت به اثناء زيارتي لفرنسا هذا العام وهو :

هل احس بالغيرة كلما ذكر اسم جمال عبد الناصر امامي مثلما كانت الغيرة تنهش بومبيدو كلما ذكر اسم ديجول في حضرته ؟

فقلت لهم : لم اشعر بهذه الغيرة اطلاقا ، لان جمال كان زميلي وصديقي واخي ، وكانت ثقتي فيه كاملة ومطلقة ، ومهمتي الان لا تتيح لي الانشغال بمثل هذه الاحاسيس العابرة ، فانا منهمك في اكمال المسيرة التي بداها عبد الناصر عن اقتناع وعن ايمان.

وعندما اقول انني لم ولن انسى دين جمال في عنقي، فهذا لانه كان من الممكن الا يتمسك بانضمامي الى الهيئة التأسيسية وله الحق كل الحق في هذا ، فقد كان يكافح منذ عام ١٩٤٣ حتى عام ١٩٥٠ ، مع اعضاء التنظيم ، وكنت قد انفصلت عنهم تماما ، فكان من الممكن الا انضم اليهم ، ولم يكن هذا يسبب لي اي حزن او اسف او حقد او ضغينة ، لانني ساكون عندئذ ضابطا من ضباط التنظيم العادي . **وهذا هو معنى الوفاء الذي استمر من ناحيتي تجاهه والذي كان سببا في نقطة التحول الكبيرة في حياتي فيما بعد ، والتي تمثلت في توليتي رئاسة الجمهورية ، وهو التحول الذي لم افكر فيه في يوم من الايام ولم اتصوره او اعمل له ، اي انه كما اختارني للانضمام الى الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار عام ١٩٥٠ اختارني ايضا لكي اكون نائبا وحيدا له عام ١٩٦٩**

○ البقية غدا ○

٣

ذكريات الأيام الأولى بعد وفاة عبد الناصر[١]

حرب الإشاعات التي سُلطت علىَ

اختلاف الشخصية

الوفاء لجمال عبد الناصر لا ينفى اختلاف طبيعة كل منا، كما بينت من قبل، فجمال عبد الناصر كان من الأشخاص الذين يعيشون على أعصابهم المشدودة دائمًا، وكانت النتيجة أن كل من يقترب منه كان يمتص هذا الإحساس المتوتر ويتشربه تمامًا، مما أدى إلى انعكاس هذا التوتر والقلق والتوجس على البلد كله، أما أنا فعلى النقيض من هذا تمامًا، فقد علمتنى طبيعتى الريفية الهادئة أن أتجنب كل ما من شأنه أن يوتر أعصابى بقدر الإمكان، ولكن مع الإصرار الموضوعى لتحقيق الهدف المنشود.. فأنا أحدد دائمًا ما أريده وما لا أريده، ولذلك فأنا مرتاح نفسيًا وعصبيًا لأننى لا أعلق حياتى بأمل قد لا يتحقق، ولا أخاف من طريق قد يصبح مسدودًا، لأننى أضع في اعتبارى دائمًا طرقًا عدة تؤدى إلى نفس الهدف.



وإذا كنت لا أحب العيش وأعصابى مشدودة، فبالتالى لا أحب لمن معى أن يعيش مشدودًا ومتوترًا هو الآخر، وحاولت إبراز هذه الحقيقة لكل من عاونونى بعد وفاة عبد الناصر، وخاصة لمن كانوا أقرب الناس إلى عبد الناصر، فقلت لهم في القناطر الخيرية، في إحدى المقابلات، أنهم كانوا يعيشون على أعصابهم بالقرب من عبد الناصر، فخافوا من الإجابة بالإيجاب، خوفً من أن يكون حديثى فخًا لانتزاع رأيهم في عبد الناصر، ولم يكن هذا قصدى بالطبع، فقد كنت أريد تبادل الحوار الصريح الحر الخالى من كل الحساسيات والرواسب، ولكن لأنهم يفكرون بطريقتهم الملتوية فقد امتنعوا عن الرد، وأكملت حديثى إليهم فقلت أننى شخصيًا كنت أعيش على أعصابى بالقرب من عبد الناصر.

وقد ناقشت مرة هذه القضية مع عبد الناصر، وكنا نسهر في منزلى.

قلت له أنه برغم الزمالة والصداقة والإخوة التي بيننا، فإنى أعيش معه على أعصابى بسبب أعصابه المتوترة دومًا.

---

[١] الأهرام السبت ٢٨ سبتمبر ١٩٧٥م - ٢٣ رمضان ١٣٩٥هـ

فسألني جمال: هل أنا أفتعل هذا التوتر؟

فقلت له: لا.. إنها طبيعتك وكيانك منذ كنا معًا في منقباد عام ١٩٣٨ ولم نبلغ بعد سن العشرين..

ولذلك على الرغم من زمالتي وصداقتي وأخوتي ووفائي لعبد الناصر، لا يمكن أن أكون صورة مكررة منه نظرًا لاختلاف الكيان والطبيعة والنظرة إلى الحياة.

ومن هنا كان تنبيهي على من حولي بعد أن توليت رئاسة الجمهورية، إنني أختلف تمامًا عن عبد الناصر، وكنت أفسر لهم ذلك بقولي أن لكل إنسان حق العمل في موقعه دون خوف أو خشية من عزل أو تهديد، وطالما أنني لم أوضح لمثل هذا الإنسان خطأ يحتمل أن يكون قد وقع فيه، فهذا يعني الضوء الأخضر بالاستمرار في عمله وتأديته على الوجه الأكمل، وعندما يرتكب إنسان خطأ ما سأستفسر عنه بمنتهى البساطة حتى يفسر لي الأسباب الموضوعية التي أدت إلى ارتكاب مثل هذا الخطأ، وله الحق الكامل في الدفاع عن نفسه، فلكل إنسان الحق في أن يواجه بما له وبما عليه قبل أن أتخذ أي قرار بشأن استمراره في معاونتي.

هذا الاختلاف الأساسي بيني وبين عبد الناصر شرحته بالكامل لكل من حولي عندما توليت رئاسة الجمهورية، وأوضحت أن من المستحيل أن أصيغ من نفسي عبد الناصر آخر، فالذي كان يمكن أن تقبله مصر من عبد الناصر لا يمكن أن تقبله مني الآن، لقد أنشأ عبد الناصر علاقة ضخمة مع الشعب عبر معارك التحرير، وعبر انتصارات تمثلت في تأميم قناة السويس، وتحدى الاستعمار والدول الكبرى، وانتصر وهزم، وأصبح لكل نبضاته صدى عند الشعب الذي فوضه في كل أموره، ولذلك كان من الطبيعي أن يقبل منه كل شيء بناء على هذا التفويض.

أما بالنسبة لي، فإني أتسائل: على أي أساس سيقبل مني الشعب ما كان يفعله عبد الناصر قبلي؟.. إن الشعب لم يعرف بعد عني شيئًا بسبب الظل الذي أحاط بي طوال سني الثورة، وبالتالي فمن المستحيل أن أطبق نفس الأسلوب الذي اتبعه عبد الناصر من قبل، لن أختلف معه على المبادئ، ولكن الأسلوب لابد أن يتغير.

وقد قلت ذلك مرارًا أن الشعب كان سيمنح ثقته المطلقة لأي اسم آخر سيتقدم للترشيح والاستفتاء، وليس اسمي أنا بالذات، فالقضية ليست قضية أشخاص بقدر ما هي قضية مصير مصر كلها، وخاصة أنها كانت تعيش وسط مرارة الهزيمة التي زادت مرارتها في فم مصر برحيل عبد الناصر الذي كن صدمة عنيفة مباغتة، وقعها علينا مثل وقع هزيمة يونيو عام ١٩٦٧.

وقد يكون عبد الناصر، بإحساسه الداخلى، قد حسب حساب توقع رحيله المفاجئ، رغم أن هذا التوقع لم يخطر على بالى أبدًا حتى أنى أوصيته أكثر من مرة على أولادى من بعدى، وقد برز هذا التوقع عند سفره إلى المغرب لحضور مؤتمر القمة العربى الذى عقد في ديسمبر عام ١٩٦٩، ولم يكن له في ذلك الوقت نائب ينوب عنه في غيابه، ولذلك استدعانى إلى منزله يوم سفره صباحًا في ٢٠ ديسمبر عام ١٩٦٩[١]، وأخبرنى بأنه خائف من أن يحدث له أي شيء مما قد يؤدى بالبلد إلى متاهة لا عودة منها، وطلب منى أن أحلف اليمين كنائب لرئيس الجمهورية، وفعلا تم حلف اليمين في صالون بيته، وأذيع الخبر رسميًا بعد ذلك، وكان هذ الإجراء من عبد الناصر دليلا على رغبته في استمرار المسيرة في حالة حدوث أي شيء غير متوقع له.

ليس هذا فقط، بل أن بعد الناصر لم يعبأ بالهجمات التي شنتها مراكز القوى علىَ بعد تعيينى نائبًا لرئيس الجمهورية في ٢٠ ديسمبر عام ١٩٦٩، فقد رفضوا في دخيلة أنفسهم هذا التعيين وأطلقوا ضدى حربًا تركزت في الإشاعات التي عملوا على نشرها بكل الوسائل، وبسرعة عجيبة، حتى يتمكنوا من تشويه صورتى وهدمى تمامًا، وهى حرب بدأت قبل ذلك بوقت طويل وتجلت في مهزلة انتخابات اللجنة العليا للاتحاد الاشتراكى عام ٦٨ مما سأرويه مع أحداث تلك الفترة، ثم استمرت بشراسة أكبر بعد تعيينى نائبًا، وعلى سبيل المثال فعندما سافر عبد الناصر في صيف عام ١٩٧٠ في رحلته الأخيرة إلى الاتحاد السوفيتى، نشرت مراكز القوى إشاعة تقول بأننى قمت باستغلال منصبى كنائب لرئيس الجمهورية وفرضت الحراسة على صاحب منزل بالهرم تمهيدًا لاستيلائى عليه بالقوة في غيبة عبد الناصر[٢].

---

(١) السبت ١١ شوال ١٣٨٩هـ

(٢) يحكى سامى شرف فى الجزء الخامس من مذكراته "سنوات وايام مع جمال عبد الناصر" صفحة ١٢٧٧ و١٢٧٨:

(لقد تبلور فى صيف ١٩٧٠ اتجاهًا لدى عائلة السيد أنور السادات، وكان وقتها نائبًا لرئيس الجمهورية أن يترك منزله فى الهرم والبحث عن مقر إقامة بديل وجديد. وفى أحد الأيام اتصل السادات بأمين هويدى وكان وقتها وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء والمسئول عن القرارات الوزارية بما فى ذلك قرارات فرض الحراسة، وطلب إليه إعداد قرار بفرض الحراسة على قصر اللواء صلاح الموجى وأضاف أن لديه معلومات بأن الموجى يمتلك ثروة غير مشروعة، وأن موقفه ليس فوق مستوى الشبهات.

وعندما بحثنا هذا الموضوع فى لقائنا الثلاثى اليومى - أمين وشعراوى وسامى - اتضح أن السيدة جيهان السادات أثناء بحثها عن مقر جديد لإقامتهم شاهدت هذا القصر وذهبت لزيارته أكثر من مرة ووقع اختيارها عليه وطلبت من نائب الرئيس ترتيب انتقالها إليه.)

(كان الرئيس جمال عبد الناصر فى هذا الوقت فى موسكو وبعثت له ببرقية بالموضوع حتى أتحصن برأيه. وطلب أمين هويدى من جانبه من السادات التريث لحين عودة الرئيس أو يصل رده على الرسالة التى بعث بها سمى إليه، لكن السادات بادر بإصدار أوامره بوضع القصر تحت الحراسة، ولم يتطرق إلى باقى ثروة الموجى.....

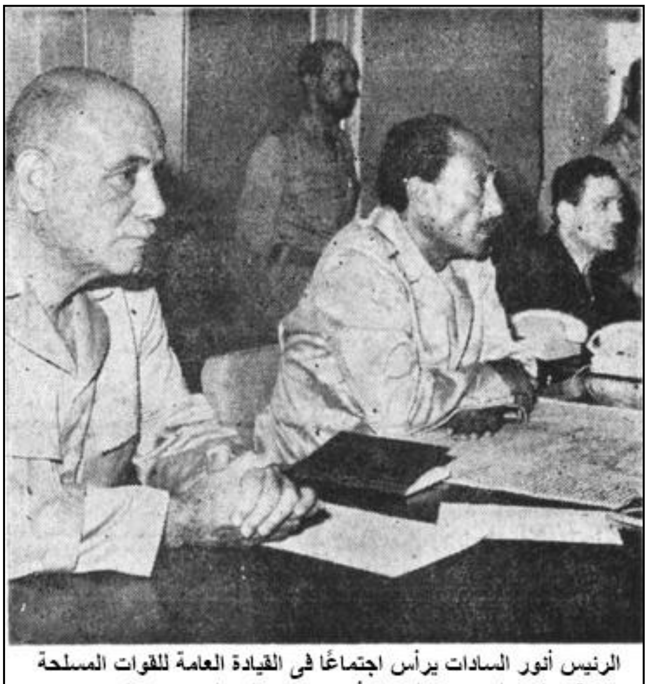
وعندما عاد الرئيس جمال عبد الناصر وأثناء مرافقة السادات له فى السيارة من المطار إلى منشية البكرى عنفه الرئيس جمال عبد الناصر على تصرفه هذا وأعلن له رفضه لهذا الأسلوب وأمر بإعادة القصر لصاحبه فورًا، وفى نفس الوقت طلب أن يخصص للسادات مقر بديل هو فيلا "كاسترو" المطلة على النيل فى الجيزة والتى أصبحت بعد ذلك مقر إقامة السادات رئيسًا ثم قام بنقل مليكته له خلال توليه رئاسة الجمهورية بعد ذلك)

وتصادف في ذلك الوقت أن أصبت بالنوبة القلبية التي تحدثت عنها من قبل، فذهبت إلى قرية ميت أبو الكوم[1] طلبًا للشفاء والاستجمام، فقد فرض على الأطباء أن ألزم الفراش، وجاء توقيت هذه النوبة القلبية بعد عودة عبد الناصر من الاتحاد السوفيتى فانتهزت مراكز القوى الفرصة وملأت البلد بالإشاعات التي تؤكد وجود خلاف بينى وبين عبد الناصر، بدليل اعتكافى بعيدًا في قريتى، ولم يعبأ عبد الناصر بهذه الإشاعات وزارنى في ميت أبو الكوم وأخبرنى بأن الناس تقول بأن هناك خلافًا بينى وبينه، بدليل أن المريض الحقيقى لابد وأن يمكث في القاهرة قرب العلاج والدواء.

فقلت لعبد لناصر: إننى أعتبر قريتى جزءًا من علاجي، وأن اليوم الذى أقضيه فيها خير من عشرة أيم أقضيها في القاهرة، وأنا لا أستطيع تجاهل العامل النفسى في أي مرض..

وبالفعل تم شفائى بفضل الله وعادت الأمور إلى مجراها الطبيعى بينى وبين عبد الناصر برغم مكائد مراكز القوى.

وقد أعلنت مراكز القوى هذه الحرب العشواء لأنها أدركت أن اتجاه عبد الناصر كله قد تركز في تسليمى المسئولية تدريجيًا، فقد حدث قبل ذلك أن دعانى عبد الناصر لحضور اجتماع عسكرى في مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة في مدينة نصر، وهو المبنى الذى أديرت منه حرب سنة ١٩٦٧ المريرة، وفى غرفة القيادة وجدت أن الاجتماع مقصور على العسكريين فقط، ولم يكن هناك من المدنيين سوى عبد الناصر وأنا، ومعنى هذا واضح بالنسبة لاجتماع مقصور على قادة القوات المسلحة بالكامل وجميع الخبراء الروس بالكامل، وكان الاجتماع بخصوص خطتنا الدفاعية التي عرفت باسم الخطة ٢٠٠.



الرئيس أنور السادات يرأس اجتماعًا فى القيادة العامة للقوات المسلحة وقد جلس إلى يمينه المشير أحمد إسماعيل وإلى يساره المهندس عبد الفتاح عبد الله. وفى هذه الاجتماعات بدأ الإعداد للخطة الهجومية

استمعت مع عبد الناصر، على مدى سبع ساعات متصلة، إلى شرح القادة المسئولين لأدوارهم في الخطة، وأيضًا قام الخبراء الروس بتوضيح كل احتمالات الموقف،

(1) ميت أبو الكوم إحدى قرى مركز تلا التابع لمحافظة المنوفية وهى القرية التى ولد فيها محمد أنور السادات.

وانتهى القادة المصريون والخبراء السوفيت إلى سلامة الخطة الدفاعية واستكمالها مائة في المائة، لقد أراد عبد الناصر بدعوتي للاستماع إلى شرح الخطة أن أكون على بينة بكل الأمور حتى أشاركه مسئولية الدفاع عن مصر.

وأريد أن أسجل هنا أن الخطة الدفاعية ٢٠٠ كانت هي كل ما تسلمته من عبد الناصر قبل رحيله. فلم يكن التخطيط لخطة الهجوم قد بدأ بعد[١]. ولم يخرج الإعداد للمعركة في ذلك الوقت عن حدود الخطة الدفاعية عن جميع أنحاء الجمهورية، ولذلك كان همي الأساسي، بعد أن توليت رئاسة الجمهورية، مركزًا في الإعداد لخطة الهجوم التي نفذت في السادس من أكتوبر العظيم عام ١٩٧٣.

---

(١) يؤكد الفريق أول محمد فوزى في كتابه (الإعداد لمعركة التحرير ١٩٦٧-١٩٧٠) على وجود الخطة الهجومية جرانيت التي تم تدريب القوات المصرية عليها في نهاية عهد عبد الناصر أي عام ١٩٧٠م: (وكان الرئيس عبد الناصر قد طلب استعراضًا أخيرًا للمخطط أثناء إجازة قصيرة قضاها في مرسى مطروح في منتصف شهر سبتمبر ١٩٧٠، وقد رافقتُه ومعي خرائط وقرارات الخطة الهجومية جرانيت).. بينما يذكر الفريق عبد المنعم خليل فى مذكراته (حروب مصر المعاصرة): (وضعت القيادة العامة للقوات المسلحة خطة هجومية في الأشهر الأولى من عام ١٩٧١ سميت "الخطة جرانيت") أي بعد وفاة عبد الناصر.

بينما نجد في خطاب الرئيس جمال عبد الناصر يوم ٢٥ يونيو ١٩٧٠ فى المؤتمر الشعبى بالمدينة الرياضية ببنى غازى.. يقول عن الطيران الإسرائيلى:

(إنهم يركزون غاراتهم على منطقة القنال حتى لا يمكنوا الجيش المصرى من أن يعبئ قواته وأن يحشد جنوده ليعبر القنال ويهجم، ولأنهم يعلمون أن الجيش المصرى استكمل تدريباته للعبور، فإذا وجد الفرصة حتى يحصل على تعادل جوى فلن تمنعه قوة فى الدنيا من العبور.)

ذكريات الأيام الأولى بعد وفاة عبدالناصر كماسجلها الرئيس السادات



سألني جمال: هل أنا أُفتعل هذا التوتر ·· وأجبته : لا ·· انها طبيعتك

حرب الاشاعات التى سلطت على

تحامل عبدالناصر على نفسه وجاء لزيارتى فى القرية حتى يكذب الاشاعة

دعاني عبدالناصر للاجتماع مع القادة العسكرين والخبراء الروس لدراسة الخطة الدفاعية ٢٠٠





الرئيس انور السادات يرأس اجتماعا فى القيادة العامة للقوات المسلحة وقد جلس الى يمينه المشير احمد اسماعيل والى يساره المهندس عبد الفتاح عبدالله . وفى هذه الاجتماعات بدا الاعداد للخطة الهجومية

ملخص مانشر

سجل الرئيس السادات فى حديثه مفاجأة وفاة جمال عبد الناصر ، وما تم بعدها من اجراءات الى ان قرر ترشيح نفسه للرئاسة بعد رسالة تلقاها من القوات المسلحة ، ونصيحة ابلغها له الرئيس بومدين ثم تحرك مراكز القوى ، ثم استطرد سيادته فى تسجيل علاقة الوفاء والصداقة التى كانت تربطه بعبد الناصر ..

□ اختلاف الشخصية

الوفاء لجمال عبد الناصر لا ينفى اختلاف طبيعة كل منا ، كما بينت من قبل ، فجمال عبد الناصر كان من الاشخاص الذين يعيشون على اعصابهم المشدودة دائما ، وكانت النتيجة ان كل من يقترب منه كان يمتص هذا الاحساس المتوتر ويتشربه تماما ، مما ادى الى انعكاس هذا التوتر والقلق والتوجس على البلد كله ، **اما انا فعلى النقيض من هذا تماما ، فقد علمتنى طبيعتى الريفية الهادئة ان اتجنب كل ما من شانه ان يوتر اعصابى بقدر الامكان ، ولكن مع الاصرار الموضوعى لتحقيق الهدف المنشود .. فانا احدد دائما ما اريده وما لا اريده ، ولذلك فانا مرتاح نفسيا وعصبيا لاننى لا اعلق حياتى بامل قد لا يتحقق ، ولا اخاف من طريق قد يصبح مسدودا ، لاننى اضع فى اعتبارى دائما طرقا عدة تؤدى الى نفس الهدف .**

واذا كنت لا احب العيش واعصابى مشدودة، فبالتالى لا احب لمن معى ان يعيش مشدودا ومتوترا هو الاخر، وحاولت ابرازهذه الحقيقة لكل من عاونونى بعد وفاة عبد الناصر ، وخاصة لمن كانوا اقرب الناس الى عبد الناصر ، فقلت لهم فى القناطر الخيرية ، فى احدى المقابلات ، انهم كانوا يعيشون على اعصابهم بالقرب من عبد الناصر ، فخافوا من الاجابة بالايجاب ، خوفا من ان يكون حديثى فخا لانتزاع رايهم فى عبد الناصر ، ولم يكن هذا قصدى بالطبع ، فقد كنت أريد تبادل الحوار الصريح الحر الخالى من كل الحساسيات والرواسب ، ولكن لانهم يفكرون بطريقتهم الملتوية فقد امتنعوا عن الرد ، واكملت حديثى اليهم فقلت انى شخصيا كنت اعيش على اعصابى بالقرب من عبد الناصر .

وقد ناقشت مرة هذه القضية مع عبد الناصر ، وكنا نسهر فى منزلى .

قلت له انه برغم الزمالة والصداقة والاخوة التى بيننا ، فانى اعيش معه على اعصابى بسبب اعصابه المتوترة دوما .

فسالنى جمال : هل أنا أفتعل هذا التوتر ؟

فقلت له : لا .. انها طبيعتك وكيانك منذ كنا معا فى منقباد عام ١٩٣٨ ولم نبلغ بعد سن العشرين ..

ولذلك على الرغم من زمالتى وصداقتى واخوتى ووفائى لعبد الناصر ، لا يمكن ان اكون صورة مكررة منه نظرا لاختلاف الكيان والطبيعة والنظرة الى الحياة .

ومن هنا كان تنبيهى على من حولى بعد ان توليت رئاسة الجمهورية ، اننى اختلف تماما عن عبد الناصر ، وكنت افسر لهم ذلك بقولى ان لكل انسان حق العمل فى موقعه دون خوف او خشية من عزل او تهديد ، وطالما اننى لم اوضح لمثل هذا الانسان اى خطأ يحتمل ان يكون قد وقع فيه ، فهذا يعنى الضوء الاخضر بالاستمرار فى عمله وتاديته على الوجه الاكمل ، وعندما يرتكب انسان خطأ ما سأستفسر عنه بمنتهى البساطة حتى يفسر لى الاسباب الموضوعية التى ادت الى ارتكاب مثل هذا الخطأ ، وله الحق الكامل فى الدفاع عن نفسه ، فلكل انسان الحق فى ان يواجه بما له وبما عليه قبل ان اتخذ اى قرار بشان استمراره فى معاونتى .

هذا الاختلاف الاساسى بينى وبين عبد الناصر شرحته بالكامل لكل من حولى عندما توليت رئاسة الجمهورية ، واوضحت ان من المستحيل ان اصبغ من نفسى عبد الناصر آخر ، فالذى كان يمكن ان تقبله مصر من عبد الناصر لا يمكن ان تقبله منى الان ، لقد انشأ عبد الناصر علاقة خاصة مع الشعب عبر معارك التحرير ، وعبر انتصارات تمثلت فى تأميم قناة السويس ، وتحدى الاستعمار والدول الكبرى ، وانتصر وهزم ، واصبح لكل نبضاته صدى عند الشعب الذى فوضه فى كل اموره ، ولذلك كان من الطبيعى ان يقبل منه كل شيء بناء على هذا التفويض .

اما بالنسبة لى ، فانى اتساءل : على اى اساس سيقبل منى الشعب ان افعل ما كان يفعله عبد الناصر قبلى ؟ .. ان الشعب لم يعرف بعد عنى شيئا بسبب الظل الذى احاط بى طوال سنى الثورة ، وبالتالى فمن المستحيل ان اطبق نفس الاسلوب الذى اتبعه عبد الناصر من قبل ، لن اختلف معه على المبادىء ، ولكن الاسلوب لابد ان يتغير .

وقد قلت قبل ذلك مرارا ان الشعب كان سيمنح ثقته المطلقة لاى اسم آخر سيتقدم للترشيح والاستفتاء ، وليس اسمي انا بالذات ، فالقضية ليست قضية اشخاص بقدر ما هي قضية مصير مصر كلها ، وخاصة انها كانت تعيش وسط مرارة الهزيمة التى زادت مرارتها فى فم مصر برحيل عبد الناصر الذى كان صدمة عنيفة مباغتة ، وقعها علينا مثل وقع هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ .

□ الخطة الدفاعية ٢٠٠

وقد يكون عبد الناصر ، باحساسه الداخلى ، قد حسب حساب توقع رحيله المفاجىء ، رغم ان هذا التوقع لم يخطر على بالى ابدا حتى انى اوصيته لكثر من مرة على اولادى من بعدى ، وقد برز هذا التوقع عند سفره الى المغرب لحضور مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى ديسمبر عام ١٩٦٩ ، ولم يكن له فى ذلك الوقت نائب ينوب عنه فى غيابه ، ولذلك استدعانى الى منزله يوم سفره صباحا فى ٢٠ ديسمبر عام ١٩٦٩ ، واخبرنى بانه خائف من ان يحدث له اى شيء مما قد يؤدى بالبلد الى متاهة لا عودة منها ، وطلب منى ان احلف اليمين كنائب لرئيس الجمهورية ، وفعلا تم حلف اليمين فى صالون بيته ، واذيع الخبر رسميا بعد ذلك ، وكان هذا الاجراء من عبد الناصر دليلا على رغبته فى استمرار المسيرة فى حالة حدوث اى شيء غير متوقع له .

ليس هذا فقط ، بل ان عبد الناصر لم يعبأ بالهجمات التى شنتها مراكز القوى على بعد تعيينى نائبا لرئيس الجمهورية فى ٢٠ ديسمبر عام ١٩٦٩ ، فقد رفضوا فى دخيلة انفسهم هذا التعيين واطلقوا ضدى حربا تركزت فى الاشاعات التى عملوا على نشرها بكل الوسائل ، وبسرعة عجيبة ، حتى يتمكنوا من تشويه صورتى وهدمى تماما ، وهى حرب بدات قبل ذلك بوقت طويل وتجلت فى مهزلة انتخابات اللجنة العليا للاتحاد الاشتراكى عام ٦٨ مما سارويه مع احداث تلك الفترة، ثم استمرت بشراسة اكبر بعد تعيينى نائبا ، وعلى سبيل المثال فعندما سافر عبد الناصر فى صيف عام ١٩٧٠ فى رحلته الاخيرة الى الاتحاد السوفيتى ، نشرت مراكز القوى اشاعة تقول باننى قمت باستغلال منصبى كنائب لرئيس الجمهورية وفرضت الحراسة على صاحب منزل بالهرم تمهيدا لاستيلائى عليه بالتوفقى غيبة عبد الناصر .

وتصادف فى ذلك الوقت ان اصبت بالنوبة القلبية التى تحدثت عنها من قبل ، فذهبت الى قرية ميت ابو الكوم طلبا للشفاء والاستجمام ، فقد فرض على الاطباء ان الزم الفراش ، وجاء توقيت هذه النوبة القلبية بعد عودة عبد الناصر من الاتحاد السوفيتى ، فانتهزت مراكز القوى الفرصة وملأت البلد بالاشاعات التى تؤكد وجود خلاف بينى وبين عبد الناصر ، بدليل اعتكافى بعيدا فى قريتى ، ولم يعبأ عبد الناصر بهذه الاشاعات وزارنى فى ميت ابو الكوم واخبرنى بان الناس تقول ان هناك خلافا بينى وبينه ، بدليل ان المريض الحقيقى لابد وان يمكث فى القاهرة قرب العلاج والدواء .

فقلت لعبد الناصر : اننى اعتبر قريتى جزءا من علاجى ، وان اليوم الذى اقضيه فيها خير من عشرة ايام اقضيها فى القاهرة ، وانا لا استطيع تجاهل العامل النفسى فى اى مرض ..

وبالفعل تم شفائى بفضل الله وعادت الامور الى مجراها الطبيعى بينى وبين عبد الناصر برغم مكائد مراكز القوى .

وقد اعلنت مراكز القوى هذه الحرب الشعواء لانها ادركت ان اتجاه عبد الناصر كله قد تركز فى تسليمى المسئولية تدريجيا ، فقد حدث قبل ذلك ان دعانى عبد الناصر لحضور اجتماع عسكرى فى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة فى مدينة نصر ، وهو المبنى الذى اديرت منه حرب سنة ١٩٦٧ المريرة ، وفى غرفة القيادة وجدت ان الاجتماع مقصور على العسكرين فقط ، ولم يكن هناك من المدنيين سوى عبد الناصر وانا ، ومعنى هذا واضح بالنسبة لاجتماع مقصور على قادة القوات المسلحة بالكامل وجميع الخبراء الروس بالكامل ، وكان الاجتماع بخصوص خطتنا الدفاعية التى عرفت باسم الخطة ٢٠٠ .

استمعت مع عبد الناصر ، على مدى سبع ساعات متصلة ، الى شرح القادة المسئولين لادوارهم فى الخطة ، وايضا قام الخبراء الروس بتوضيح كل احتمالات الموقف ، وانتهى القادة المصريون والخبراء السوفيت الى سلامة الخطة الدفاعية واستكمالها مائة فى المائة ، **لقد اراد عبد الناصر بدعوتى للاستماع الى شرح الخطة ان اكون على بينة بكل الامور حتى اشاركه مسئولية الدفاع عن مصر .**

واريد ان اسجل هنا ان الخطة الدفاعية ٢٠٠ كانت هى كل ما تسلمته من عبد الناصر قبل رحيله ، فلم يكن التخطيط لخطة الهجوم قد بدا بعد . ولم يخرج الاعداد للمعركة فى ذلك الوقت عن حدود الخطة الدفاعية عن جميع انحاء الجمهورية ، ولذلك كان همى الاساسى بعد ان توليت رئاسة الجمهورية ، مركزا فى الاعداد لخطة الهجوم التى نفذت فى السادس من اكتوبر المعظم عام ١٩٧٣ .

٤

كيف تم تجهيز "المركز ١٠"[١]

في صباح السبت [١٠ رمضان - ٦ أكتوبر][٢]، استيقظت بعد ليلة هادئة ونوم عميق، وكان برنامجي في هذا الصباح هو نفس برنامجي اليومي العادى.. قمت في الصباح بممارسة التدريبات الرياضية التي تعودت عليها لإيماني بمبدأ "إن لبدنك عليك حقًا"، وكان هذا بعض ما تعلمته في السجن. فحتي يعيش الإنسان في توازن سليم لابد وأن يحصل على توازن دقيق بين العقل والجسم والروح. فإذا اختل هذا التوازن بين العناصر الثلاثة فسوف يهتز الإنسان في حياته وسلوكه، وبالتالي في كل القرارات التي يتخذها.

وهذه اللمحة التي أذكرها الآن ربما تكون شخصية بحتة، ولكن لارتباطها الوثيق بمشاعرى وأفكارى في ذلك اليوم الخالد، رأيت أن أتحدث عنها حتى أسجل الخلفية الفكرية والوجدانية التي واكبت لحظات ما قبل الثانية بعد ظهر يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣.

لا يستطيع الإنسان أن يصدر قرارًا سليمًا إلا إذا عاش حياة حقيقية بمعنى الكلمة. وهذه الحياة لا تعتمد في أساسها على الفقر أو الغنى بقدر ما تعتمد على ذلك التوازن الدقيق الذى ذكرته. فمثلا تعد تجربة السجن الانفرادى أقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان من كبت وإذلال، ومع ذلك تعلمت منها كيف أصل إلى توازن العقل مع الجسم مع الروح، وبذلك كانت الشهور الستة الأخيرة في السجن هي أروع ستة شهور عشتها في حياتى حتى الآن.

ولذلك فكل الذى تمكنت من تحقيقه وتنفيذه، وكل ما سيكتب التاريخ عنه أو لا يكتب، فإن مقياس حياتى هو مقياس النجاح الداخلى النابع من ذلك التوازن الذى منحنى هذا السلام الروحى والهدوء النفسى لليلة الحسم الأعظم. فالجسم يحتاج دائمًا إلى تدريب وتنشيط عن طريق الممارسة اليومية والمنتظمة للرياضة البدنية، أم العقل فيتغذى على القراءة والبحث والدراسة والتحليل حتى لا يصدأ، بينما الروح تعتمد على إيمان الإنسان ونظرته الشاملة لهذا الكون ومعتقداته التي تؤكد له أن الله عز وجل خلق له وجودًا آخر غير مجرد الوجود الحيوانى البحت. فإذا مارس الإنسان هذه الرياضة البدنية والعقلية والروحية وتمكن من هذا التوازن الدقيق، فإنه لا يصبح سيد نفسه فقط بل سيدًا على كل ما يواجهه. ولكن الإنسان - للأسف - في غمرة المدنية المادية نسى

---

(١) الأهرام الجمعة ٣ أكتوبر ١٩٧٥م - ٢٨ رمضان ١٣٩٥هـ

(٢) السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣م - ١٠ رمضان ١٣٩٣هـ

كل هذا، وتصور أن السعادة هي في مجرد امتلاك المادة، وكانت النتيجة أنه لم يفقد السعادة فقط بل فقد نفسه أيضًا وأصبح ريشة في مهب الرياح.

وأحمد الله على تجربة السجن التي أمضيت فيها واحدًا وثلاثين شهرًا من يناير ٤٦ إلى يوليو ٤٨، فقد منحتنى التوازن الذى يعتمد على السلام الروحى والتنشيط العقلى والرياضة البدنية. وكانت هذه العناصر الثلاثة هي التي جنبتنى الانفعال والعصبية والتشنج.

لذلك استيقظت صباح ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وأديت التمرينات الرياضية لكى أعطى جسمى حقه، وكان عقلى في منتهى النشاط والراحة وعلى استعداد تام لتحمل مسئوليات اليوم الجديد. فعندما يحصل الجسم على لياقته، فإن هذا ينعكس بدوره على العقل. أما روحي فكانت في شبه صلاة صامتة من أجل اليوم الذى سنحطم فيه جدر الصمت والخوف والرعب والانهزامية. لقد عقدنا العزم على اجتياح كل ما يعوق مسيرتنا وليكن ما يكون. فقد كانت حساباتى تدل على أن المكسب لنا مهما كانت النتيجة.

وهكذا استمر برنامج يومى العادى، فقد كان ٦ أكتوبر ١٩٧٣ بالنسبة لى يومًا من أيام العمل الذى حملته على كتفى منذ ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠[١] بل ومن أيام العمل السياسى والكفاح السرى اللذين خضتهما بكل قواى منذ خروجى في الكلية الحربية عام ١٩٣٨.


الرئيس السادات والمشير احمد اسماعيل اثناء زيارة لهما للجبهة قبل حرب اكتوبر .

في غرفة العمليات

في الساعة الواحدة وعشرين دقيقة من يوم ٦ أكتوبر جاءنى الفريق أول أحمد إسماعيل[٢] كما اتفقنا. خرجنا سويًا ولم نركب العربات الخاصة برئاسة الجمهورية بل ركبنا عربة الجيب الخاصة بالجيش وقد

(١) الاثنين ٢٧ رجب ١٣٩٠هـ

(٢) المشير أحمد إسماعيل على: ولد فى ١٤ أكتوبر ١٩١٧م فى الكحالة بشبرا بالقاهرة.. تخرج من الكلية الحربية عام ١٩٣٨م.. وفى ١٣ مارس ١٩٦٩ عُين رئيسًا لأركان القوات المسلحة خلفًا للشهيد الفريق أول عبد المنعم رياض.. شغل منصب رئيس المخابرات العامة المصرية فى الفترة من ١٤ مايو ١٩٧١م إلى ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢م.. ثم منصب القائد العام للقوات المسلحة ووزير الحربية المصرى فى الفترة من ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢م إلى ٢٦ أكتوبر ١٩٧٤م.. توفى بسرطان الرئة فى يوم الأربعاء ٢٥ ديسمبر ١٩٧٤م فى ثانى أيام عيد الأضحى ١١ ذو الحجة ١٣٩٤هـ.

ارتديت الزى العسكرى. وتوجهنا إلى غرفة العمليات أو "المركز ١٠" الذى يقع تحت الأرض وقد جهز باحث متطلبات الأساليب العسكرية الحديثة ويمكن الاتصال منه بأى مكان في مصر سواء في الجبهة أو في القاهرة أو الإسكندرية أو أسوان، حتى في حالة قطع التليفونات والاتصالات السلكية.

وفى الساعة الواحدة والنصف دخلت غرفة العمليات وألقيت بالتحية إلى أولادى القادة وكانوا على أتم استعداد وكل واحد منهم يرابط أمام خرائطه، بينما علقت الخريطة الكبيرة على الحائط، وثبتت الخريطة التفصيلية على المائدة التي تتوسط الغرفة. وأمامى مباشرة وقف ضابط الدفاع الجوى أمام خريطة مصر التي وضعت وراء حواجز زجاجية لكى يتلقوا البيانات عن أي نشاط لطيران إسرائيل ثم يقومون في الحال برصده والتعامل معه.

اتخذت مكانى في الغرفة والقائد العام على يمينى ورئيس الأركان على يسارى وإلى جانبه الجمسى[١] مدير العمليات وأمام مكتبه مجموعة تليفونات للاتصال بجميع فروع القوات المسلحة، وكان في إمكاننا أن نشاهد من أماكننا اللوحة الزجاجية فنعرف سير العمليات الجوية بالكامل. وهذا هو النظام المتبع في كل غرف العمليات الحديثة، وكانت غرفتنا مثالا لمصر الحديثة التي نتمناها جميعًا ونعمل على تحقيقها. فهى مجهزة بأحدث ما في العصر لكى تناسب الحرب الحديثة التي نديرها منها. صحيح أنها كانت في حدود إمكانياتنا المتاحة لكنها كانت تتمشى مع روح العصر تمامًا.

كنا في العاشر من رمضان وكعادتى دائمًا كنت صائمًا. فلم أتعود أن أتذرع بالظروف تهربًا من الصيام. هذا برغم أن الدين يسمح بالإفطار في السفر والمرض والحرب بالذات. ولكن نشأتى في القرية علمتنى أن ممارسة الرياضة الروحية في كل الظروف والأحوال. فهى تحول الصيام والإيمان والدين والعبادة والعقيدة إلى جزء لا يتجزأ من كيان الإنسان، ويشعر بأنه لو أخل بإحداها فإنه يتخلى عن جزء من ذاته وتوازنه. والصيام بالذات تعتبره القرية مسألة رجولة، وكنا نصوم في طفولتنا لنثبت أننا رجال. وطالما سافرت من قبل في رمضان ولكننى لم أفطر أبدًا. ولم يشذ العاشر من رمضان عن هذه القاعدة بالنسبة لى شخصيًا. ولكن كانت تعليماتى تحتم أن يفطر الجميع، فيجب ألا تكون هناك فرصة خطأ أو سهو ولو ١٪ نتيجة الصيام، وخاصة بالنسبة للذين اعتادوا التدخين أو تناول الشاي أو القهوة، فمن المحتمل جدًا أن يؤثر الامتناع عنها في كفاءة الأداء أو شيء من هذا القبيل.

---

(١) المشير محمد عبد الغنى الجمسى: قائد عسكرى مصرى.. ولد فى ٩ سبتمبر ١٩٢١م بقرية البتانون فى محافظة المنوفية.. تولى رئاسة هيئة عمليات قيادة قوات جبهة القناة طوال معارك حرب الاستنزاف.. وتولى فى يناير ١٩٧٢ رئاسة هيئة عمليات القوات المسلحة.. وفى فبراير من نفس العام تولى منصب نائب رئيس الأركان إلى جانب مهام رئاسة العمليات.. ويعتبر المشير الجمسى آخر من حمل لقب وزير الحربية، فقد تغير اسم وزارة الحربية بعد رحيله إلى وزارة الدفاع.. وتوفى ٤ أكتوبر ١٩٧٨م

طبقًا للدين فإن الإفطار حلال في هذه الظروف، وقد أصدرت التعليمات بضرورة الإفطار. وعندما جلست في غرفة العمليات لم أدخن ولم أشرب كوبًا من الشاي أو النعناع كعادتى. وكنت أتصور أن القادة قد نفذوا التعليمات بالإفطار ولكننى لم أجد أحد منهم يدخن أو يشرب شيئًا. وعندما سألتهم عن مدى تنفيذهم للأوامر بالإفطار ولماذا لا يدخنون ولا يشربون الشاي أصابهم حرج شديد أمامى.

فقلت أن العملية تحتاج إلى تركيز شديد وانتباه مكثف، وفى الحال طلب كوبًا من الشاي وكذلك احضار البايب من عربتى بالخارج وشربت الشاي بالفعل، فكانت النتيجة أن زال الحرج وشرع الجميع في التدخين وشرب الشاي.


الرئيس السادات وحوله القادة فى غرفة العمليات •

ضربة الطيران

وحسب الخطة الموضوعة صدر بيان الساعة الثانية ظهرًا يعلن أن الإسرائيليين اعتدوا علينا في البحر الأحمر في نقطتين وأننا نقوم برد الضربة وصد العدوان. ورغم أنه لم يحدث ساعتها أي اعتداء إسرائيلى، إلا أن هذا البيان يعتبر أسلوبًا دبلوماسيًا في مخاطبة شعوب العالم، وهو بالنسبة لنا لم يكن خداعًا دبلوماسيًا، أي أننا لم نكذب على العالم، لأننا نعتبر مجرد وجود القوات الإسرائيلية على أرضنا اعتداء مستمر علينا.

وفى لحظة صدور البيان كانت طائراتنا تعبر القناة وتنقض على المواقع الإسرائيلية في سيناء. وأعلن الميكروفون في غرفة العمليات أن الطيران عبر وتوغل في سيناء. وكانت فرحة رائعة لا مثيل لها. كنت أجلس هادئًا جدًا، ولو تمكن أحد من رؤية نفسى من الداخل في تلك اللحظة الخالدة لأحس بنوع غريب من الطمأنينة يسرى في كل كيانى. لم أكن أحمل همًا من تلك الهموم التي أثقلت كاهلى منذ هزيمة ١٩٦٧.

وكما قلت من قبل أن كل الهموم ذابت بكسرنا حاجز الخوف والهزيمة والمهانة والمذلة والضياع والتمزق وكل الأعراض المرضية التي عانت منها أمتنا العربية ومصرنا الغالية.

بعد ثلث ساعة بالضبط انتهت ضربة الطيران. كانت ضربة رائعة أعادت لقواتنا المسلحة كرامتها التي انتهكت عام ١٩٦٧ وقبلها في عام ١٩٥٦.


الشهيد عاطف السادات

كان الهجوم بأكثر من ٢٢٠ طائرة، ولأنه طيران نفاث وسرعته تفوق سرعة الصوت فإن الضربة لم تستغرق أكثر من ١٥ دقيقة، وقد قام أبنائى بأروع واجب يمكن أن يقوم به أي سلاح طيران في العالم من حيث الكفاءة والدقة والمفاجأة في تحقيق كل مهمة أسندت إلى طيار من الطيارين، وكان تقدير الخبراء الروس أننا سنفقد في الضربة الأولى من ٣٠٪ إلى ٤٠٪ وأننا سنحقق ٣٠٪ من الهدف، ولكننا لم نفقد سوى خمس طائرات أي حوالى ٢٪ وحققت الضربة ٩٩٪ من الهدف. وكانت من بين الطائرات التي فقدت طائرة أخي الأصغر المرحوم "عاطف" الذى كان في منزلة ابنى لأننى قمت بتربية كل أخوتى وتعليمهم على طريقتنا في القرية. فقد بذل أبى أقصى ما في وسعه لكى يصرف على تعليمى حتى أتمكن بدورى من تربية أخوتى. كان أبى محدود الدخل إلى درجة الفقر ولذلك اعتمد على في تربية أخوتى منذ تخرجى في الكلية الحربية عام ١٩٣٨ وإلى أن توليت رئاسة الجمهورية عام ١٩٧٠.

ولا يعتبرنى أخوتى أخًا لهم بقدر ما ينظرون إلى كأب، وكان هذا أيضًا في حياة أبى الذى توفى منذ مدة وجيزة بعد أن توليت رئاسة الجمهورية. كانت مسئولية أخوتى ملقاة على عاتقى بالكامل منذ تخرجى في الكلية الحربية، وكان عاطف أصغرهم وأحبهم إلى قلبى. وطالما جاءنى والحماس والانفعال يأخذان منه كل مأخذ وهو يحكى لى عن التدريب الشق الذى يتلقاه والمعركة التي ينتظرها الجميع بشوق بالغ، ولذلك أخفى أحمد إسماعيل وحسنى مبارك[١] نبأ استشهد عاطف عنى، ولم يُصرحا بأكثر من أننا فقدنا خمس طائرات فقط.


حسنى مبارك .. وتحطيم اسطورة الطيران الاسرائيلى .

استشهد أخى عاطف في الدقائق الخمس الأولى من بدء المعركة. كان من المفروض أن يضرب السرب دفاعات أحد المطارات الإسرائيلية في عُمق سيناء لكى يُمهد الجو لزملاء السرب القادم خلفه حتى يضربوا المطار ضربًا نهائيًا لأن

---

(١) محمد حسنى مبارك: ولد فى كفر المصيلحة محافظة المنوفية فى ٤ مايو ١٩٢٨م. تخرج من الكلية الحربية فى ١ فبراير ١٩٤٩م والتحق بكلية الطيران وتخرج منها فى ١٣ مارس ١٩٥٠م.. تدرج فى المناصب حتى عمل مدرسًا بالكلية الجوية فى فبراير ١٩٥٢ حتى يناير ١٩٥٩م.. ثم مديرًا للكلية الجوية من ٢ نوفمبر ١٩٦٧م.. كما عين قائد للقوات الجوية فى ٢٤ أبريل ١٩٧٢.. وقاد سلاح الطيران فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ وعُين نائبًا لرئيس الجمهورية فى ١٦ أبريل ١٩٧٥م.. ثم رئاسة الجمهورية فى ١٤ أكتوبر ١٩٨١م حتى أزيح عن الحكم خلال ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م.. وتوفى ٢٥ فبراير ٢٠٢٠م.

دفاعات المطار تكون حينئذ قد عجزت تمامً عن أداء واجباتها. وبالفعل حقق عاطف مع سربه مهمته بالقضاء التام على دفاعات المطار. وبعد ذلك جاء السرب التالى لهم لكى يدك المطار دكًا كاملا ويحوله إلى حطام وحرائق. وكان من الممكن في هذه اللحظة أن يعود أخى عاطف سالمًا إذ أنه كان قد أدى واجبه كاملا طبقًا للأوامر الصادرة إليه، ولكنه أصر على التأكد من أن دفاعات المطار قد قضى عليها تمامًا فعد أدراجه وكان استشهاده في عودته.

ولكننى لم أكن أفرق بين ابنى عاطف وبين أولادى الطيارين، فلم يكن أخى سوى واحد ضمن باقة الشهداء الغالين الذين ضحوا بحياتهم لكى تعود إلينا الكرامة والكبرياء والطمأنينة والثقة.

<u>والحمد لله لم نفقد من طائراتنا سوى خمس طائرات. وخسارة خمس طائرات فقط من مائتين وعشرين طائرة تعنى أن الضربة كانت ناجحة مائة في المائة وحققت كل أهدافها.</u>

<u>قلت للقادة: هؤلاء هم أولادى يعودون إلى سابق مجدهم فقد كانت ضربة الطيران هذه هي سر نجاح خطتنا لأنها أفقدت إسرائيل توازنها بضرب جميع مراكز القيادة ودكها تمامًا. وهذه المراكز تشمل مراكز السيطرة مثل إدارة الطيران والدفاع الجوى والشوشرة وغيرها من الشرايين الحيوية لأى جيش حديث.</u>

<u>بالطبع عندما يندك كل هذا في وقت واحد فلابد وأن يصاب الجيش الإسرائيلي كله بالشلل التام. ولذلك صرحت بعد أربع ساعات من بدء المعركة أن إسرائيل قد فقدت توازنها تمامًا، ولكى تستعيد كل مراكز القيادة هذه وتبنيها من جديد يكون الوقت قد مر في غير صالحها، ونكون قد انتهينا من مهمتنا الأساسية الأولى.</u>

والفضل في هذا كله يرجع إلى ضربة الطيران المُحكمة الموفقة التي أذاقت إسرائيل لفحات الجحيم المستعر الذى عاشت فيه مصر منذ التاسعة صباح يوم الاثنين الخامس من يونيو ١٩٦٧ إلى الثانية ظهر يوم السبت السادس من أكتوبر ١٩٣٧.

<u>منذ تلك الساعة الخالدة صدرنا الجحيم إلى إسرائيل لكى تعود إلى حجمها الطبيعى: مجرد دولة تابعة تعيش على صدقات الآخرين وحسناتهم.</u>

<u>ولعل هذا من الأسباب التي أدت إلى اختيارى لحسنى مبارك نائبًا لرئيس الجمهورية لأنه في ضربة واحدة أفقد إسرائيل توازنها، وفتح الطريق أمام قواتنا المسلحة كى تُحطم إلى الأبد خرافة الجيش الذى لا يُقهر، وأنهى أسطورة التفوق الإسرائيلي التي خدعت العرب حوالى ربع قرن من الزمان، واستعاد لسلاح الطيران المصرى كرامته التي جُرحت في معركتى عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ نتيجة لإهمال القيادة في المعركتين.</u>

ولم يستعد حسنى مبارك كرامة الطيران فقط، بل كرامة القوات المسلحة وكرامة الشعب المصرى وكرامة الأمة العربية كلها. وقد نجحت كل التكتيكات والخطط التي اتفقنا على أن يُنفِذها سلاح الطيران بحيث ظل سليمًا متماسكًا تمامًا حتى الأيام الأخيرة من المعركة. هذا في الوقت الذى فقدت فيه إسرائيل ثلث سلاح طيرانها في الأيام الثلاثة الأولى للمعركة. وما زال سلاحنا الجوى متماسكًا حتى الآن، لأن خسائرنا في الطيران انحصرت في الثغرة عندما وجه مبارك أشد الضربات الموجعة والمميتة للثغرة الإسرائيلية. وأنا في هذا أستشهد بكلام أليعازر رئيس الأركان الإسرائيلي المعزول عن خسائرهم في الثغرة الرهيبة التي دفعوا ثمنها باهظًا من أجل استعراض تليفزيونى سخيف.

وبالإضافة إلى شهادة أليعازر، هناك شهدة أحد الطيارين الأسرى الذين كانوا يعملون على نقل الجرحى الإسرائيليين، وهذه الشهادة مسجلة عندنا وتوضح الخسائر الرهيبة التي أصابت الإسرائيليين في الثغرة التي كانت مقبرة لهم بكل ما تصوره المقابر من صور لموتى، وقد أعلنت وأنا في عمان أخيرًا أننى أتحدى أن تعلن إسرائيل عن خسائرها في الثغرة وعن تفاصيل هذه العملية المسرحية.

كيف يصبح الانسان سيد نفسه وسيد كل ما يواجهه

الحرب .. والمكسب لنا مهما كانت النتيجة



الرئيس السادات وحوله القادة في غرفة العمليات .



مذكرات الرئيس السادات

كيف تم تجهيز «المركز ١٠»

في ٢٠ دقيقة بالضبط استطاع الطيران أن يرد هزيمته في عامي ٥٦ و ٦٧

البيان الأول الذي أصدرناه لم يكن خدعة فقد كان بالنسبة لنا حقيقة

في صباح السبت [١٠ رمضان — ٦ اكتوبر] ، استيقظت بعد ليلة هادئة ونوم عميق ، وكان برنامجي في هذا الصباح هو نفس برنامج يومي العادي .. قمت في الصباح بممارسة التدريبات الرياضية التي تعودت عليها لايماني بمبدأ « ان لبدنك عليك حقا » ،

وكان هذا بعض ما تعلمته في السجن . فحتى يعيش الانسان في توازن سليم لابد وان يحصل على توازن دقيق بين العقل والجسم والروح . فاذا اختل هذا التوازن بين العناصر الثلاثة فسوف يهتز الانسان في حياته وسلوكه ،وبالتالي في كل القرارات التي يتخذها .

وهذه اللمحة التي أذكرها الان ربما تكون شخصية بحتة ، ولكن لارتباطها الوثيق بمشاعري وأفكاري في ذلك اليوم الخالد، رأيت أن اتحدث عنها حتى اسجل الخلفية الفكرية والوجدانية التي واكبت لحظات ما قبل الثانية بعد ظهر يوم السادس من اكتوبر ١٩٧٣ .

لا يستطيع الانسان ان يصدر قرارا سليما الا اذا عاش حياة حقيقية بمعنى الكلمة . وهذه الحياة لا تعتمد في اساسها على الفقر او الغنى بقدر ما تعتمد على ذلك التوازن الدقيق الذي ذكرته . فمثلا تعد تجربة السجن الانفرادي اقصى ما يمكن ان يصل اليه الانسان من كبت واذلال ، ومع ذلك تعلمت منها كيف اصل الى توازن العقل مع الجسم مع الروح ، وبذلك كانت الشهور الستة الاخيرة في السجن هي اروع ستة شهور عشتها في حياتي حتى الان .

ولذلك فكل الذي تمكنت من تحقيقه وتنفيذه ، وكل ما سيكتب التاريخ عنه أو لا يكتب ، فان مقياس حياتي هو مقياس النجاح الداخلي النابع من ذلك التوازن الذي منحني هذا السلام الروحي والهدوء النفسي ليلة الحسم الاعظم . **فالجسم** يحتاج دائما الى تدريب وتنشيط عن طريق الممارسة اليومية والمنتظمة للرياضة البدنية ، اما العقل فيتغذى على القراءة والبحث والدراسة والتحليل حتى لا يصدأ ، **بينما الروح** تعتمد على ايمان الانسان ونظرته الشاملة لهذا الكون ومعتقداته التي تؤكد له ان الله عز وجل خلق له وجودا آخر غير مجرد الوجود الحيواني البحت . فاذا مارس الانسان هذه الرياضة البدنية والعقلية والروحية وتمكن من هذا التوازن الدقيق ، فانه لا يصبح سيد نفسه فقط بل سيدا على كل ما يواجهه . **ولكن الانسان — للاسف — في غمرة المدنية المادية نسي كل هذا ، وتصور ان السعادة هي في مجرد امتلاك المادة ، وكانت النتيجة انه لم يفقد السعادة فقط بل فقد نفسه ايضا واصبح ريشة في مهب الرياح .**

واحمد الله على تجربة السجن التي امضيت فيها واحدا وثلاثين شهرا من يناير ٤٦ الى يوليو ٤٨ ، فقد منحتني التوازن الذي يعتمد على السلام الروحي والتنشيط العقلي والرياضة البدنية. وكانت هذه العناصر الثلاثة هي التي جنبتني الانفعال والعصبية والتشنج .

لذلك استيقظت صباح ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وأديت التمرينات الهادئة لكي أعطي جسمي حقه ، وكان عقلي في منتهى النشاط والراحة وعلى استعداد تام لتحمل مسئوليات اليوم الجديد .



حسني مبارك .. ومحطم اسطورة الطيران الاسرائيلي .



الرئيس السادات والمشير احمد اسماعيل اثناء زيارة لهما للجبهة قبل حرب اكتوبر .

فعندما يحصل الجسم على لياقته ، فان هذا ينعكس بدوره على العقل . **اما روحي فكانت في شبه صلاة صامتة من اجل اليوم الذي سنحطم فيه جدار الصمت والخوف والرعب والانهزامية . لقد عقدنا العزم على اجتياح كل مايعوق مسيرتنا وليكن مايكون. فقد كانت حساباتي تدل على ان المكسب لنا مهما كانت النتيجة.**

وهكذا استمر برنامج يومي العادي ، فقد كان ٦ اكتوبر ١٩٧٣ بالنسبة لي يوما من ايام العمل الذي حملته على كتفي منذ ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ بل ومن ايام العمل السياسي والكفاح السري اللذين خضتهما بكل قواي منذ تخرجي في الكلية الحربية عام ١٩٣٨

في غرفة العمليات

في الساعة الواحدة وعشرين دقيقة من يوم ٦ اكتوبر جاءني الفريق اول احمد اسماعيل كما اتفقنا . خرجنا سويا ولم نركب العربات الخاصة برئاسة الجمهورية بل ركبنا عربة الجيب الخاصة بالجيش وقد ارتديت الزي العسكري . وتوجهنا الى غرفة العمليات او «المركز ١٠» الذي يقع تحت الارض وقد جهز باحدث متطلبات الاساليب العسكرية الحديثة ويمكن الاتصال منه باي مكان في مصر سواء في الجبهة او في القاهرة او الاسكندرية او اسوان ، حتى في حالة قطع التليفونات والاتصالات السلكية .

وفي الساعة الواحدة والنصف دخلت غرفة العمليات والقيت بالتحية الى اولادي القادة وكانوا على اتم استعداد وكل واحد منهم يرابط امام خرائطه ، بينما علقت الخريطة الكبيرة على الحائط ، وثبتت الخريطة التفصيلية على المائدة التي تتوسط الغرفة . وامامي مباشرة وقف ضابط الدفاع الجوي امام خريطة مصر التي وضعت وراء حواجز زجاجية لكي يتلقوا البيانات عن اي نشاط لطيران اسرائيل ثم يقومون في الحال برصده والتعامل معه .

اتخذت مكاني في الغرفة والقائد العام على يميني ورئيس الاركان على يساري والى جانبه الجمسي مدير العمليات وامام مكتبه مجموعة تليفونات للاتصال بجميع فروع القوات المسلحة ، وكان في امكاننا ان نشاهد من اماكننا اللوحة الزجاجية فنعرف سير العمليات الجوية بالكامل . وهذا هو النظام المتبع في كل غرف العمليات الحديثة ، وكانت غرفتنا مثالا لمصر الحديثة التي نتمناها جميعا ونعمل على تحقيقها . فهي مجهزة بأحدث ما في العصر لكي تناسب الحرب الحديثة التي نديرها منها . صحيح انها كانت في حدود امكانياتنا المتاحة لكنها كانت تتمشى مع روح العصر تماما

كنا في العاشر من رمضان وكعادتي دائما كنت صائما . فلم اتعود ان اتذرع بالظروف لهربا من الصيام. هذا برغم ان الدين يسمح بالافطار في السفر والمرض والحرب بالذات . ولكن نشأتي في القرية علمتني ممارسة الرياضة الروحية في كل الظروف والاحوال . فهي تحول الصيام والايمان والدين والعبادة والعقيدة الى جزء لا يتجزأ من كيان الانسان ، ويشعر بأنه لو اخل باحداها فانه يتخلى عن جزء من ذاته وتوازنه . والصيام بالذات تعتبره القرية مسالة رجولة ، وكنا نصوم في طفولتنا لنثبت اننا رجال . وطالما سافرت من قبل في رمضان ولكنني لم افطر ابدا . ولم يشذ العاشر من رمضان عن هذه القاعدة بالنسبة لي شخصيا . ولكن كانت تعليماتي تحتم ان يفطر الجميع ، فيجب الا تكون هناك فرصة خطأ او سهو ولو ١ ٪ نتيجة الصيام ، وخاصة بالنسبة للذين اعتادوا التدخين او تناول الشاي او القهوة ، فمن المحتمل جدا ان يؤثر الامتناع عنها في كفاءة الاداء او اي شيء من هذا القبيل .

طبقا للدين فان الافطار حلال في هذه الظروف ، وقد اصدرت التعليمات بضرورة الافطار . وعندما جلست في غرفة العمليات لم ادخن ولم اشرب كوبا من الشاي او النعناع كعادتي . وكنت اتصور ان القادة قد نفذوا التعليمات بالافطار ولكنني لم اجد احدا منهم يدخن او يشرب شيئا . وعندما سألتهم عن مدى تنفيذهم للاوامر بالافطار ولماذا **لا يدخنون ولا يشربون** الشاي ؟ اصابهم حرج شديد امامي .

فقلت ان العملية تحتاج الى تركيز شديد وانتباه مكثف ، وفي الحال طلبت كوبا من الشاي وكذلك احضار البايب من عرشي بالخارج وشربت الشاي بالفعل ، فكانت النتيجة ان زال الحرج وشرع الجميع في التدخين وشرب الشاي .

ضربة الطيران

وحسب الخطة الموضوعة صدر بيان الساعة الثانية ظهرا يعلن ان الاسرائيليين اعتدوا علينا في البحر الاحمر في نقطتين واننا نقوم برد الضربة وصد العدوان .ورغم انه لم يحدث ساعتها اي اعتداء اسرائيلي ، الا ان هذا البيان يعتبر اسلوبا دبلوماسيا في مخاطبة شعوب العالم ، وهو بالنسبة لنا لم يكن خداعا دبلوماسيا ، اي اننا لم نكذب على العالم ، لاننا نعتبر مجرد وجود القوات الاسرائيلية على ارضنا هو اعتداء مستمر علينا .

وفي لحظة صدور البيان كانت طائراتنا تعبر القناة وتنقض على المواقع الاسرائيلية في سيناء . واعلن الميكروفون في غرفة العمليات ان الطيران عبر وتوغل في سيناء . وكانت فرحة رائعة لا مثيل لها . كنت اجلس هادئا جدا ، ولو تمكن احد من رؤية نفسي من الداخل في تلك اللحظة الخالدة لاحس بنوع غريب من الطمأنينة يسري في كل كياني . لم أكن احمل هما من تلك الهموم التي اثقلت كاهلي منذ هزيمة ١٩٦٧ . وكما قلت من قبل ان كل الهموم ذابت بكسرنا حاجز الخوف والهزيمة والمهانة والمذلة والضياع والتمزق وكل الاعراض المرضية التي عانت منها امتنا العربية ومصرنا الغالية .

بعد ثلث ساعة بالضبط انتهت ضربة الطيران . كانت ضربة رائعة اعادت لقواتنا المسلحة كرامتها التي انتهكت عام ١٩٦٧ وقبلها في عام ١٩٥٦ .

كان الهجوم بأكثر من ٢٢٠ طائرة ، ولانه طيران نفاث وسرعته تفوق سرعة الصوت فان الضربة لم تستغرق اكثر من ١٥ دقيقة ، وقد قام ابنائي بأروع واجب يمكن ان يقوم به اي سلاح طيران في العالم من حيث الكفاءة والدقة والمفاجأة في تحقيق كل مهمة أسندت الى طيار **من الطيارين ، وكان تقدير الخبراء الروس اننا سنفقد في الضربة الاولى من ٣٠ ٪ الى ٤٠ ٪ واننا سنحقق ٣٠ ٪ من الهدف ، ولكننا لم نفقد سوى خمس طائرات اي حوالي ٢ ٪ وحققت الضربة ٩٩ ٪ من الهدف . كانت من بين الطائرات التي فقدت طائرة اخي الاصغر المرحوم «** عاطف » الذي كان في منزلة ابني لانني قمت بتربية كل اخوتي وتعليمهم على طريقتنا في القرية . فقد بذل ابي اقصى ما في وسعه لكي يصرف على تعليمي حتى اتمكن بدوري من تربية اخوتي . كان ابي محدود الدخل الى درجة الفقر ولذلك اعتمد علي في تربية اخوتي منذ تخرجي في الكلية الحربية عام ١٩٣٨ والى ان توليت رئاسة الجمهورية عام ١٩٧٠ .

ولا يعتبرني اخوتي اخا لهم بقدر ما ينظرون الى كأب ، وكان هذا ايضا في حياة ابي الذي توفي منذ مدة وجيزة بعد ان توليت رئاسة الجمهورية .كانت مسئولية اخوتي ملقاة على عاتقي بالكامل منذ تخرجي في الكلية الحربية ، وكان عاطف اصغرهم واحبهم الى قلبي . وطالما جاشني والحماس والانفعال يأخذان منه كل مأخذ وهو يحكي لي عن التدريب الشاق الذي يتلقاه والمعركة التي ينتظرها الجميع بشوق بالغ ، ولذلك اخفى احمد اسماعيل وحسني مبارك نبأ استشهاد عاطف عني ، ولم يصرحا بأكثر من اننا فقدنا خمس طائرات فقط .

استشهد أخي عاطف في الدقائق الخمس الاولى من بدء المعركة . كان من المفروض ان يضرب السرب دفاعات احد المطارات الاسرائيلية في عمق سيناء لكي يمهد الجو لزملاء السرب القادم خلفه حتى يضربوا المطار ضربا نهائيا لان دفاعات المطار تكون حينئذ قد عجزت تماما عن اداء واجباتها . وبالفعل حقق عاطف مع سربه مهمته بالقضاء التام على دفاعات المطار. وبعد ذلك جاء السرب التالي لهم لكي يدك المطار دكا كاملا ويحوله الى حطام وحرائق . وكان من الممكن في هذه اللحظة أن يعود أخي عاطف سالما اذ انه كان قد ادى واجبه كاملا طبقا للاوامر الصادرة اليه ، ولكنه اصر على التأكد من ان دفاعات المطار قد قضي عليها تماما فعاد أدراجه وكان استشهاده في عودته .

ولكنني لم اكن افرق بين ابني وأخي عاطف وبين اولادي الطيارين ، فلم يكن اخي سوى واحد ضمن باقة الشهداء الغالين الذين ضحوا بحياتهم لكي تعود الينا الكرامة والكبرياء والطمأنينة والثقة .

والحمد لله لم نفقد من طائراتنا سوى خمس طائرات . وخسارة خمس طائرات فقط من مائتين وعشرين طائرة تعني ان الضربة كانت ناجحة مائة في المائة وحققت كل اهدافها .

قلت للقادة : هؤلاء هم اولادي يعودون الى سابق مجدهم فقد كانت ضربة الطيران هذه هي سر نجاح خطتنا لانها افقدت اسرائيل توازنها بضرب جميع مراكز القيادة ودكها تماما . وهذه المراكز تشمل مراكز السيطرة مثل ادارة الطيران والدفاع الجوي والشوشرة وغيرها من الشرايين الحيوية لاي جيش حديث .



الشهيد عاطف السادات

وبالطبع عندما يندك كل هذا في وقت واحد فلابد وان يصاب الجيش الاسرائيلي كله بالشلل التام . ولذلك صرحت بعد اربع ساعات من بدء المعركة أن اسرائيل قد فقدت توازنها تماما، ولكي تستعيد كل مراكز القيادة هذه وتبنيها من جديد يكون الوقت قد مر في غير صالحها، ونكون قد انتهينا من مهمتنا الاساسية الاولى .

والفضل في هذا كله يرجع الى ضربة الطيران المحكمة الموفقة التي أذاقت اسرائيل لفحات الجحيم المستعر الذي عاشت فيه مصر منذ التاسعة صباح يوم الاثنين الخامس من يونيو ١٩٦٧ الى الثانية ظهر يوم السبت السادس من اكتوبر ١٩٧٣ . **منذ تلك الساعة الخالدة صدرنا الجحيم الى اسرائيل لكي تعود الى حجمها الطبيعي : مجرد دولة تابعة تعيش على صدقات الاخرين وحسناتهم .**

ولعل هذا من الاسباب التي ادت الى اختياري لحسني مبارك نائبا لرئيس الجمهورية لانه في ضربة واحدة افقد اسرائيل توازنها ، وفتح الطريق امام قواتنا المسلحة كي تحطم الى الابد خرافة الجيش الذي لا يقهر، وانهى اسطورة التفوق الاسرائيلي التي خدعت العرب حوالي ربع قرن من الزمان ، واستعاد لسلاح الطيران المصري كرامته التي جرحت في معركتي عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ نتيجة لاهمال القيادة في المعركتين .

ولم يستعد حسني مبارك كرامة الطيران فقط ، بل كرامة القوات المسلحة وكرامة الشعب المصري وكرامة الامة العربية كلها . وقد نجحت كل التكتيكات والخطط التي اتفقنا على ان ينفذها سلاح الطيران بحيث ظل سليما ومتماسكا تماما حتى الايام الاخيرة من المعركة. هذا في الوقت الذي فقدت فيه اسرائيل ثلث سلاح طيرانها في الايام الثلاثة الاولى للمعركة . وما زال سلاحنا الجوي متماسكا حتى الان ، لان خسائرنا في الطيران انحصرت في الثغرة عندما وجه مبارك اشد الضربات الموجعة والمميتة للثغرة الاسرائيلية. وانا في هذا أستشهد بكلام اليعازر رئيس الاركان الاسرائيلي المعزول عن خسائرهم في الثغرة الرهيبة التي دفعوا ثمنها باهظا من اجل استعراض تليفزيوني سخيف .

وبالاضافة الى شهادة اليعازر ، هناك شهادة احد الطيارين الاسرى الذين كانوا يعملون في نقل الجرحى الاسرائيليين ، وهذه الشهادة مسجلة عندنا وتوضح الخسائر الرهيبة التي اصابت الاسرائيليين في الثغرة التي كانت مقبرة لهم بكل ما تصوره المقابر من صور الموت ، وقد أعلنت وانهي عمان اخيرا انني اتحدى ان تعلن اسرائيل عن خسائرها في الثغرة وعن تفاصيل هذه العملية المسرحية .

[البقية غدا]

٥

لم ينتظر المشاة وعبروا قبل ضرب المدفعية[١]

طورنا العلم العسكرى

نعود إلى الساعة الثانية بعد ظهر يوم السادس من أكتوبر حين هجمت طائراتنا على ارتفاع منخفض جدًا لكى لا تظهر على الرادار الإسرائيلي. وعندما شاهدت قواتنا الرابضة على خط النار طائراتنا وهى تنقض على المواقع الإسرائيلية لم تنتظر صدور الأوامر إليها ببدء القتال، وإذ بالجزء الأكبر منها يعبر القناة كالسيل الهادر. وبالطبع صدر الأمر في الحال بالهجوم العام لجميع قوات الجبهة والانقضاض على موقع العدو.

بدأت عندئذ مراحل تنفيذ الخطة وعبرنا القناة، ولأول مرة يغير المصريون التخطيط العسكرى المتعارف عليه في العالم كله، والقاعدة العسكرية العالمية بل والتاريخية تحتم ألا يقابل المدرعات سوى المدرعات. ولم يخرج أحد من قادة الحروب في التاريخ عن هذه القاعدة، فيجب ألا تواجه المشاة مدرعات، فالمشاة بالتعبير العسكرى SOFT ولا تتحمل هجمات المدرعات الصلبة.

ولكن في حرب أكتوبر - وهى الحرب التي قلبت كل الموازين العسكرية والسياسية والاقتصادية رأسًا على عقب - نزلت قواتنا الخاصة مع قوات المشاة المدربة حاملة الصواريخ في اليد وعلى الكتف. هجمت القوات مستعيدة مناطق ومواقع شرق القناة، وذلك بعد أن تمكنت من القضاء على عدد كبير من الدبابات الإسرائيلية حتى تمهد الجو وتتيح للدبابات المصرية لكى تعبر وتسجل في تاريخ العسكرية العالمية أروع وأعنف وأكبر معارك الدبابات.

ولم يكن القضاء على الدبابات الإسرائيلية سهلا، فقد سبقته عمليات إعجار عسكرى خارق لكل قوانين الحرب.

كان من المفروض أن يبدأ ضرب المدفعية بأكثر من ألفى مدفع بعد ضربة الطيران فورًا. ثم يبدأ عبور المشاة، ولكن عبور المشاة تم قبل ضرب المدفعية لأنهم لم ينتظروا الأمر بالهجوم كما قلت.

بدأ الإعجاز المصرى بتسلق المشاة للحاجز الترابى الذى كان يصل في بعض مواقعه إلى ارتفاع أكثر من ١٧ مترًا. وقد تم التسلق بأساليب أذهلت الإسرائيليين والعالم كله معهم، لأننا استخدمنا عمليات تكاد تكون بدائية مثل سلم الحبال الذى يحمله أول

---

[١] الأهرام السبت ٤ أكتوبر ١٩٧٥م - ٢٩ رمضان ١٣٩٥هـ

متسلق وعندما يصل إلى القمة يقوم بمده حتى يتسله الباقون. وكان المتسلقون يحملون الأسلحة المضادة للدبابات مثل الصواريخ والمدافع من طراز ب ١٠ والأربيجيه ٧ وهي ثقيلة تمامًا. وبنفس السرعة أعدوا المدافع للانطلاق وهجموا على المواقع التي أعدها الإسرائيليون خلف الساتر الترابى في شرق القناة لكى تهاجمنا منها قواتهم ودباباتهم في حالة حدوث أي هجوم مصري. سبق أولادنا جنود إسرائيل واحتلوا المواقع وسيطروا عليها لكى يغطوا قواتنا التي كانت تعبر في تلك اللحظة الرهيبة.

بدأت موجات العبور تتوالى وكان مهرجانًا وطنيًا في غرفة العمليات. صحيح لم يكن هناك صوت ما، فقد كان العمل الصامت والتفكير الهادئ يسيطران على تصرفات كل القادة.



ولم يكن يُسمع سوى صوت الميكروفون الذى يُعلن: لقد عبر اللواء السابع وغرس العلم على الضفة الشرقية.

كان أول تبليغ عن أول لواء مصري يعبر.

ثم توالت الأنباء بعد ذلك عن استعادة النقط الحصينة في خط بارليف[1] الذى يمتد على القناة مباشرة. وكانت النقط الحصينة تتساقط مثل أوراق الخريف أمام سيل أولادنا الهادر.

وبعد أربع ساعات كان من الواضح تمامًا أن الإسرائيليين فقدوا توازنهم بالكامل بضياع السيطرة على قياداتهم وقواتهم.

والسيطرة اصطلاح عسكرى يعنى القدرة التامة على الاتصال المباشر والسريع بين القيادات والقوات العاملة. ولذلك كان هدفنا القضاء على وسائل هذا الاتصال لكى نحقق عنصر المفاجأة، ويظل عامل المبادرة في أيدينا، وكسب الوقت إلى جانبنا.

ومن أهم الوسائل للقضاء على فاعلية العدو هو العمل الحاسم والسريع لإنهاء سيطرته على قياداته وقواته، وإلى أن يستعيد العدو توازنه ويلم شمل قواته، يكون

(١) خط بارليف: سمى كذلك نسبه للقائد العسكرى الإسرائيلى حاييم برليف.. وهو عبارة عن سلسلة من التحصينات الدفاعية التى كانت تمتد على طول الشاحل الشرقى لقناة السويس.. تم بناؤه من قبل إسرائيل لسيناء بعد حرب ١٩٦٧ بتكلفة حوالى ٥٠٠ مليون دولار.

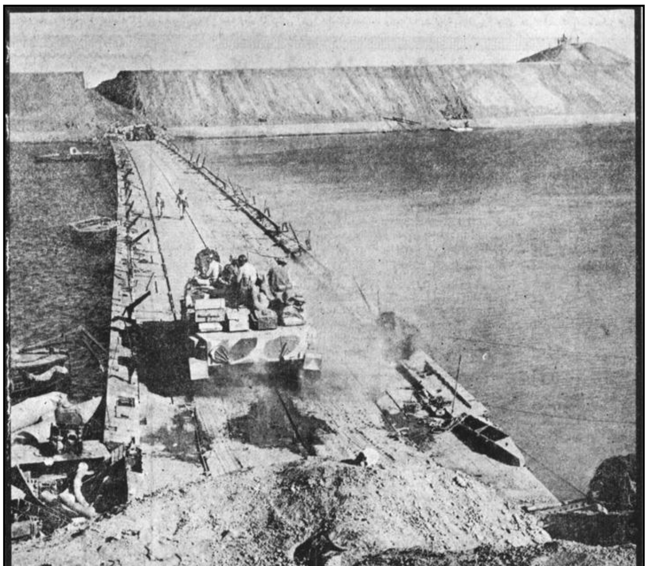
الوقت اللازم لحسم المعركة لصالحه قد فات وبالتالي تصبح خسارته محققة. وهذا ما حدث بالفعل في الساعات الأربع الأولى من القتال.

شيء لم يخطر على بال إسرائيل

بعد ذلك بدأ سلاح المهندسين في استخدام نظرية شق الحاجز الترابى بخراطيم المياه المكثفة[١]. وهى النظرية التي لم تكن لتخطر على بال أحد من القادة العسكريين الإسرائيليين أو حتى العالميين. ولذلك فالجميع مذهولون حتى الآن كيف حدث هذا بهذه البساطة؟؟

والحقيقة أن هذه عملية مصرية مائة في المائة استطعنا اكتشافها من خبرتنا الهندسية والعملية في بناء السد العالى. فقد كان هناك سد رملى عندما بنى جسم السد الكبير لكى يحتل المكان الذى ستدخل منه المياه إلى محطات الكهرباء، وعند الانتهاء من بناء السد العالى تقرر التخلص من السد الرملى عن طريق توجيه الخراطيم إلى منتصفه لكى تحدث فيه ثغرة. عندئذ تتكفل المياه المحجوزة وراء السد الرملى بأن تجرفه فورًا.

ولقد استخدمنا نفس النظرية لفتح الثغرات في الساتر الترابى على القناة برغم أنه لم تكن هناك مياه تعمل على جرفه. ولكننا اقتصرنا على فتح الثغرات التي تتيح عبور الدبابات. وفعلا نجحت النظرية نجاحًا منقطع النظير.


العبور فوق الجسور التى التى أقامها سلاح المهندسين فى وقت قياسى

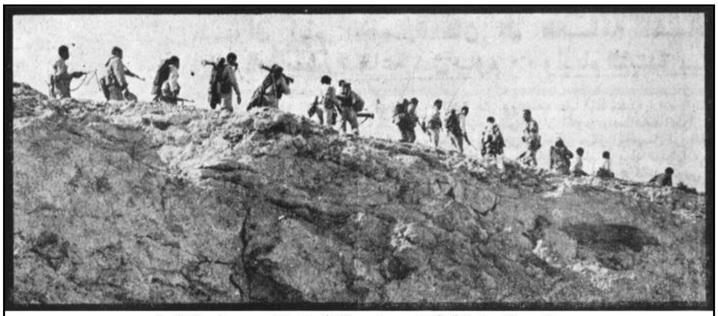
خدعة مص القصب

واستمر تركيب الجسور على القناة ولم تكن سوى جسور من طراز الجسور التي استخدمت في الحرب العظمى الماضية والتي

---

(١) صاحب الفكرة هو المقدم باقى زكى يوسف (اللواء أركان حرب فيما بعد).. ولد في ٢٣ يوليو ١٩٣١م وتوفى ٢٣ يونيو ٢٠١٨م.. وحسب التصريحات الصفحية لباقى زكى.. أنه عرض فكرة استخدام قوة المياه موضحًا بأنها أقوى من المفرقعات والألغام والصواريخ وأوفر وأسرع.. موضحًا أنه توصل للفكرة من خلال خبرته العملية عندما كان يعمل في السد العالى.. وبعد عرضها على قائد الفرقة اللواء سعد زغلول عبد الكريم نقلها إلى نائب رئيس العمليات اللواء أركان حرب محمود جاد التهامى.. وخلال ١٢ ساعة وصلت الفكرة للرئيس جمال عبد الناصر، ومنه إلى إدارة المهندسين التى درست الفكرة وجربوا أكثر من نوع من المضخات وقاموا بالعديد من التجارب العملية والميدانية للفكرة زادت على ٣٠٠ تجربة اعتبارًا من سبتمبر ١٩٦٩ حتى ١٩٧٢ بجزيرة البلاج بالإسماعيلية، حيث تم فتح ثغرة فى ساتر ترابى أقيم ليماثل الموجود على الضفة الشرقية للقناة.

تحتاج إلى فترة من ٥ إلى ٧ ساعات لتركيبها وهى ما سمح لنا به الروس في الوقت الذى كان عندهم الجسور الحديث التي يمكن تركيبها في نصف ساعة فقط ولم يرسلوها إلا بعد عتابى الشديد لكوسيجين[١] رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى ووصلتنا قبل وقف القتال مباشرة. وعلى جسور من هذا الطراز القديم بدأ عبور الدبابات في المساء. وتم كل شيء قبل مواعيده المنصوص عليها في الخطة. فقد استطعنا استغلال الغرور الذى أصاب الإسرائيليين وأعماهم عن رؤية الأمر الواقع بأبعاده الحقيقية.


جنود الصاعقة فوق جبل عتاقة يكملان حصار الثغرة

كانوا واثقين أن عملية عبور القناة انتحار، وهى فعلا انتحار. وقد حاولت جولدا مائير[٢] تغطية الخيبة الإسرائيلية بادعائها أن إسرائيل لم ترغب في البدء بالهجوم وتركت الضربة الأولى للعرب. وهذا الادعاء يتنافى مع الحقيقة تمامًا لأننا نعرف سياسة إسرائيل التي تعتمد على ما يسمى بالحرب الوقائية لأتفه الأسباب وأسخف الأعذار. فقد كانت تهاجم لمجرد أية شبهة لا أساس لها من الصحة واليقين.

هذا يدل دلالة واضحة على أن المفاجأة كانت كاملة بالنسبة لهم حتى قادة الجبهة صباح ٦ أكتوبر قاموا بخداع آخر بأن جعلوا جنودهم يسترخون على ضفة القناة ويمصون أعواد القصب.

بتركيب الجسور ودخول القوات المدرعة في أعقاب هجوم قواتنا الخاصة مع المشاة المدربة، حطمنا نظرية الدرع بالدرع، والدبابة بالدبابة، كما قلت.. هجم جنودنا بمدافع الأربيجيه وصواريخ الميلوديكا المضادة للدبابات، وبالإضافة إلى ضربهم المباشر، كان هناك الضرب غير المباشر للمدفعية الثقيلة. ومن خلال الهجمات المباشرة والسريعة، قضوا على هجمات الإسرائيليين الذين بذلوا أقصى ما في وسعهم لوقف العبور.

هكذا عبرت قواتنا المدرعة كلها ووصلت إلى الخط المقرر لها في الخطة. وتم تنفيذ كل العمليات المتصلة بالخط الأول قبل مواعيدها المقررة، وذلك استعدادًا لتطوير الهجوم إلى المرحلة الثانية بالوصول إلى الخط الثانى عند المضايق.

---

(١) أليكسى كوسيجين: ولد فى ٢٠ فبراير ١٩٠٤م وتولى رئاسة وزراء الاتحاد السوفيتى من ١٥ أكتوبر ١٩٦٤م حتى ٢٣ أكتوبر ١٩٨٠م. وتوفى فى ١٨ ديسمبر ١٩٨٠م.

(٢) جولدا مائير: رابع رئيس وزراء لإسرائيل.. ولدت فى ٣ مايو ١٨٩٨م وتولت رئاسة وزراء إسرائيل فى ١٧ مارس ١٩٦٩م حتى ٣ يونيو ١٩٧٤م.. وتوفيت فى ٨ ديسمبر ١٩٧٨م

العبقريات التي أنجبتها مصر

كان العطل الوحيد قد تمثل في موقع واحد في الجيش الثالث أمام السويس. فعندما وجهت خراطيم المياه إلى الساتر الترابى أحدثت في الأرض نوعًا من الرخاوة واللزوجة بسبب ملوحة الأرض في تلك المنطقة. ولذلك كان عبور الدبابات صعبًا لأول وهلة، لدرجة أن الدبابات الأولى غرزت وعجزت عن التقدم، عندئذ تصرف القائد بحكمة لكى لا يضيع الوقت الثمين، فأمر بإعادتها وإلقائها في القناة لكى تخلى الطريق للدبابات التالية. ونفذ هذا حرفيًا وتم إخراج الدبابة أخيرًا في عمليات تطهير القناة التي تمت قبل افتتاحها في ٥ يونيو ١٩٧٥[١].

وقد يلاحظ القارئ أننى تحاشيت التحدث باستفاضة عن الجانب الفني العسكرى للمعركة، فقد فضلت أن أترك هذا الجانب للفريق أول محمد عبد الغنى الجمسى الذى كان مديرًا للعمليات أثناء الحرب، لكى يكتب التاريخ العسكرى بكل تفاصيله الدقيقة، فهو تاريخ لن يدرس فقط في كلياتنا وأكاديمياتنا العسكرية بل في كل معاهد العالم العسكرية. والجمسى بالذات من العبقريات العسكرية التي أنجبتها أرض مصر الطيبة، والتي أبرزتها حرب أكتوبر عمليًا للعالم أجمع. ونستطيع الآن القول بأن حرب أكتوبر كانت مدرسة عسكرية تخرج فيها من القادة العظام من نتباهى بهم أمام العالم من أمثال: الجمسى، وحسنى مبارك، ومحمد على فهمى[٢]، وأحمد بدوى[٣]، وفؤاد عزيز غالى[٤]، وأبو سعدة[٥]، وعبد العزيز قابيل[٦] وكثيرون آخرون.

كيف نتكلم؟

---

(١) الخميس ٥ يونيو ١٩٧٥م - ٢٤ جمادى الأولى ١٣٩٥هـ

(٢) المشير محمد على فهمى: ولد فى ١١ أكتوبر ١٩٢٠م.. وتولى قيادة قوات الدفاع الجوى من ٢٣ يونيو ١٩٦٩ حتى ١٩٧٥م.. وتوفى فى ١٢ سبتمبر ١٩٩٩م.

(٣) المشير أحمد بدوي سيد أحمد: ولد فى ٣ أبريل ١٩٢٧م.. تولى منصب وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة من ١٤ مايو ١٩٨٠م حتى وفاته فى ٢ مارس ١٩٨١م.

(٤) فؤاد عزيز غالى: ولد فى ١٠ ديسمبر ١٩٢٧م بمحافظة المنيا لأسرة قبطية تنتمى للطبقة الوسطى.. تخرج من الكلية الحربية عام ١٩٤٦م.. لعب دورًا بارزًا في حرب أكتوبر ، فقد قام بتحرير مدينة القنطرة، ودمر أقوى حصون خط بارليف.. تم ترقيته لرتبة لواء، كما عين فى ١٢ ديسمبر ١٩٧٣م قائدًا للجيش الثانى الميدانى ليصبح أول قبطى يصل لمنصب قائد جيش ميدانى.. عين محافظ لجنوب سيناء فى ١٦ مايو ١٩٨٠م.. وتوفى فى ١ أغسطس ٢٠٠٠م

(٥) حسن على أبو سعدة: ولد فى ١٣ أكتوبر ١٩٣٠م فى مدينة إدكو بمحافظة البحيرة.. فى ١٩٧١ تم تعيينه قائدًا للفرقة الثانية مشاة والتى حققت إنجازات عكسرية عديدة فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م منها تدمير اللواء ٢١٧ مدرع احتياطى الاسرائيلى وأسر قائد أحد كتائبه وهو المقدم عساف ياجورى فى معركة الفردان.. عين سفيرًا فى المملكة المتحدة لندن فى ٢ نوفمبر ١٩٨٢ وحتى عام ١٩٨٤م... وتوفى فى ٧ مارس ٢٠١٢م.

(٦) اللواء محمد عبد العزيز قابيل: ولد فى ١٤ مارس ١٩٢٧م بالعزيزية مركز منيا القمح بمحافظة الشرقية.. كان قائد الفرقة الرابعة المدرعة أثناء حرب أكتوبر.. وترقى إلى رتبة اللواء وعين قائدًا للمنطقة الغربية العسكرية ثم الملحق الحربى فى واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية حتى أنهى حياته العسكرية عام ١٩٨٤م

كانت الحملة الإعلامية المصرية على مستوى المعركة أيضًا. وتجلى هذا في أسلوب صياغة البلاغات العسكرية. فإذا أخذنا البلاغ الأول الذى أعلن أن قواتنا تتعامل مع العدو وترد عليه قبل إعلان العبور، نجد أنه حدد بعض المناطق في البحر الأحمر والبحر الأبيض، لكى تتفاداها الملاحة والطيران الدوليان، حرصًا منا على الأمن العالمى. فقد كنا - كما قلت - نعمل على أحدث أساليب العلم وضرورات العصر. وكان لهذا تأثير كبير على الإسرائيليين أنفسهم. فقد ظنوا أننا نقول كلامًا لمجرد الاستهلاك المؤقت، ولسنا بقادرين على تنفيذ ما نقول، ولذلك لم يعبأوا بتحذيراتنا، ولكنهم عادوا إلى صوابهم عندما ضربت سفينة لهم كانت في طريقها إلى إيلات ولم نعلن أننا ضربناها. وأدركوا في الحال أننا نعنى ما نقول وأوقفوا الملاحة في المناطق التي حددها بلاغنا.

مفاجأة السفير السوفيتى

في غرفة العمليات، توالت البلاغات بسقوط النقط ورفع العلم المصرى هنا وهناك. وأصبحت اللواءات تتنافس فيما بينها على رفع الأعلام وخاصة عندما تسمع لاسلكيًا أن لواء جديدًا رفع العلم وهكذا.

<u>وظللت أتابع الموقف من غرفة العمليات حتى الساعة الثامنة إلا ثلثًا، عندما أبلغنى قصر الطاهرة أن السفير السوفييتى طلب مقابلتى لإبلاغى رسالة عاجلة من القادة السوفييت. وإذ بالسفير يبلغنى أن الرئيس حافظ الأسد[1] قد طلب وقف إطلاق النار في ظرف ٤٨ ساعة. وتوالت مقابلات السفير السوفييتى لى كما سردت من قبل في هذا التسجيل.</u>

<u>وكل هذه التفاصيل السياسية مثبتة في دفتر يوميات المعركة. فقد كلفت عبد الفتاح عبد الله[2] لكي يُسجل يوميات العملية السياسية تمامًا كما كانت يوميات العملية العسكرية تُسجل في غرفة العمليات أولا بأول. وعلى هذا سجل عبد الفتاح عبد الله كل المحادثات التي دارت بينى وبين السفراء أو غيرهم من المسئولين المعنيين بالأحداث الدائرة في المنطقة.</u>

---

(1) حافظ الأسد: ولد فى قرية القرداحة بمحافظة اللاذقية بسوريا، انضم إلى حزب البعث السورى عام ١٩٤٦م وتخرج من الأكاديمية العسكرية بحمص عام ١٩٥٥م.. عين عام ١٩٦٥ قائدًا للسلاح الجوى.. فى ٢٣ فبراير ١٩٦٦م كان الأسد أحد قادة الانقلاب الذى أطاح بالقيادة القومية المدنية للحزب وحكم الفريق أمين الحافظ، وخلال بضعة أيام من الانقلاب تولى حافظ الأسد وزارة الدفاع. بعد حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ جرت اعتقالات واسعة فى سوريا وتم تبادل الاتهامات مما دفع حافظ الأسد إلى الاستيلاء على السلطة فى سوريا عام ١٩٧٠ ثم أصبح رئيسًا للجمهورية فى مارس ١٩٧١م حتى وفاته فى ١٠ يونيو ٢٠٠٠م

(2) عبد الفتاح عبد الله محمود: وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء فى وزارة أنور السادات الأولى التى تشكلت فى ٢٧ مارس ١٩٧٣م.. ثم وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية فى وزارة أنور السادات الثانية التى تشكلت فى ٢٥ أبريل ١٩٧٤م

لم ينتظر المشاة وعبروا قبل ضرب المدفعية



مذكرات الرئيس السادات

عبقريات عسكرية نباهى بها العالم كله

- عملية بدائية أذهلت الاسرائيليين
- اكتشاف من وحى بناء السد العالى
- كنا نعرف أنها عملية انتحار



جنود الصاعقة فوق جبل عتاقة يكيلان حصار الثغرة

في الساعة الثامنة جاءني السفير السوفيتي يحمل طلب وقف اطلاق النار

طورنا العلم العسكرى

نعود الى الساعة الثانية بعد ظهر يوم السادس من اكتوبر حين هجمت طائراتنا على ارتفاع منخفض جدا لكى لا تظهر على الرادار الاسرائيلى . وعندما شاهدت قواتنا الرابضة على خط النار طائراتنا وهى تنقض على المواقع الاسرائيلية لم تنتظر صدور الامر اليها ببدء القتال ، واذا بالجزء الاكبر منها يعبر القناة كالسيل الهادر . وبالطبع صدر الامر فى الحال بالهجوم العام لجميع قوات الجبهة والانقضاض على مواقع العدو .

بدأت عندئذ مراحل تنفيذ الخطة وعبرنا القناة ، ولاول مرة يغير المصريون التخطيط العسكرى المتعارف عليه فى العالم كله ، والقاعدة العسكرية العالمية بل والتاريخية تحتم الا يقابل المدرعات سوى المدرعات . ولم يخرج أحد من قادة الحروب فى التاريخ عن هذه القاعدة ، فيجب الا تواجه المشاة مدرعات ، فالمشاة بالتعبير العسكرى SOFT ولا تتحمل هجمات المدرعات الصلبة .

ولكن فى حرب اكتوبر — وهى الحرب التى قلبت كل الموازين العسكرية والسياسية والاقتصادية راسا على عقب — نزلت قواتنا الخاصة مع قوات المشاة المدربة حاملة الصواريخ فى اليد وعلى الكتف . هجمت القوات مستعيدة مناطق ومواقع شرق القناة ، وذلك بعد ان تمكنت من القضاء على عدد كبير من الدبابات الاسرائيلية حتى تمهد الجو وتتيح الفرصة للدبابات المصرية لكى تعبر وتسجل فى تاريخ العسكرية العالمية أروع واعنف واكبر معارك الدبابات .

ولم يكن القضاء على الدبابات الاسرائيلية سهلا ، فقد سبقته عمليات اعجاز عسكرى خارق لكل قوانين الحرب .

كان من المفروض ان يبدا ضرب المدفعية باكثر من الفى مدفع بعد ضربة الطيران فورا . ثم يبدا عبور المشاة ، ولكن عبور المشاة تم قبل ضرب المدفعية لانهم لم ينتظروا الامر بالهجوم كما قلت .

بدا الاعجاز المصرى بتسلق المشاة للحاجز الترابى الذى كان يصل فى بعض مواقعه الى ارتفاع اكثر من ١٧ مترا . وقد تم التسلق باساليب اذهلت الاسرائيليين والعالم كله معهم ، لاننا استخدمنا عمليات تكاد تكون بدائية مثل سلم الحبال الذى يحمله اول متسلق وعندما يصل الى القمة يقوم بمده حتى يتسلقه الباقون . وكان المتسلقون يحملون الاسلحة المضادة للدبابات مثل الصواريخ والمدافع من طراز ب ١٠ والاربيجيه ٧ وهى ثقيلة تماما . وبنفس السرعة اعدوا المدافع للانطلاق وهجموا على المواقع التى اعدها الاسرائيليون خلف الساتر الترابى فى شرق القناة لكى تهاجمنا منها قواتهم ودباباتهم فى حالة حدوث اى هجوم مصرى . سبق اولادنا جنود اسرائيل واحتلوا المواقع وسيطروا عليها لكى يغطوا قواتنا التى كانت تعبر فى تلك اللحظات الرهيبة .

بدأت موجات العبور تتوالى وكان مهرجانا وطنيا فى غرفة العمليات . صحيح لم يكن هناك صوت ما ، فقد كان العمل الصامت والتفكير الهادىء يسيطران على تصرفات كل القادة .

ولم يكن يسمع سوى صوت الميكروفون الذى يعلن : **لقد عبر اللواء السابع وغرس العلم على الضفة الشرقية .**

كان اول تبليغ عن اول لواء مصرى يعبر .

ثم توالت الانباء بعد ذلك عن استعادة النقط الحصينة فى خط بارليف الذى يمتد على القناة مباشرة . كانت النقط الحصينة تتساقط مثل اوراق الخريف امام سيل اولادنا الهادر .



وبعد اربع ساعات كان من الواضح تماما ان الاسرائيليين فقدوا توازنهم بالكامل بضياع السيطرة على قياداتهم وقواتهم ، والسيطرة اصطلاح عسكرى يعنى القدرة التامة على الاتصال المباشر والسريع بين القيادات والقوات العاملة . ولذلك كان هدفنا القضاء على وسائل هذا الاتصال لكى نحقق عنصر المفاجأة ، ويظل عامل المبادرة فى ايدينا ، وكسب الوقت الى جانبنا

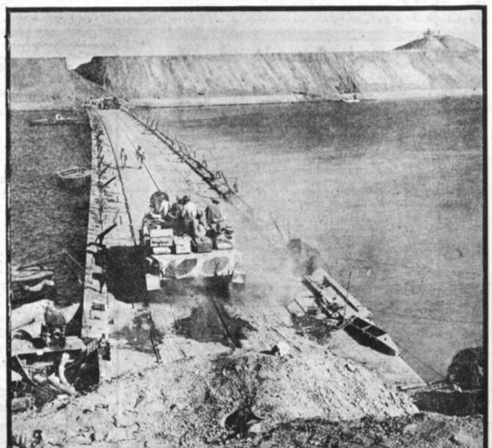
ومن اهم الوسائل للقضاء على فاعلية العدو هو العمل الحاسم والسريع لانهاء سيطرته على قياداته وقواته ، والى ان يستعيد العدو توازنه ويلم شمل قواته ، يكون الوقت اللازم لحسم المعركة لصالحه قد فات وبالتالى تصبح خسارته محققة . وهذا ما حدث بالفعل فى الساعات الاربع الاولى من القتال .

شىء لم يخطر على بال اسرائيل

بعد ذلك بدا سلاح المهندسين فى استخدام نظرية شق الحاجز الترابى بخراطيم المياه المكثفة . وهى النظرية التى لم تكن لتخطر على بال احد من القادة العسكريين الاسرائيليين او حتى العالميين . ولذلك فالجميع مذهولون حتى الان كيف حدث هذا بهذه البساطة !!

والحقيقة ان هذه عملية مصرية مائة فى المائة استطعنا اكتشافها من خبرتنا الهندسية والعملية فى بناء السد العالى . فقد كان هناك سد رملى عندما بنى جسم السد الكبير لكى يحتل المكان الذى ستدخل منه المياه الى محطات الكهرباء ، وعند الانتهاء من بناء السد العالى تقرر التخلص من السد الرملى عن طريق توجيه الخراطيم الى منتصفه لكى تحدث فيه ثغرة . عندئذ تتكفل المياه المحجوزة وراء السد الرملى بأن تجرفه فورا .

ولقد استخدمنا نفس النظرية لفتح الثغرات فى الساتر الترابى على القناة برغم انه لم تكن هناك مياه تعمل على جرفه .



العبور فوق الجسور التى اقامها سلاح المهندسين فى وقت قياسى

ولكننا اقتصرنا على فتح الثغرات التى تتيح عبور الدبابات . وفعلا نجحت النظرية نجاحا منقطع النظير .

خدعة مص القصب

استمر تركيب الجسور على القناة ولم تكن سوى جسور من طراز الجسور التى استخدمت فى الحرب العظمى الماضية والتى تحتاج الى فترة من ٥ الى ٧ ساعات لتركيبها وهى ما سمح لنا به الروس فى الوقت الذى كان عندهم الجسور الحديثة التى يمكن تركيبها فى نصف ساعة فقط ولم يرسلوها الا بعد عتابى الشديد لكوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى ووصلتنا قبل وقف القتال مباشرة . وعلى جسور من هذا الطراز القديم بدا عبور الدبابات فى الماء . وتم كل شىء قبل مواعيده المنصوص عليها فى الخطة . لقد استطعنا استغلال الغرور الذى اصاب الاسرائيليين واعماهم عن رؤية الامر الواقع بابعاده الحقيقية .

كانوا واثقين ان عملية عبور القناة انتحار ، وهى فعلا انتحار . وقد حاولت جولدا مائير تغطية الخيبة الاسرائيلية بادعائها ان اسرائيل لم ترغب فى البدء بالهجوم وتركت الضربة الاولى للعرب . وهذا الادعاء يتنافى مع الحقيقة تماما لاننا نعرف سياسة اسرائيل التى تعتمد على ما يسمى بالحرب الوقائية لاتفه الاسباب واسخف الاعذار . فقد كانت تهاجم لمجرد اية شبهة لا اساس لها من الصحة واليقين .

وهذا يدل دلالة واضحة على ان المفاجأة كانت كاملة بالنسبة لهم . حتى قادة الجبهة صباح ٦ اكتوبر قاموا بخداع آخر بأن جعلوا جنودهم يسترخون على ضفة القناة ويمصون اعواد القصب .

بتركيب الجسور ودخول القوات المدرعة فى اعقاب هجوم قواتنا الخاصة مع المشاة المدربة ، حطمنا نظرية الدرع بالدرع ، والدبابة بالدبابة ، كما قلت .. هجم جنودنا بمدافع الاربيجيه وصواريخ الميلوديكا المضادة للدبابات ، وبالاضافة الى ضربهم المباشر ، كان هناك الضرب غير المباشر للمدفعية الثقيلة . ومن خلال الهجمات المباشرة والسريعة ، قضوا على هجمات الاسرائيليين الذين بذلوا اقصى ما فى وسعهم لوقف العبور .

هكذا عبرت قواتنا المدرعة كلها ووصلت الى الخط المقرر لها فى الخطة . وتم تنفيذ كل العمليات المتصلة بالخط الاول قبل مواعيدها المقررة ، وذلك استعدادا لتطوير الهجوم الى المرحلة الثانية بالوصول الى الخط الثانى عند المضايق .

العبقريات التى أنجبتها مصر

كان العطل الوحيد قد تمثل فى موقع واحد فى الجيش الثالث امام السويس . فعندما وجهت خراطيم المياه الى الساتر الترابى احدثت فى الارض نوعا من الرخاوة واللزوجة بسبب ملوحة الارض فى تلك المنطقة . ولذلك كان عبور الدبابات صعبا لاول وهلة ، لدرجة ان الدبابة الاولى غرزت وعجزت عن التقدم ، عندئذ تصرف القائد بحكمة لكى لا يضيع الوقت الثمين ، فامر باعادتها والقائها فى القناة لكى تخلى الطريق للدبابات التالية . ونفذ هذا حرفيا وتم اخراج الدبابة اخيرا فى عمليات تطهير القناة التى تمت قبل افتتاحها فى ٥ يونيو ١٩٧٥ .

وقد يلاحظ القارىء انني تحاشيت التحدث باستفاضة عن الجانب الفني العسكرى للمعركة ، فقد فضلت ان اترك هذا الجانب للفريق اول محمد عبد الغنى الجمسى الذى كان مديرا للعمليات اثناء الحرب ، لكى يكتب التاريخ العسكرى بكل تفاصيله الدقيقة ، فهو تاريخ لن يدرس فقط فى كلياتنا واكاديمياتنا العسكرية بل فى كل معاهد العالم العسكرية . **والجمسى بالذات من العبقريات العسكرية التى انجبتها ارض مصر الطيبة ، والتى ابرزتها حرب اكتوبر عمليا للعالم اجمع . ونستطيع الان القول بان حرب اكتوبر كانت مدرسة عسكرية تخرج فيها من القادة العظام من نتباهى بهم امام العالم من امثال : الجمسى ، وحسنى مبارك ، ومحمد على فهمى ، واحمد بدوى ، وفؤاد عزيز غالى ، وابو سعدة وعبد العزيز قابيل وكثيرون آخرون .**

كيف نتكلم ؟

كانت الحملة الاعلامية المصرية على مستوى المعركة ايضا . وتجلى هذا فى اسلوب صياغة البلاغات العسكرية . فاذا اخذنا البلاغ الاول الذى اعلن ان قواتنا تتعامل مع العدو وترد عليه قبل اعلان العبور ، نجد انه حدد بعض المناطق فى البحر الاحمر والبحر الابيض ، لكى تتفاداها الملاحة والطيران الدوليان ، حرصا منا على الامن العالمى . فقد كنا — كما قلت — نعمل على احدث اساليب العلم وضرورات العصر . وكان لهذا تاثير كبير على الاسرائيليين انفسهم . فقد ظنوا اننا نقول كلاما لمجرد الاستهلاك المؤقت ، ولسنا بقادرين على تنفيذ ما نقول ، ولذلك لم يعباوا بتحذيراتنا ، ولكنهم عادوا الى صوابهم عندما ضربت سفينة لهم كانت فى طريقها الى ايلات ولم نعلن اننا ضربناها . ادركوا فى الحال اننا نعنى ما نقول واوقفوا الملاحة فى المناطق التى حددها بلاغنا .

مفاجأة السفير السوفيتى

فى غرفة العمليات ، توالت البلاغات بسقوط النقط ورفع العلم المصرى هنا وهناك . واصبحت اللواءات تتنافس فيما بينها على رفع الاعلام وخاصة عندما تسمع لاسلكيا ان لواء جديدا رفع العلم وهكذا .

وظللت اتابع الموقف من غرفة العمليات حتى الساعة الثامنة الا ثلثا ، عندما ابلغنى قصر الطاهرة ان السفير السوفيتى طلب مقابلتى لابلاغى رسالة عاجلة من القادة السوفييت . واذ بالسفير يبلغنى ان الرئيس حافظ الاسد قد طلب وقف اطلاق النار فى ظرف ٤٨ ساعة . وتوالت مقابلات السفير السوفيتى لى كما سردت من قبل فى هذا التسجيل .

وكل هذه التفاصيل السياسية مثبتة فى دفتر يوميات المعركة . فقد كلفت عبد الفتاح عبد الله لكى يسجل يوميات العملية السياسية تماما كما كانت يوميات العملية العسكرية تسجل فى غرفة العمليات اولا باول . وعلى هذا سجل عبد الفتاح عبد الله كل المحادثات التى دارت بينى وبين السفراء او غيرهم من المسئولين المعنيين بالاحداث الدائرة فى المنطقة .

البقية غدا

٦

البنتاجون استعان بالقمر الصناعى وقرر: "إسرائيل هُزِمت"[١]

بالنسبة للموقف العالمى، ابتداء من يوم ٦ أكتوبر، فقد ظل العالم كله مبلبلا ومنحازًا لوجهة نظر إسرائيل، بحكم تعوده على هذا الوضع لمدة ربع قرن.

صدق العالم بلاغات إسرائيل التي ادعت أنها ستطحن عظامنا وتكسر جماجمنا، وبالطبع لم يقتنع العالم بصحة بلاغاتنا على الأقل في أول يومين للمعركة، برغم أن أحمد إسماعيل كان متحفظًا في البلاغات التي كان بعضها يعلن عن خسائر في الدبابات الإسرائيلية أقل من الخسائر الحقيقية. فقد تعود أن يطلب التأكيد من أكثر من جهة، وعندما لا تتوافر لديه البيانات المشتركة كان يأخذ بالرقم الأقل. ولذلك إذا جمعنا خسائر الدبابات الإسرائيلية فسنجد أنها أكثر في الحقيقة بمائة أو مائة وخمسين دبابة على أقل تقدير.

أي أن أحمد إسماعيل استفاد من دروس هزيمة سنة ١٩٦٧ التي لم تكن بلاغاتها سوى ادعاءات لشغل الرأي العام عن الحقيقة المرة أطول فترة ممكنة. وفى الحقيقة كانت تعليماتى لأحمد إسماعيل تنصل على وضع الحقيقة كاملة، بمرها وحلوها، أمام الشعب، وهى نفس التعليمات التي أصدرتها لعبد القادر حاتم[٢]، بحكم إشرافه على الجانب الإعلامى. فقد آن الأوان لكى نعود شعبنا على سماع الحقيقة وتقبلها مهما كانت.

في اليوم الثالث من المعركة، بدأت الأمور تتكشف على حقيقتها للعالم الخارجي الذى بدأ يتسرب إليه الشك في حقيقة البلاغات الإسرائيلية، وبالتالي بدأ في الإنصات جديًا للبلاغات المصرية.

وكانت جولدا مائير - على ما اتضح بعد ذلك - قد اتصلت بواشنطن تليفونيًا وقالت لهم أن إسرائيل في حاجة إلى يومين فقط لتُحطم عظام العرب في مصر وسوريا، وبعد الانتهاء من هذه المهمة البسيطة ستُطالب إسرائيل أمريكا بأن تستعوض كل الأسلحة التي فقدتها في القضاء على العرب. وطمأنت مائير واشنطن بألا تقلق أمريكا على إسرائيل التي تعرف جيدًا كيف تتعامل مع العرب.

---

(١) الأهرام الأحد ٥ أكتوبر ١٩٧٥م - ١ شوال ١٣٩٥هـ

(٢) محمد عبد القادر حاتم: ولد فى ٣ سبتمبر ١٩١٨م بقرية شبشت الأنعام بمركز إيتاى البارود بمحافظة البحيرة.. حصل على بكالوريوس العلوم العسكرية من الكلية الحربية الملكية عام ١٩٣٩م.. وضع البنية الأساسية للإعلام المصرى فى الخمسينيات، وأنشأ التلفزيون المصرى سنة ١٩٦٠، كما شغل منصب وزير الثقافة عام ١٩٦٢ ثم وزيرًا للإعلام عام ١٩٧١م.. توفى فى ٧ يوليو ٢٠١٥م.

مضى يومان بعد مكالمة جولدا مائير، واتصلت إسرائيل تليفونيًا بواشنطن، لتقول أنها مازالت في حاجة إلي يومين آخرين للقضاء على العرب لأنها استخدمت اليومين الماضيين في التعبئة والحشد بسبب عيد الغفران[١] الذى عطل هذه العملية، خاصة وأن إسرائيل لم تعلن حالة التعبئة. وأكد ديان[٢] في حديثه على حق إسرائيل في استعواض الأسلحة بعد القضاء على العرب في ظرف ٤٨ ساعة.

وعندما زارنى كيسنجر[٣] في القاهرة لأول مرة، أخبرنى بأن الشك قد تسرب إلى نفسه بعد مكالمة ديان، فطلب تقريرًا عن المعارك من البنتاجون[٤]، ثم أجرى تحقيقًا مع وزارة الخارجية ووكالة المخابرات المركزية والبنتاجون، لتقصى الأسباب التي عجزت معها كل هذه الأجهزة العاتية عن التنبؤ بوقوع هذه المعارك الضارية في مثل هذه المنطقة الحساسة والحرجة.

رسالة استغاثة.. "أنقذوا إسرائيل"

في نهاية مهلة اليومين التي طلبها ديان استغاث السفير الإسرائيلي في واشنطن بوزارة الخارجية الأمريكية في رسالة عاجلة تصرخ: "أنقذوا إسرائيل".. وأعلن السفير أن إسرائيل فقدت أربعمائة دبابة على الجبهة المصرية والحالة في غاية الخطورة لأن الطريق أصبح مفتوحًا إلى تل أبيب. وانتهت الرسالة التاريخية عند هذا الحد.

وعندئذ طلب كيسنجر جولدا مائير مباشرة بالتليفون وقال لها أن السفير الإسرائيلي في واشنطن قد أبلغه باستغاثة إسرائيل العاجلة وطلبها أربعمائة دبابة فورًا بدلا من الدبابات التي فقدتها على الجبهة المصرية. وأبلغها كيسنجر أيضًا أنه طلب تقريرًا عاجلا من البنتاجون الذى استعان بالقمر الصناعى في كتابة التقرير، وتشير كل الدلائل إلى أن المعركة على الجبهة المصرية تسير في غير صالح إسرائيل نهائيًا، وأن خسائر إسرائيل بلغت حدًا لا يُصدق فهل هذا صحيح؟ وهل صحيح أن إسرائيل طلبت النجدة السريعة؟؟.

---

(١) هو اليوم العاشر من شهر "تشريه"، الشهر الأول في التقويم اليهودى.. ونظرًا لأن اليهود يستخدمون الشهور القمرية مثلما هو الحال مع المسلمين فقد توافق يوم ١٠ تشريه (تشرين) ٥٧٣٤ مع يوم ١٠ رمضان ١٣٩٣هـ

(٢) موشيه ديان: ولد ٢٠ مايو ١٩١٥م.. وزير الدفاع الإسرائيلى ٥ يونيو ١٩٦٧ حتى ٣ يونيو ١٩٧٤م.. فضلا عن مناصب أخرى.. توفى فى ١٦ أكتوبر ١٩٨١م

(٣) هنرى ألفريد كيسنجر: سياسى ودبلوماسى أمريكى ولد فى ٢٧ مايو ١٩٢٣م.. شغل منصب وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية ومستشار الأمن القومى الأمريكى فى ظل حكومة ريتشارد نيكسون وجيرالد فورد.. حيث ظل فى منصب وزير الخارجية حتى ٢٠ يناير ١٩٧٧م.

(٤) مبنى مقر وزارة الدفاع الأمريكية

أجابت جولدا مائير على كيسنجر بالإيجاب وأبلغته أن ديان طلب ذلك بناء على موافقة مجلس الوزراء الإسرائيلي. واعترفت بأن إسرائيل في انتظار الوصول الفوري للدبابات الجديدة حتى تنقذ إسرائيل نفسها من الهوة الرهيبة التي وقفت على حافتها وأوشكت على السقوط فيها بالفعل، بل أنها استخدمت تعبيرًا ذكره أليعازار[1] رئيس الأركان الإسرائيلي في مذكراته وهو: "إن إسرائيل في القاع In The Bottom".

عندئذ صرحها كيسنجر برأيه وقال لها أن على إسرائيل أيًا كانت النتيجة النهائية أن تجهز نفسها للأوضاع الجديدة المترتبة على هذه الهزيمة. ومع ذلك فستبذل أمريكا أقصى ما في وسعها لإنقاذ إسرائيل ومساعدتها بكل الوسائل الممكنة.

ولكن جولدا مائير حاولت المكابرة مرة أخرى بادعائها أن إسرائيل ما زالت قادرة على دق عظام العرب وطحن جماجمهم.

لم يقتنع كيسنجر بكلام مائير لأنه مُفكر استراتيجى يرى الواقع من خلال الحسابات الدقيقة وليس في ضوء ما يتمناه الآخرون. فطالما صدق هو نفسه الأسطورة الضخمة التي بنتها إسرائيل حول تفوقها الساحق وذراعها الطويلة التي يمكن أن تبطش بأية منطقة في العالم العربى مهما بعدت. ولكن عندما وصله تقرير البنتاجون، تأكدت لديه في الحال الأبعاد الأسطورية لعبور القناة واقتحام خط بارليف ودخول قوات مصرية رهيبة ضخمة على مدى ١٨٠ كيلو مترًا من بورسعيد إل السويس. وبرغم المانع المائى المستحيل، والتحصينات الإسرائيلية المنيعة، والجبهة الطويلة الشاسعة لم تحدث خسائر تُذكر للقوات المصرية. هذا في الوقت الذى خسرت فيه إسرائيل ٤٠٠ دبابة في الأيام الأربعة الأولى وانكسر الصلف الإسرائيلي نهائيًا، وظهرت إسرائيل على حقيقتها عارية أمام العالم أجمع ليرى كم من الوقت خدعته وغررت به.

ولعل هذا هو السبب الرئيس الآن [عام ١٩٧٥] في جهود إسرائيل المضنية لكى تزيح كيسنجر من الطريق بالقضاء على مستقبله السياسى. فهو الوحيد من المسئولين الأمريكيين الذى يعرف الأبعاد الحقيقية للمأساة الإسرائيلية، وهو الشاهد العيان الذى رأى انحدارهم وسقوطهم في الهوة التي طالما أعدوها ودفعوا إليها العرب دفعًا. ووجوده يُذكرهم دائمًا بالكابوس الذى رزحت تحته إسرائيل منذ ظهر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ومازال يطبق على أنفاسها حتى الآن. ولكن إسرائيل تُصِر على سلوك النعامة التي تدفن رأسها في الرمال ظنًا منها أن الصياد لن يراها، وهو السلوك الذى يدفعنا إلى التخلص من كيسنجر ظنًا منها أنها بذلك يمكن أن تتخلص من وصمتها التي لحقت بها إلى الأبد.

---

(١) دافيد أليعازار: عسكرى إسرائيلى ولد فى ٢٧ أغسطس ١٩٢٥م.. عمل قائدًا لجبهة الجولان فى حرب ١٩٦٧ ورئيسًا لأركان الجيش لإسرائيلى خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣.. توفى فى ١٥ أبريل ١٩٧٦م

باستمرار المعركة دارت الدوائر على إسرائيل وبدأ العالم بتعاطف مع العرب، تمامًا مثلما كان متعاطفًا مع الإسرائيليين عام ١٩٦٧. وهذا يرجع إلى الأسلوب الصادق والهادئ للدعاية العربية، والدقة الأمينة والموضوعية في البلاغات الصادرة، والقدرة القتالية التي حطمت أسطورة التفوق الإسرائيلي في ساعات معدودة.



فقدت إسرائيل ثلث سلاح طيرانها فى ٣ أيام

فمثلا كان سلاح الطيران الإسرائيلي قبل المعركة لا يتمتع بالتفوق فقط، بل بالسيادة المطلقة على أجواء المنطقة كلها. ومع هذا فقط الإسرائيليون ثلث سلاح طيرانهم في الأيام الثلاثة الأولى من المعركة على الجبهتين المصرية والسورية.

وكانت الخسارة أفدح عندما فقدوا أفضل طياريهم المدربين، فقد كان الهجوم المسعور لطائراتهم وبالا عليهم إذ وقعوا في المصيدة التي نصبها لهم طيارونا بالاشتراك مع قوات الدفاع الجوى. وكانت طائراتنا من طراز ميج ١٧ ذات السرعة الأقل من الصوت قادرة على إسقاط طائرات الفانتوم الأمريكية التي تفوق سرعتها سرعة الصوت. وهذا يرجع إلى القضاء على خبرة الطيارين الإسرائيليين فى الموجات الأولى للهجوم، مما دفع بإسرائيل إلى تجنيد الطيارين الجدد على الفانتوم بحيث أصبحوا لقمة سائغة لطيارينا الخبراء المحترفين.



المدرعات الإسرائيلية تفر مذعورة أمام المدرعات المصرية.. فى أكبر معسكر دبابات فى التاريخ

ولم يقتصر الأمر على ضياع خرافة السلاح الجوى الإسرائيلي، وتحطيم سمعة الجندى الإسرائيلي، بل أن شهرة المدرعات الإسرائيلية دُفِنت في الأوحال وهي تفر مذعورة أمام المدرعات المصرية لدرجة أن قائد المدرعات الإسرائيلية أبراهام مندلر(١) لقى حتفه على الجبهة المصرية بعد أن ظل يستغيث بالإشارات العاجلة ولكن لم يكن هناك في إسرائيل من ينجده أو حتى يسمع صرخاته المذعورة التي طغى عليها هدير المدرعات المصرية. وحكاية هذه الإشارات المتبادلة معروفة جدًا في إسرائيل ونشرت بالفعل هناك. وكان الإسرائيليون يتباهون بمدرعاتهم ويقولون أنها صُنِعت لتقهر وتتقدم، ولم ولن توجد المدرعات التي يمكن أن تعترض طريقها، وطالما قالوا أنها أحسن من البانزر الألماني التي حازت على شهرة مدوية في الدوائر العسكرية العالمية.

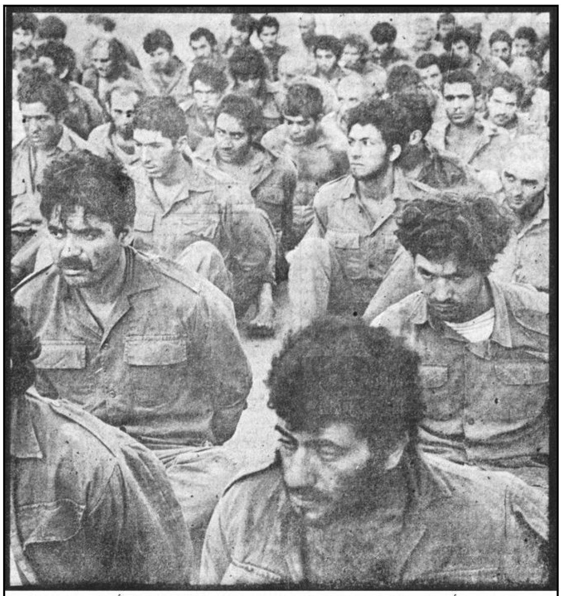
---

(١) أبراهام ألبرت ماندلر: ولد فى ٣ مايو ١٩٢٩ فى لينتس بالنمسا.. وقتل فى ١٣ أكتوبر ١٩٧٣م فى سيناء بنيران المدفعية المصرية.

وقد طلبت إسرائيل من الولايات المتحدة العمل بأى شكل على إيقاف إطلاق النار حتى تسترد أنفاسها وتعاود الهجوم. ولكن الأمور سارت على غير ما تشتهى إسرائيل وتوالت الانتصارات المصرية يومًا بعد يوم.

السلام الروحى

لم أغير برنامجى اليومى على الإطلاق. كنت في المساء أجلس في شُرفة قصر الطاهرة أستمتع بمشاهدة القمر وهو يزداد جمالا ويكبر يومً بعد يوم، مثل انتصاراتنا تمامًا. بينما التليفون إلى جوارى والتقارير أمامى أتابعها أولا بأول، وغرفة العمليات المُصغرة في مكتبى بقصر الطاهرة نتابع على خرائطها الموقف من غرفة العمليات الرئيسية، والمشير إسماعيل على اتصال بى من حين لآخر من غرفة العمليات وكلها أخبار رائعة وانتصارات مدوية:


تحطمت أسطورة الجيش الذى لا يقهر.. ووقع مئات الجنود أسرى

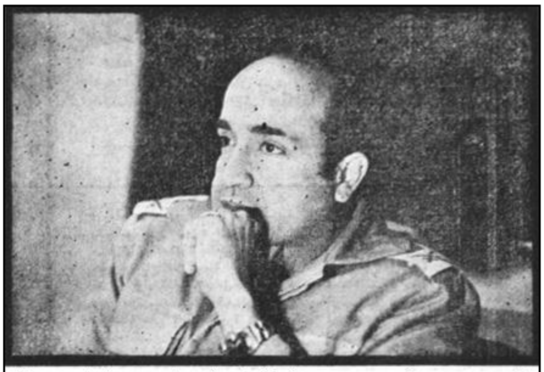
وقوع الأسرى ونشر صورهم في جميع أنحاء العالم.

ضرب اللواء ١٩٠ الذى كان من أروع لواءات إسرائيل المدرعة والذى كان يُعتبر في نظرهم رأس الحربة الذى يخترق أي حشد عسكرى مكثف. وكانت خطته أن يخترق ويندفع بعنف إلى أن يصل إلى ضفة القناة ويفصل قواتنا المسلحة عن بعضها البعض، ثم يشرعوا في تدميرها بعد تفتيتها تمهيدًا لإلقائها في القناة.

هذا اللواء الإسرائيلي المشهور يُصاب قائده عساف ياجورى[1] بانهيار عصبى عندما ينظر حوله فيجد أنه فقد اللواء بأكمله في ثلث ساعة أي في عشرين دقيقة فقط لا غير واللواء المدرع الإسرائيلي حسب تنظيمهم يتكون من ١٢٠ دبابة. بل أن دبابته شخصيًا أصيبت واحترقت وخرج منها يجرى كالأرانب الجبلي المذعور. والمعروف أن لواء في القتال والاستمرار فيه لمدة أيام وأسابيع متصلة لا أن ينتهى أمره في عشرين دقيقة.

(١) عساف ياجورى: عسكرى إسرائيلى ولد فى ١٣ فبراير ١٩٣١م.. قاد كتيبة دبابات فى سيناء فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م وتم أسره فى معركة الفردان.. وقد أفرج عنه بعد ٤٦ يومًا فى تبادل للأسرى.. توفى فى ١٨ مارس ٢٠٠٠م

انتصار أبو سعدة


اللواء حسن أبو سعدة.. مثل أعلى فى العسكرية المصرية

أما القائد المصرى الذى أخرج هذه المعركة الرائعة إلى حيز التنفيذ والوجود فاسمه حسن أبو سعدة الذى يُشكل مثلا أعلى للعسكرية المصرية الحديثة، ومن البراعم والقيادات الجديدة التي تخرجت في مدرسة أكتوبر العسكرية. وقد رُقى إلى رتبة لواء، وهو من القادة الذين سأكتب عنهم في وصيتى ألا يتركوا القوات المسلحة طوال حياتهم بما لهم من حنكة تكتيكية وخبرة واسعة وعلم متجدد واحتراف يُجيد كل أسرار المهنة. فلقد عرف هو ورجاله كيفية التعامل مع الإسرائيليين وهم في أوج غرورهم وصلفهم. انتصر أبو سعدة وقضى على اللواء ١٩٠ الإسرائيلي في ثلث ساعة، ولذلك عندما زرت الجبهة بعد ذلك طلبت من أولادنا المحافظة على هذا الرقم القياسى الذى لم يُسبق له مثيل في التاريخ العسكرى..

البنتاجون استعان بالقمر الصناعى وقرر: «اسرائيل هزمت»

● حديث تليفونى بين كيسنجر وجولدا مائير

● ميج ١٧ تسقط الفانتوم بسبب الفرق بين الطيار المصرى والطيار الاسرائيلى



مذكرات الرئيس السادات

بالنسبة للموقف العالمى ، ابتداء من يوم ٦ اكتوبر ، فقد ظل العالم كله مبلبلا ومنحازا لوجهة نظر اسرائيل ، بحكم تعوده على هذا الوضع لمدة ربع قرن .

صدق العالم بلاغات اسرائيل التى ادعت انها ستطحن عظامنا وتكسر جماجمنا ، وبالطبع لم يقتنع العالم بصحة بلاغاتنا على الاقل فى اول يومين للمعركة ، برغم ان احمد اسماعيل كان متحفظا فى البلاغات التى كان بعضها يعلن عن خسائر فى الدبابات الاسرائيلية اقل من الخسائر الحقيقية . فقد تعود ان يطلب التاكيد من اكثر من جهة ، وعندما لا تتوافر لديه البيانات المشتركة كان ياخذ بالرقم الاقل . ولذلك اذا جمعنا خسائر الدبابات الاسرائيلية فسنجد انها اكثر فى الحقيقة بمائة او مائة وخمسين دبابة على اقل تقدير .

اى ان احمد اسماعيل استفاد من دروس هزيمة سنة ١٩٦٧ التى لم تكن بلاغاتها سوى ادعاءات لشغل الراى العام عن الحقيقة المرة اطول فترة ممكنة . **وفى الحقيقة كانت تعليماتى لاحمد اسماعيل تنص على وضع الحقيقة كاملة ، بمرها وحلوها، امام الشعب ، وهى نفس التعليمات التى اصدرتها لعبد القادر حاتم ، بحكم اشرافه على الجانب الاعلامى . فقد آن الاوان لكى نعود شعبنا على سماع الحقيقة وتقبلها مهما كانت .**

فى اليوم الثالث من المعركة ، بدات الامور تتكشف على حقيقتها للعالم الخارجى الذى بدأ يتسرب اليه الشك فى حقيقة البلاغات الاسرائيلية ، وبالتالى بدأ فى الانصات جديا للبلاغات المصرية .

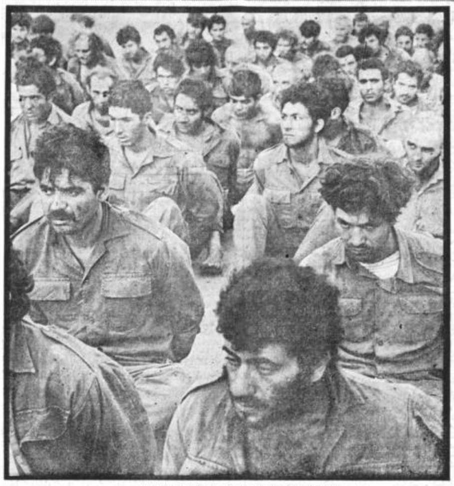
وكانت جولدا مائير — على ما اتضح بعد ذلك — قد اتصلت بواشنطن تليفونيا وقالت لهم ان اسرائيل فى حاجة الى يومين فقط لتحطم عظام العرب فى مصر وسوريا ، وبعد الانتهاء من هذه المهمة البسيطة ستطالب اسرائيل امريكا بان تستعوض كل الاسلحة التى فقدتها فى القضاء على العرب . وطمانت مائير واشنطن بالا تقلق امريكا على اسرائيل التى تعرف جيدا كيف تتعامل مع العرب .

مضى يومان بعد مكالمة جولدا مائير، واتصلت اسرائيل تليفونيا بواشنطن ، لتقول انها ما زالت فى حاجة الى يومين آخرين للقضاء على العرب لانها استخدمت اليومين الماضيين فى التعبئة والحشد بسبب عيد الغفران الذى عطل هذه العملية ، خاصة وان اسرائيل لم تعلن حالة التعبئة . واكد ديان فى حديثه على حق اسرائيل فى استعواض الاسلحة بعد القضاء على العرب فى ظرف ٤٨ ساعة .

وعندما زارنى كيسنجر فى القاهرة لاول مرة ، اخبرنى بأن الشك قد تسرب الى نفسه بعد مكالمة ديان ، فطلب تقريرا عن المعارك من البنتاجون ، ثم أجرى تحقيقا مع وزارة الخارجية ووكالة المخابرات المركزية والبنتاجون ، لتقصى الاسباب التى



فقدت اسرائيل ثلث سلاح طيرانها فى ٣ ايام



تحطمت اسطورة الجيش الذى لا يقهر.. ووقع مئات الجنود اسرى



اللواء حسن ابو سعده .. مثل الاعلى فى العسكرية المصرية

سأكتب فى وصيتى أمرا الى حسن أبو سعده

عجزت معها كل هذه الاجهزة العاتية عن التنبؤ بوقوع هذه المعارك الضارية فى مثل هذه المنطقة الحساسة والحرجة .

رسالة استغاثة .. «انقذوا اسرائيل»

وفى نهاية مهلة اليومين التى طلبها ديان استغاث السفير الاسرائيلى فى واشنطن بوزارة الخارجية الامريكية فى رسالة عاجلة تصرخ : « انقذوا اسرائيل» .. واعلن السفير ان اسرائيل فقدت اربعمائة دبابة على الجبهة المصرية والحالة فى غاية الخطورة لان الطريق اصبح مفتوحا الى تل ابيب . وانتهت الرسالة التاريخية عند هذا الحد .

وعندئذ طلب كيسنجر جولدا مائير مباشرة بالتليفون وقال لها ان السفير الاسرائيلى فى واشنطن قد ابلغه باستغاثة اسرائيل العاجلة وطلبها اربعمائة دبابة فورا بدلا من الدبابات التى فقدتها على الجبهة المصرية . **وابلغها كيسنجر ايضا انه طلب تقريرا عاجلا من البنتاجون الذى استعان بالقمر الصناعى فى كتابة التقرير ، وتشير كل الدلائل الى ان المعركة على الجبهة المصرية تسير فى غير صالح اسرائيل نهائيا ، وان خسائر اسرائيل بلغت حداً لا يصدق فهل هذا صحيح ؟ وهل صحيح ان اسرائيل طلبت النجدة السريعة ؟ ؟ .**

اجابت جولدا مائير على كيسنجر بالايجاب وابلغته ان ديان طلب ذلك بناء على موافقة مجلس الوزراء الاسرائيلى . واعترفت بان اسرائيل فى انتظار الوصول الفورى للدبابات الجديدة حتى تنقذ اسرائيل نفسها من الهوة الرهيبة التى وقفت على حافتها واوشكت على السقوط فيها بالفعل ، بل انها استخدمت تعبيرا ذكره الباعازار رئيس الاركان الاسرائيلى فى مذكراته وهو : « ان اسرائيل فى القاع In The Bottom » .

عندئذ صارحها كيسنجر برايه وقال لها ان على اسرائيل ايا كانت النتيجة النهائية ان تجهز نفسها للاوضاع الجديدة المترتبة على هذه الهزيمة . ومع ذلك فستبذل امريكا اقصى ما فى وسعها لانقاذ اسرائيل ومساعدتها بكل الوسائل الممكنة .

ولكن جولدا مائير حاولت المكابرة مرة اخرى بادعائها ان اسرائيل ما زالت قادرة على دق عظام العرب وطحن جماجمهم .

لم يقتنع كيسنجر بكلام مائير لانه مفكر استراتيجى يرى الواقع من خلال الحسابات الدقيقة وليس فى ضوء ما يتمناه الاخرون ، طالما صدق هو نفسه الاسطورة الضخمة التى بنتها اسرائيل حول تفوقها الساحق وذراعها الطويلة التى يمكن ان تبطش باية منطقة فى العالم العربى مهما بعدت . ولكن عندما وصله تقرير البنتاجون ، تاكدت لديه فى الحال الابعاد الاسطورية لعبور القناة واقتحام خط بارليف ودخول قوات مصرية رهيبة ضخمة على مدى ١٨٠ كيلومترا من بورسعيد الى السويس . وبرغم المانع المائى المستحيل ، والتحصينات الاسرائيلية المنيعة ، والجبهة الطويلة الشاسعة لم تحدث خسائر تذكر للقوات المصرية . هذا فى الوقت الذى خسرت فيه اسرائيل ٤٠٠ دبابة فى الايام الاربعة الاولى وانكسر الصلف الاسرائيلى نهائيا، وظهرت اسرائيل على حقيقتها عارية امام العالم اجمع ليرى كم من الوقت خدعته وغررت به .

ولعل هذا هو السبب الرئيسى الان [عام ١٩٧٥] فى جهود اسرائيل المضنية لكى تزيح كيسنجر من الطريق بالقضاء على مستقبله السياسى . فهو الوحيد من المسئولين الامريكيين الذى يعرف الابعاد الحقيقية للماساة الاسرائيلية ، وهو الشاهد العيان الذى راى انحدارهم وسقوطهم فى الهوة التى طالما اعدوها ودفعوا اليها العرب دفعا . ووجوده يذكرهم دائما بالكابوس الذى رزحت تحته اسرائيل منذ ظهر السادس من اكتوبر ١٩٧٣ وما زال يطبق على انفاسها حتى الان . ولكن اسرائيل تصر على سلوك النعامة التى تدفن راسها فى الرمال ظنا منها ان الصياد لن يراها ، وهو السلوك الذى يدفعها الى التخلص من كيسنجر ظنا منها انها بذلك يمكن ان تتخلص من وصمتها التى لحقت بها الى الابد .

باستمرار المعركة دارت الدوائر على اسرائيل وبدأ العالم يتعاطف مع العرب ، تماما مثلما كان متعاطفا مع الاسرائيليين عام ١٩٦٧ . وهذا يرجع الى الاسلوب الصادق والهادىء للدعاية العربية ، والدقة الامينة والموضوعية فى البلاغات الصادرة ، والقدرة القتالية التى حطمت أسطورة التفوق الاسرائيلى فى ساعات معدودة .

فمثلا كان سلاح الطيران الاسرائيلى قبل المعركة لا يتمتع بالتفوق فقط ، بل بالسيادة المطلقة على اجواء المنطقة كلها. ومع هذا فقد الاسرائيليون ثلث سلاح طيرانهم فى الايام الثلاثة الاولى من المعركة على الجبهتين المصرية والسورية .

وكانت الخسارة افدح عندما فقدوا افضل طياريهم المدربين ، فقد كان الهجوم المسعور لطائراتهم وبالا عليهم اذ وقعوا فى المصيدة التى نصبها لهم طيارونا بالاشتراك مع قوات الدفاع الجوى . وكانت طائراتنا من طراز ميج ١٧ ذات السرعة الاقل من الصوت قادرة على اسقاط طائرات الفانتوم الامريكية التى تفوق سرعتها سرعة الصوت . وهذا يرجع الى القضاء على خيرة الطيارين الاسرائيليين فى الموجات الاولى للهجوم ، مما دفع باسرائيل الى تجنيد الطيارين الجدد على الفانتوم بحيث اصبحوا لقمة سائغة لطيارينا الخبراء المحترفين .

ولم يقتصر الامر على ضياع خرافة السلاح الجوى الاسرائيلى ، وتحطيم سمعة الجندى الاسرائيلى ، بل ان شهرة المدرعات الاسرائيلية دفنت فى الاوحال وهى تفر مذعورة امام المدرعات المصرية لدرجة ان قائد المدرعات الاسرائيلية الشهير ابراهام مندلر لقى حتفه على الجبهة المصرية بعد ان ظل يستغيث بالاشارات العاجلة ولكن لم يكن هناك فى اسرائيل من ينجده او حتى يسمع صرخاته المذعورة التى طغى عليها هدير المدرعات المصرية . وحكاية هذه الاشارات المتبادلة معروفة جدا فى اسرائيل ونشرت بالفعل هناك . وكان الاسرائيليون يتباهون بمدرعاتهم ويقولون انها صنعت لتقهر وتتقدم ، ولم ولن توجد المدرعات التى يمكن ان تعترض طريقها ، وطالما قالوا انها احسن من البانزر الالمانى التى حازت على شهرة مدوية فى الدوائر العسكرية العالمية .

وقد طلبت اسرائيل من الولايات المتحدة العمل باى شكل على ايقاف اطلاق النار حتى تسترد انفاسها وتعاود الهجوم . ولكن الامور سارت على غير ما تشتهى اسرائيل وتوالت الانتصارات المصرية يوما بعد يوم .

السلام الروحى

لم اغير برنامجى اليومى على الاطلاق . كنت فى المساء اجلس فى شرفة قصر الطاهرة استمتع بمشاهدة القمر وهو يزداد جمالا ويكبر يوما بعد يوم ، مثل انتصاراتنا تماما . بينما التليفون الى جوارى والتقارير امامى اتابعها اولا باول ، وغرفة العمليات المصغرة فى مكتبى بقصر الطاهرة تتابع على خرائطها الموقف من غرفة العمليات الرئيسية ، والمشير اسماعيل على اتصال بى من حين لاخر من غرفة العمليات وكلها اخبار رائعة وانتصارات مدوية :

وقوع الاسرى ونشر صورهم فى جميع انحاء العالم .

ضرب اللواء ١٩٠ الذى كان من اروع لواءات اسرائيل المدرعة والذى كان يعتبر فى نظرهم راس الحربة الذى يخترق اى حشد عسكرى مكثف . وكانت خطته ان يخترق ويندفع بعنف الى ان يصل الى ضفة القناة ويفصل قواتنا المسلحة عن بعضها البعض ، ثم يشرعوا فى تدميرها بعد تفتيتها تمهيدا لالقائها فى القناة .

هذا اللواء الاسرائيلى المشهور يصاب قائده عساف ياجورى بانهيار عصبى عندما ينظر حوله فيجد انه فقد اللواء باكمله فى ثلث ساعة اى فى عشرين دقيقة فقط لا غير واللواء المدرع الاسرائيلى حسب تنظيمهم يتكون من ١٢٠ دبابة . بل ان دبابته شخصيا اصيبت واحترقت وخرج منها يجرى كالارنب الجبلى المذعور . والمعروف ان لواء فى امكانه القتال والاستمرار فيه لمدة ايام واسابيع متصلة لا ان ينتهى امره فى عشرين دقيقة .

انتصار أبو سعدة

اما القائد المصرى الذى اخرج هذه المعركة الرائعة الى حيز التنفيذ والوجود فاسمه حسن ابو سعدة الذى يشكل مثلا اعلى للعسكرية المصرية الحديثة ، ومن البراعم والقيادات الجديدة التى تخرجت فى مدرسة اكتوبر العسكرية . وقد رقى الى رتبة لواء ، وهو من القادة الذين ساكتب عنهم فى وصيتى الا يتركوا القوات المسلحة طوال حياتهم بما لهم من حنكة تكتيكية وخبرة واسعة وعلم متجدد واحتراف يجيد كل اسرار المهنة . فلقد عرف هو ورجاله كيفية التعامل مع الاسرائيليين وهم فى اوج غرورهم وصلفهم . انتصر ابو سعدة وتغلب على اللواء ١٩٠ الاسرائيلى فى ثلث ساعة ، **ولذلك عندما زرت الجبهة بعد ذلك طلبت من اولادنا المحافظة على هذا الرقم القياسى الذى لم يسبق له مثيل فى التاريخ العسكرى ..**



المدرعات الاسرائيلية تفر مذعورة امام المدرعات المصرية .. فى اكبر معركة دبابات فى التاريخ

البيت الأبيض.. بعد كل هذا[١]

أدرك كيسنجر أن مركز الثقل انتقل نهائيًا إلى مصر

لم يكن من مبادئ وأهداف ثورة ٢٣ يوليو منذ بدأت أن تحدد لمصر موقفًا منحازًا لأى تكتل دولى، لا الغرب ولا الشرق، ولكن كان المبدأ الأساسى والهدف المستمر هو الاحتفاظ لمصر بشخصيتها المستقلة المتحررة من أي احتكار سياسى دولى يضعها في موضع الخضوع أو الاستسلام للغرب أو للشرق، ولهذا كانت مصر والسياسة المصرية الدولية هي أحد العمد الرئيسية التي أقامت للعالم كتلة عدم الانحياز، والتي نادت بالحياد بين الكتلتين مع التصميم على أن يكون حيادًا إيجابيًا وليس حيادًا سلبيًا بمعنى الانعزال عن مصر العالم المرتبط بمصيرنا.

وشخصية مصر المستقلة تعنى أن تتحمل مصر مسئولية نفسها في صيانة حريتها واسترداد حقوقها، وتحقيق مصالحها..

وفى سبيل تحقيق هذه المصالح القائمة على الحق كان يتحدد موقف مصر من كل من الدولتين العظميين أي الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة، أي أن الموقف الذى تتخذه مصر كان غالبًا يعبر عن رد فعل للموقف الذى اتخذته هذه الدولة العظمى أو تلك من استجابتها للحقوق والمصالح التي تطالب بها مصر..

ولأن أي تطور في السياسة المصرية كان دائمًا يمس الموقف الأمريكي الذى كان قائمًا على فرض استمرار الأوضاع القديمة التي كانت قائمة بين مصر والعالم الغربى، فإن هذا التطور كان يسبب دائمًا التباعد بين مصر والولايات المتحدة، وفى الوقت نفسه ينتهى إلى مزيد من التقارب واتساع التعامل مع الاتحاد السوفيتى إلى أن انتهى إلى ما يقال من أن مصر كانت الباب الذى استطاع الاتحاد السوفيتى أن يحقق من خلاله تواجده في الشرق الأوسط..

ورغم هذا فقد كانت مصر حريصة دائمًا على أن تبقى خيطًا ولو رفيعًا يربط بينها وبين الولايات المتحدة، وكان جمال عبد الناصر حريصًا على أن يقيم علاقة شخصية بينه وبين الرئيس الأمريكي كيندى[٢]، وكانا يتبادلان الرسائل الخاصة، وهى علاقة حققت اتفاقية معونة بين مصر وأمريكا بلغت قيمتها ٣٠٠ مليون دولار رغم أن كثيرًا من الأزمات كانت قائمة أيامها بين الدولتين ومن بينها الأزمة التي ترتبت على اشتراك مصر في ثورة اليمن، حتى قيل أيامها من أعداء كيندى أن أمريكا دفعت

---

(١) الأهرام الجمعة ٢٤ أكتوبر ١٩٧٥م - ٢٠ شوال ١٣٩٥هـ

(٢) جون فيتزجيرالد كيندى: ولد ٢٩ مايو ١٩١٧م تولى الرئاسة الأمريكية من ٢٠ يناير ١٩٦١م حتى مقلته فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣م

لمصر تكاليف حرب اليمن، ويقصدون المعونة التي وافق كيندى على أن يمد بها مصر..

ولا شك أنه كان من أهداف إسرائيل الأساسية والتي تعتمد عليها اعتمادًا كاملا هو الوصول إلى قطع العلاقات بين مصر وأمريكا إلى أن يتخذ كل منهما موقف العداء من الآخر حتى تصل إسرائيل إلى تركيز واستغلال كل القوى الأمريكية لصالح استمرار وجودها وتحقيق أطماعها التوسعية، وربما بدأ سعى إسرائيل إلى تحقيق هذا الهدف منذ الأيام الأولى لثورة ٢٣ يوليو عندما خشيت ن تتخذ السياسة الأمريكية موقف الصداقة من هذه الثورة، فأثارت - أي إسرائيل - حوادث الاعتداء على المؤسسات الأمريكية في القاهرة والإسكندرية وهو ما عُرف بعد ذلك بقضية لافون، حتى تضع الثورة في وضع الاعتداء على الوجود الأمريكي في المنطقة.

واستمرت المحاولات الإسرائيلية إلى أن وصلت إلى قمتها بعد مقتل كيندى وتولى جونسون الرئاسة الأمريكية التي بدأها برسالته المعروفة إلى جمال عبد الناصر والتي طالب فيها بن يكون لأمريكا حق التفتيش على القوات المصرية وهدد فيها بتسليح إسرائيل بما يكفى لكسب أي حرب لها ضد العرب، وهى الرسالة التي رد عليها جمال عبد الناصر بطرد تالبوت مبعوث الرئيس الأمريكي من مكتبه وكان ذلك في عام ٦٥ وفي هذا العام أي عام ٦٥ بدأت إسرائيل الإعداد لحرب ٦٧ بالاتفاق مع جونسون، وهو ما يؤكده كثير مما نُشِر من تحليل لتطورات الموقف الأمريكي..

وقد كان جونسون مستسلمًا استسلامًا كاملا للمراكز الصهيونية وكان يعتمد عليها حتى في الوصول إلى مكاسب شخصية مادية لعائلته، وكان يردد نفس منطق إسرائيل الذى تحاول أن تسيطر به على السياسة الأمريكية والذى يقوم على أنها تستطيع أن تكون مركز القوة والقاعدة العسكرية لأمريكا في المنطقة بدلا من أن تقيم أمريكا قواعدها بنفسها مما يجر عليها عداءات هي في غنى عنها فكما أنها - أي إسرائيل - يمكن أن تعتبر الحاجز الواقى من أي تسرب سوفيتى في المنطقة، ولا أبالغ إذا قلت أن إسرائيل نجحت في تمكين وجودها في المنطقة كنتيجة للفجوة التي حققتها بين العرب وأمريكا، في حين أن العرب كان يمكن أن يكونوا دائمًا أقوى بالنسبة للمصالح الأمريكية من أطماع إسرائيل إذا تعاملوا مع الأمريكان على أساس المصالح المشتركة والاحترام المتبادل، وهذا كما سبق أن قلت هو ما أدى إلى ما حدث عام ٦٧..

وبعد حرب ٦٧ قطعت العلاقات قطعًا تامًا بين مصر والولايات المتحدة كرد فعل طبيعى لموقفها من هذه الحرب، وبلغ اليأس من إمكانية الوصول إلى أي نوع من أنواع الاتصال بين مصر وأمريكا إلى حد أن عبد الناصر فوض قادة موسكو في أن يتولوا الاتصال بواشنطن نيابة عن مصر حتى يصلوا بها إلى أي حل أو أي موقف يمكن أن يغير في النتائج التي انتهت إليها هزيمة ٦٧، وهو تفويض لم يأت بأى نتيجة

ولم يحقق أي خطوة أو أي أمل في خطوة يمكن أن تعتمد عليها مصر باعتبار أن إسرائيل تعتمد اعتمادًا كاملا على الولايات المتحدة ولا يمكن أن تتحرك إلا بضغط واشنطن ولا يمكن أيضًا أن تضع مصر أي خطة عسكرية لمحاربة إسرائيل ألا وهى تحسب حساب الموقف الأمريكي..

كيف تطورت العلاقات

وكل هذا أقوله تعبيرًا عن تاريخ العلاقات بيننا وبين الولايات المتحدة، وهو تاريخ كان يمكن أن يستمر في اتجاه واحد لو أن العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى لم تتطور تطورًا عكسيًا في مواجهة هزيمة عام ٦٧..

وقد كانت نتيجة موقف الاتحاد السوفيتى أن تطورت العلاقات بين مصر والولايات المتحدة، وقد بدأ هذا التطور عندما قبل جمال عبد الناصر مبادرة روجرز[١] عام ١٩٧٠..

وقد لا يعلم الكثيرون أن عبد الناصر قبل مبادرة روجرز وهو جالس على مائدة المحادثات مع القادة السوفيت في موسكو، وأبلغهم أنه مضطر أن يقبل هذه المبادرة كنتيجة لعدم استعداد موسكو لتلبية مطالب مصر الخاصة بالتسليح..

والغريب أن القادة السوفيت لم يهاجموا عبد الناصر على قبول مبادرة روجرز، أو ربما لم يكن هذا غريبًا بالنسبة لاستراتيجية السياسة السوفيتية[٢]..

وكنت أنا أيامها في القاهرة أتحمل مسئوليات نائب رئيس الجمهورية، وبعد إعلان مبادرة روجرز جمعت القيادات السياسية وقررنا رفض هذه المبادرة، وقد رفضناها اعتقادًا منا أن جمال عبد الناصر سيعود من موسكو بعد أن يتم الاتفاق ويحقق كل مطالبنا الخاصة بالتسليح..

---

(١) ويليام روجرز: سياسى أمريكى ولد فى ٢٣ يونيو ١٩١٣م.. تولى منصب وزير الخارجية الأمريكى فى الفترة من ٢٢ يناير ١٩٦٩م حتى ٣ سبتمبر ١٩٧٣م.. توفى فى ٢ يناير ٢٠٠١م

(٢) أو لأنه كان من الصعب بناء حائط الصواريخ دون وجود هدنة عسكرية.. لذلك كان هناك اتفاق مع الروس على قبول مبادرة روجرز واستغلال فترة الهدنة في بناء حائط الصواريخ.

فى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر يوم ٢٣ يوليو ١٩٧٠م فى افتتاح الدورة الرابعة للمؤتمر القومى:

(الحقيقة فى هذا الوقت ظهر لنا أن أمريكا منحازة انحيازاً كاملاً لإسرائيل، وليس علينا إلا أن نبنى قوانا، ليس علينا إلا أن نسير فى طريقنا بمساعدة أصدقائنا لنبنى قوانا، ولنبنى الجيش الهجومى.)

وفى موضع آخر من نفس الخطاب:

(الحقيقة ونحن نعلن موافقتنا على هذه المبادرة الأمريكية التى نقول عنها إنها ليست جديدة بل كل ما فيها كان موجوداً فى مجلس الأمن سنة ٦٧؛ سنبنى فى نفس الوقت قواتنا المسلحة.)

واستقبلت جمال عبد الناصر في المطار وخُيِّل إلي أنه عاد وهو أكثر شبابًا وقد استرد كل صحته نتيجة العلاج الذى قام به هناك ثم فوجئت وأنا معه بأن فكرة السياسي وحالته النفسية ليست في مستوى ما يبدو عليه من معالم الصحة، وفوجئت أكثر عندما أبلغني أنه قرر قبول مبادرة روجرز، وأنها قبلها وأعلن قبوله في مواجهة القيادة السوفيتية لأنه وصل معهم إلى حالة اليأس.. اليأس من الوصول إلى خط صريح مستقيم يضمن له تحديد أي نتيجة لأى طريق يسير معه فيه[1]..

وكانت إسرائيل قد قبلت مبادرة روجرز حتى تريح نفسها من حرب الاستنزاف واعتمادًا على ما تعودته وتعوده العالم كله من رفض العرب لكل فرصة أو محاولة لحل القضية بينهم وبين إسرائيل بأى وسيلة سلمية.. قبلت إسرائيل مبادرة روجرز على أساس أن عبد الناصر سيرفضها، ثم فوجئت مفاجأة عنيفة بأن عبد الناصر قبلها، وكان أن تغير موقفها بسرعة وأصبحت هي التي ترفض المبادرة وتفتعل الحجج والمواقف التي تبرز هذا الرفض.

مارست إسرائيل ضغوطها الرهيبة على روجرز وأفهمته أن مستقبله كله متوقف على الجانب الذى سوف يختاره بين طرفى النزاع.. ورضخت أمريكا لإسرائيل، بل واشتركتا سويًا في الاحتجاج علينا بحجة أننا حركنا الصواريخ من الأماكن التي كانت عليها وقت قبول المبادرة، وقاموا بحملة مشتركة في العالم كله يتهمون فيها مصر بأنها نقضت نصوص المبادرة وبالتالي فيحق لإسرائيل ألا تُنَفِذ البند الأول منها والذى ينص على انسحابها من الأراضى العربية التي تحتلها.


أبا إيبان كان يتصور يوم ٤ أكتوبر أن العرب لن يقوم لهم قائمة سياسية أو عسكرية على مدى الخمسين سنة القادمة.. ولكن بعد ٤٨ ساعة بالضبط فتح الجحيم أبوابه لإسرائيل..

ووضح من ذلك أن أمريكا لن تتخذ أي إجراء جاد لتنفيذ المبادرة التي تحمل اسم وزير خارجيتها، خاصة وأن إسرائيل كانت في ذلك الوقت في أوج غرورها وقمة سيطرتها على السياسة الأمريكية فيما يتعلق بمنطقة الشرق الأوسط بالذات، لدرجة أن أبا ايبان - وزير

([1]) يقول السادات فى كلمته التى وجهها للسفير السوفيتى الجديد فلاديمير فينوجرادوف يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٠م أثناء تقديمه أوراق اعتماده: (إن شعبنا وأنا واحد منهم يعترف بالجميل ويُقدره وأؤكد لك أننا لن ننسى وقفة الاتحاد السوفيتى النبيلة بجانبنا وجهوده معنا فى أوقاتنا العصيبة وضغوط الأعداء تُوجَه ضدنا لوقف المد التحررى العربى.)
كما ننقل هنا فقرات من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر يوم ٢٣ يوليو ١٩٧٠م فى افتتاح الدورة الرابعة للمؤتمر القومى يقول:(فى ٢٢ يناير ١٩٧٠ كنت أرسلت رسالة إلى قادة الاتحاد السوفيتى وقلت لهم: إن أنا أريد أن أزور موسكو زيارة سرية وأستعرض معاكم الموقف الذى مواجهه ونتكلم فى الموضوع. فى ٢٢ يناير ذهبت إلى الاتحاد السوفيتى.... وبعد هذا صدر قرار من الاتحاد السوفيتى بأن الاتحاد السوفيتى سيساعدنا بكل ثقله فى الدفاع عن وطننا.... وأبلغونى فى زيارتى فى يناير أن كل هذ الدعم المطلوب لنا سيصل فى مدة لا تزيد عن ٣٠ يومًا. وقد أوفى الاتحاد السوفيتى بوعده، ولهذا فإننا نذكرهم أيضًا بالشكر والعرفان)

خارجية إسرائيل في ذلك الوقت - قال لروجرز أن أمريكا تُقحِم نفسها في أمور لا تهمها، ولا يجدر أن تهتم بها ثم عبر أبا ايبان عن رأيه في العرب بأن قال أنهم قوم متخلفون ولن تقوم لهم قائمة، ولا يعرفون سوى لغة البطش والرعب، وقد حان الوقت الذى سيأتون فيه راكعين مستسلمين لإسرائيل التي تعرف جيدًا كيف تعاملهم.

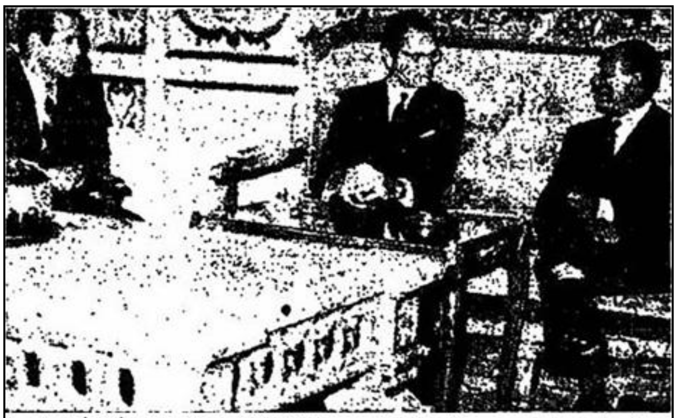
أول اتصال بينى وبينهم

بعد وفاة عبد الناصر - التي وقعت أثناء مبادرة روجرز التي بدأ سريان مفعولها من يوم ٧ أغسطس ١٩٧٠ - كان علىَ أن أقرر الطريق الذى ستسلكه عند انتهاء المبادرة في ٧ نوفمبر، سواء بتجديدها أو بإهمالها.

بعد دراسة للموقف وجدت أن الظروف المحلية والعالمية في ذلك الوقت تحتم على أن أجددها، ولذلك أوفدت محمود رياض - وزير الخارجية في ذلك الوقت - إلى الأمم المتحدة وأعلنا تجديد وقف إطلاق النار لتسعين يومًا أخرى تنتهى في ٤ فبراير ١٩٧١..

ولكن أمريكا لم تأخذ قرارنا مأخذ الجد بسبب الإشاعات التي كانت تحيط بالسياسة المصرية في ذلك الوقت، وتردد بين التلميح والتأكيد أننى غير قادر على اتخاذ أي قرار، وأن أيامى على كرسى الحُكم محدودة. ولقد كانت مراكز القوى هي مصدر تلك الإشاعات التي سرت في الجو منذ يوم تشييع جنازة عبد الناصر..

وقد حدث أن أوفد الرئيس الأمريكي نيكسون أحد وزرائه لتشييع الجنازة وهو اليوت ريتشاردسون[1] - وهو من رجال الحزب الجمهورى المرموقين وسفير أمريكا الآن في إنجلترا وكان على رأس وفد ضم ماكلوى أحد الخبراء الأمريكيين في قضية الشرق الأوسط.


إيليوت ريتشاردسون كتب تقريرًا بعد مقابلته للرئيس السادات قال فيه: إن السادات لم يبقى فى الحكم أكثر من ٤ أسابيع..

وعاد ريتشاردسون بعد اشتراكه في تشييع جنازة عبد الناصر وكتب تقريرًا عن زيارته لمصر قال فيه أن السادات لن يبقى في الحكم وأن ما تبقى له مدة تتراوح بين أسبوعين وأربعة أسابيع على أكثر تقدير وأضاف ريتشاردسون في تقريره أن هذه

(١) إليوت لي ريتشاردسون: محامى وسياسى أمريكى ولد فى ٢٠ يوليو ١٩٢٠م.. تولى منصب وزير الخارجية فى إدارة الرئيس نيكسون فى الفترة من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٠م.. وتوفى فى ٣١ ديسمبر ١٩٩٩م.

المعلومات قد توصل إليها بعد دراسته للأوضاع في مصر والاتصال بالأشخاص المعنيين فيها. ولم يكن هذا رأى ريتشاردسون وحده وإنما كان أيضًا رأى الخارجية الأمريكية ووكالة المخابرات المركزية وقد روى لى كيسنجر في أول لقاء لنا أن هذا التقرير - أي تقرير ريتشاردسون - مازال محفوظًا في سجلات الخارجية الأمريكية كوثيقة تاريخية يتعلم منها المسئولون في أمريكا ألا تخدعهم المظاهر الكاذبة ولا المعلومات غير المسئولة التي تعطى لهم.

تم أول اتصال بينى وبين الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون في يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠[١]، فلقد أرسل لى خطابًا يشكرنى فيه على اشتراك مصر في تشييع جنازة الرئيس الراحل دوايت أيزنهاور[٢] والتي مثل مصر فيها الدكتور محمود فوزى[٣] رئيس وزراء مصر في ذلك الوقت، وقد أرسل نيكسون الخطاب إلى الدكتور فوزى وطلب منه توصيله إلى، فلم تكن هناك علاقات ديبلوماسية بين مصر وأمريكا في ذلك الوقت.

عندنا تلقيت الخطاب وأطلعت على ما فيه طلبت استدعاء دونالد بيرجس المشرف على المصالح الأمريكية في مصر وعرف منى بخطاب نيكسون إلى وقلت له: أننى أعتبر هذا الخطاب بادرة جديدة ربما تفتح الطريق أمام العلاقات المصرية الأمريكية وتعود بها إلى أوضاعها الطبيعية. وعلى هذا فنحن على استعداد للاستجابة إلى كل خطوة يقترب بها الأمريكان منا، وكل مبادرة طيبة من جانبهم ستُقابل ببادرة أطيب من جانبنا، أما إذا كان العكس هو ما سوف يقع من جانبكم فستكون هناك من جانبنا إجراءات تفوق في سوئها إجراءاتكم..

كذلك قمت بالرد على الرسالة بخطاب أوضحت فيه للرئيس الأمريكي نيكسون أنه قد آن الأوان لتقوم أمريكا بدورها في حسم هذا النزاع، فهى كقوة عظمى لا شك مسئولة عن استمرار الوضع بهذا الشكل المتفجر، ونحن لا نريد سوى السلام العادل مع إدراكنا أن أمريكا هي الثورة الوحيدة التي تستطيع أن تؤثر على إسرائيل التي تعتمد في حياتها اليومية في كل شيء على أمريكا، وأنها إذا سارت أمريكا في الطريق الصحيح لإعادة الأمور إلى أوضاعها الطبيعية فستلقى منى كل تجاوب وتفاهم، كما أكدت في رسالتى أننا لن نستسلم مهما طال الزمن. وكانت الحرب النفسية الشرسة التي تشن ضدنا في ذلك الوقت تصور للجميع أننا في سبيلنا إلى التسليم أو الموت.

---

(١) الخميس ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠م - ٢٦ شوال ١٣٩٠هـ

(٢) دوايت ديفيد أيزنهاور: ولد ١٤ أكتوبر ١٨٩٠م..رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الرابع والثلاثين فى الفترة من ٢٠ يناير ١٩٥٣م حتى ٢٠ يناير ١٩٦١م.. وتوفى فى ٢٨ مارس ١٩٦٩م

(٣) محمود فوزى: ولد ١٩ سبتمبر ١٩٠٠م.. تولى رئاسة وزراء مصر فى الفترة من ٢١ أكتوبر ١٩٧٠م حتى ١٦ يناير ١٩٧٢م.. ثم نائب رئيس الجمهورية من ١٦ يناير ١٩٧٢م حتى ١٨ سبتمبر ١٩٧٤م.. وتوفى فى ١٢ يونيو ١٩٨١م

وكنت أهدف من وراء رسالتي تلك أن تكون مواجهتي مع الأصل، أي أمريكا، ذلك أن المواجهة مع الفرع وهو إسرائيل تأخذ شكلا آخر خصوصًا وأن الفرع يحاول دائمًا أن يمارس ضغوطًا على الأصل بما يتمشى مع أهدافه التوسعية في المنطقة.

وبقى الموقف على ما هو عليه إلى شهر مارس سنة ١٩٧١، ففي يوم ٧ من ذلك الشهر ألقيت خطابى الذى أعلنت فيه انتهاء التزامنا بأى وقف لإطلاق النار، كما قلت أن مبادرتى التي أعلنتها في ٤ فبراير ١٩٧١، مازالت قائمة، ونحن على استعداد لتنفيذها إذا ما استجابت لها إسرائيل بالشروط التي وردت بها، ولكن إسرائيل لم ترد، فقد زين لها غرورها أن الأوضاع في المنطقة قد استتبت ودانت لها بالطاعة لنصف قرن قادم من الزمان ولكن أمريكا تحركت لإنقاذ ماء وجهها، وجاءتنى رسالة من ويليام روجرز، يطلب فيها أن يلتقى بى في القاهرة.

مقابلة روجرز

وصل روجرز إلى مصر يوم ٣ مايو سنة ١٩٧١[1]، واستغرقت مباحثاتنا جلسة طويلة استمرت ساعتين ونصف الساعة، وتحدث فيها روجرز عن مبادرتى واعترف أن أمريكا تسمع لأول مرة لغة جديدة وأسلوبًا عمليًا يتفهم روح العصر الذى نعيشه، كذلك فإنه يُقدر تمامًا الرغبة في الحل السلمي وتجنب العودة إلى ميدان القتال.


فوجئ روجرز بالأسلوب الراقي الذى عامله به المصريون. وكان يتصور أن الناس فى مصر سيقذفونه بالطوب.. وقال الرئيس السادات له: نحن شعب منح العالم الحضارة الإنسانية منذ ٧٠ قرنًا..

وأقف هنا قليلا لأروى أن روجرز قال لى عند مقابلتى له أنه فوجئ بالأسلوب الراقى الذى عامله به المصريون في كل مكان، وعلى كل المستويات، لقد كانت الفكرة التي أتى بها إلى القاهرة تُصَوِر له أن الناس في مصر سيقذفونه بالطوب والطماطم والبيض، كتعبير تلقائى عن الرواسب التي قضت على العلاقات الصحية بين مصر وأمريكا، لقد سار روجرز على قدميه في شوارع القاهرة، وقابل كثيرًا من المصريين الذين تحدثوا معه بمنتهى الذوق وهم يعلمون من هو، ولم تكن حوله أية حراسة.. وقد عبر لى روجرز عن ذهوله من هذا الاستقبال.

---

(1) الاثنين ٣ مايو ١٩٧١م - ٨ ربيع الأول ١٣٩١م

فقلت له: لا تندهش، فنحن شعب منح العالم الحضارة الإنسانية منذ سبعين قرنًا، ولا عجب أن يكون متحضرًا حتى في عدائه.. فالحضارة لا تفرق بين الصداقة والعداء، فالمتحضر في صداقته، متحضر أيضًا في عدائه.

وانتهت مقابلتى مع روجرز بوعد بأن أمريكا ستسعى من جانبها إلى تحقيق المبادرة التي أعلنت عنها، وحكى لى كيف استدعت جولدا مائير - رئيسة وزراء إسرائيل في ذلك الوقت - السفير الأمريكي في تل أبيب وطلبت منه إبلاغ رسالة إلى نيكسون وروجرز، تحدث فيها أي رئيس عربى أن يقبل باتفاق سلام مع إسرائيل، ويُعلن ذلك رسميًا، ولقد فوجئ الجميع أننى في مبادرتى أعلنت استعدادنا لإبرام اتفاق سلام مع إسرائيل بالإضافة إلى البنود الأخرى التي تُحَتِم انسحاب إسرائيل الكامل من الأراضى العربية المحتلة بعد سنة ١٩٦٧ إلى المضايق كخطوة أولى، ومنح فترة ستة شهور لإيقاف إطلاق النار على أن يتولى جونار يارنج[١] إتمام حل المشكلة خلال هذه الفترة.. كل ذلك كان بمثابة تجهيز لمباحثات انسحاب إسرائيل وعبور القوات المصرية، وعودة علاقتنا مع أمريكا، باعتبارها الأصل في القضية كلها.

وكان كلام جولدا مائير لروجرز يؤكد أنه لو قبل أي رئيس عربى تحديها، فإن إسرائيل في هذه الحالة ستضع كل أوراقها على المائدة كما يقول التعبير الأمريكي. ولذلك لم تعد لإسرائيل أية حجة تتذرع بها، وسيذهب روجرز من فوره إلى جولدا مائير لكى يقول لها أنه ثبت أخيرًا وجود الرئيس العربى الذى أعلن عن استعداده للسلام، والدور عليها، لكى تضع أوراقها على المائدة لكى تحل المشكلة حلا نهائيًا.

عندئذ سألت روجرز عما إذا كانت أمريكا تطالب مصر بطلبات أخرى، فنفى ذلك نفيًا مُطلقًا، وأكد أن موقفنا سليم مائة في المائة، ولا يطلب منا شيئًا، إنما الذى يطلبه لابد وأن يجئ من إسرائيل، فالكرة الآن في ملعبها ويتحتم عليها أن ترد، وغادر روجرز القاهرة على هذا الأساس، وكنت في قرارة نفسى لا أشعر بالثقة في أن روجرز ينوى فعلا أن يفعل شيئًا. كذلك كان جوزيف سيسكو[٢] أهم عضو في الوفد الأمريكي يبدو غير متعاطف في ذلك الوقت مع العرب وكنت أدرك أن سلوكه هذا يرجع إلى أنه عمل مساعدًا لآرثر جولدبرج[٣] رئيس الوفد الأمريكي في الأمم المتحدة وقت عدوان ٦٧.. وهو العدوان الذى خططه جونسون مع إسرائيل ولقد صارحت سيسكو بهذا الكلام أمام روجرز وقلت له أننا نشعر أنه أي سيسكو يمثل إسرائيل في هذه المحادثات كنتيجة لتأثره بالعمل فترة طويلة مع جولدبرج وإن كان

---

(١) جونار يارنج: سياسى سويدى ولد فى ١٩١٧م بالسويد.. اختير فى نوفمبر ١٩٦٧ كمبعوث خاص إلى الشرق الأوسط لمتابعة قرار مجلس الأمن بانسحاب إسرائيل من الأراضى العربية.. حيث بدأ نشاطه فى ١٠ ديسمبر ١٩٦٧ متخذًا قبرص مقرًا له

(٢) جوزيف سيسكو: دبلوماسى أمريكى ولد فى ٣١ أكتوبر ١٩١٩م عمل تحت إدارة هنرى كيسنجر وكن من كبار المفاوضين بين الأطراف المتنازعة فى الشرق الأوسط.. توفى فى ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٤م

(٣) آرثر جوزيف جولدبرج: ولد فى ٨ أغسطس ١٩٠٨م.. سياسى وقانونى أمريكى.. عمل مندوب للولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة فى الفترة من ٢٨ يوليو ١٩٦٥ حتى ٢٤ يونيو ١٩٦٨م.. وتوفى فى ١٩ يناير ١٩٩٠م.

قد ثبت بعد ذلك أن سيسكو لا ينحاز ولا يتخذ موقفًا إلا في حدود السياسة التي يخططها البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية..

صدمة إسرائيل

فوجئت إسرائيل، بل صُدِمت، لأنها خططت سياستها على أساس أنه لن يوجد ذلك الرئيس العربى الذى يقبل بعقد اتفاق سلام معها، وبهذا نجح العرب لأول مرة في إحراج إسرائيل أمام حليفتها..

ولم تسكت إسرائيل.. بل - كعادتها دائمًا - لم تعدم الحيلة وعادت إلى استخدام أسلوبها التقليدي القديم، وذلك بالضغط على الحكومة الأمريكية من الداخل.. وكانت النتيجة أن انتهت زيارة روجرز مع مبادرتى إلى لا شيء، وعادت إسرائيل إلى ترديد النغمة التي تقول أنها تعرف جيدًا كيف تتعامل مع العرب الذين لا يخافون إلا القوة والبطش، وعلى أمريكا أن تستريح لأن العرب - إن عاجلا أو آجلا - سيأتون راكعين يستجدون الصفح والمغفرة لأنهم قوم لا حول لهم ولا قوة سواء على المستوى العسكرى أو السياسى، ولكى تقضى جولدا مائير قضاء مبرمًا على مساعى روجرز ومبادرتى في الوقت نفسه، وقفت في البرلمان الإسرئيلى ولقنت روجرز درسًا ملأته بالتوبيخ لأنه تصدى لأمر لا يخصه، وكالعادة تلقفت الدوائر الصهيونية في أمريكا هذا الخطاب وروجته، بحيث كان هذا بداية لإسدال الستار تمامًا على مستقبل روجرز السياسى.

وفى ٧ يوليو سنة ١٩٧١[1]، جاءنى مندوب من وزارة الخارجية الأمريكية - حاملا رسالة من روجرز - واتضع لى فيما بعد أن الرئيس الأمريكي لم يكن على علم بهذه الرسالة.. كانت الرسالة استفسارًا عن بعض النقاط المتعلقة بزيارة روجرز في أوائل شهر مايو وكنا قد عقدنا معاهدة الصداقة المصرية - السوفيتية في أعقاب ثورة التصحيح في ١٥ مايو[2]، وكان الاستفسار يتضمن أيضًا تساؤلا عما إذا كانت هذه المعاهدة تحد من حرية الحركة المتاحة لمصر في المجال العالمى، فنفيت هذا تمامًا، ثم سألنى المبعوث هل ما زلت عند رأيى في أن لأمريكا دورًا يجب أن تلعبه في قضية الشرق الأوسط: فأجبته بالإيجاب..

عند هذا قال لى المبعوث أنه مخول بأن يخطرنى أن الرئيس الأمريكي شخصيًا قد قرر التدخل منذ تلك الليلة لكى تأخذ مبادرتى مداها وتسير في طريق الحل السلمى، وأن أمريكا ستضع كل ثقلها وامكانياتها لكى يتحقق كل ما جاء في مبادرتى، وانتهت المقابلة عند هذا الحد.

(١) الأربعاء ٧ يوليو ١٩٧١م - ١٥ جمادى الأولى ١٣٩١هـ

(٢) السبت ١٥ مايو ١٩٧١م - ٢٠ ربيع الأول ١٣٩١م

وعلمت بعد ذلك أن إسرائيل أبلغت، عن طريق عملائها في وزارة الخارجية، بأمر رسالة روجرز فأقامت الدنيا ولم تقعدها، حتى قضت على أية خطوة كان يمكن لأمريكا أن تقوم بها في هذا المجال.

بعد ذلك حدث تطور غريب في الموقف.

كنت قد أعلنت في غضون سنة ١٩٧١، إن ذلك العام سيكون عام الحسم للقضية، إن سِلمًا أو حربًا، ولكن السياسة السوفيتية عملت كل ما في وسعها لكى لا يتحقق ذلك وتحرجنى أمام الوطن العربى.. وكان اعتمادنا أساسًا على عدم إمدادى بالسلاح الذى أحتاجه حتى لا أدخل المعركة، وفى نفس لوقت لم تحاول فرض أية ضغوط للوصول إلى الحل السلمى، لسبب بسيط هو أنها لا تملك إمكانية فرض مثل تلك الضغوط.

واستغل روجرز السياسة السوفيتية الملتوية لكي يغطى فشله في مساعيه لحل المشكلة، وحتى يستعيد رضاء إسرائيل الذى فقده بمجرد زيارته لمصر، وأعلن روجرز في أول يناير سنة ١٩٧٢[1] أن مصر كانت تقول كلامًا لا تعنيه، وإلا فأين سنة الحسم التي ملأت بها الدنيا، ولم يتوقف استجداء روجرز لإسرائيل عند هذا الحد، بل أعلن - بلا حرج على الإطلاق - أن أمريكا اتفقت مع إسرائيل في شهر نوفمبر ١٩٧١ على تصنيع أنواع معينة من السلاح علاوة على مضاعفة الأسلحة التي تمدها بها.. وبهذا كان روجرز يسعى لمشاركة إسرائيل في حملتها الشعواء ضد العرب لعلها تصفح عنه، وتتركه يحتل مقعد وزير الخارجية، ولكن إسرائيل لم ترحمه، وقضت على مستقبله السياسى تمامًا.

ولم أرحم روجرز بدورى.. بل أعلنت على الملأ أن وزير خارجية أمريكا كان كاذبًا، ولم يحترم التزامه، وإن كنت قد احتملت التواء السياسة السوفيتية، فعلى الأقل لأن السوفييت كانوا المورد الوحيد لسلاحي.. ولكن لأى سبب احتما كذب وزير خارجية الدولة التي لم تأل جهدًا لكى تجعل إسرائيل متفوقة على باستمرار، ويمكنها تهديد أي بقعة في المنطقة دون ردع أو حتى مجرد رد.. لم أكن لأقبل أبدًا أن يساوم روجرز إسرائيل على حسابنا بعد أن ادعى القيم بدور الحكم المحايد.

وظلت العلاقات المصرية - الأمريكية على أشدها من التوتر طوال الفترة التي بقى فيها روجرز وزيرًا للخارجية الأمريكية.

متى ظهر كيسنجر

بعد خروج روجرز وتولى الدكتور هنرى كيسنجر منصب وزير الخارجية الأمريكية، بدأت العلاقات المصرية - الأمريكية تأخذ طريقًا آخر..

---

[1] السبت ١ يناير ١٩٧٢م ١٥ ذو القعدة ١٣٩١هـ

وهنا أحتاج إلى وقفة أسجل فيها أمرًا هامًا ذلك هو أن تعيين كيسنجر جاء بعد قرارى بإنهاء مهمة الخبراء السوفيت في يوليو ١٩٧٢ وهو القرار الذى ظنه السوفيت مؤامرة مصرية مع أمريكا والذى اتضح فيما بعد للجميع أنه كان قرارًا وطنيًا مصريًا مائة في المائة رغم أن البعض ردد في ذلك الوقت أنه كان يمكن أن أساوم الأمريكان مقابل طرد الخبراء السوفيت ولكن أخلاقياتى لا تسمح أن أساوم الدولة التي بذلت أقصى ما في وسعها لكى تهزمنى على الدولة التي وقفت معى في الأيام السوداء.

بعد فترة من تولى كيسنجر لمنصبه الجديد، بعث برسالة يعبر فيها عن اهتمامه الشخصى لمقابلة أي مسئول مصري على أي مستوى، لأنه يشعر أن على الولايات المتحدة واجبًا ترغب في القيام به تجاه قضية الشرق الأوسط.

وبدأت المكاتبات والمراسلات تأخذ طريقها بيننا وبينهم عن طريق المشرف على رعاية المصالح الأمريكية في القاهرة، وتم الاتفاق على أن يلتقى كيسنجر بحافظ إسماعيل[١] في شهر أكتوبر من نفس السنة أي ١٩٧٢.

وبالرغم من هذه الخطوة، فقد كنت أدرك جيدًا أن أمريكا لن تتحرك إلا في حدود ما يفرضه الواقع الذى يؤكد كل يوم انتصار إسرائيل وسيطرتها على المنطقة، بينما لم يفعل العرب شيئًا ماديًا ملموسًا لتغيير هذا الواقع أو حتى تحريكه، ولذلك كان إيمانى بالمعركة لا يتزعزع، على أساس أنها اللغة الوحيدة التي سيفهمها جميع الأطراف المتصارعة والمعنية.

كيف كانت إسرائيل تتكلم

وسأضرب لذلك مثلا يؤكد صحة ما كنت أؤمن به.. في يوم الخميس ٤ أكتوبر ١٩٧٣[٢]، أي قبل المعركة بيومين، كان أبا ايبان[٣] - وزير خارجية إسرائيل في ذلك الوقت- يقوم بالجولات الإسرائيلية المعتادة في الولايات المتحدة لجمع الجباية التقليدية، وفى ذلك اليوم تحددت مقابلة بين كيسنجر وأبا ايبان، وقد علمت فيما بعد أن كيسنجر قال لايبان أن الإسرائيليين متفوقون، ومن هنا لابد وأن تأتى مبادرة حل المشكلة من جانبهم، لأنه من العسير على العرب وهم مهزومون أن يتخذوا الإجراء الذى يؤدى إلى حل المشكلة، وأضاف كيسنجر أن أمريكا على استعداد للقيام بدور ايجابى في هذا السبيل، وخاصة أن الانتخابات الأمريكية كانت على الأبواب.

---

(١) الفريق محمد حافظ إسماعيل: سياسى مصرى ولد فى ٢٨ أكتوبر ١٩١٩م.. مستشار رئيس الجمهورية لشئون الأمن القومى فى الفترة من سبتمبر ١٩٧١م وحتى ١٩٧٣م.. توفى ١ يناير ١٩٩٧م

(٢) الخميس ٤ أكتوبر ١٩٧٣م - ٨ رمضان ١٣٩٣هـ

(٣) أبا ايبان (أوبرى سوليمون مانير إيبان): دبلوماسى وسياسى إسرائيلى ولد فى ٢ فبراير ١٩١٥م.. تولى وزارة الخارجية من ١٣ يناير ١٩٦٦م وحتى ٢ يونيو ١٩٧٤م.. توفى فى ١٧ نوفمبر ٢٠٠٢م

ولكن جاء رد أبا ايبان بالغًا في الغرابة - كما سمعت به - إذ تساءل ايبان بدهشة: لماذا يتحتم على إسرائيل أن تتقدم بمبادرة بينما لن تقوم للعرب أي قائمة سياسية أو عسكرية على مدى الخمسين سنة القادمة!.. ثم نصح ايبان كيسنجر ألا تضيع أمريكا وقتها فيما لا فائدة منه، فإسرائيل تعرف جيدًا كيف تتعامل مع العرب الذين لا يخضعون إلا لمنطق القوة والردع والقهر الذى تمارسه إسرائيل عليهم من وقت لآخر، حتى لا يظنوا في يوم من الأيام أنه سوف تقوم لهم قائمة.

قال ايبنا هذا الكلام وهو لا يدرك أنه بعد ٤٨ ساعة بالضبط سيفتح الجحيم أبوابه لإسرائيل وغرورها، وأنها ستصرخ بعد أربعة أيام مستنجدة بأمريكا لكى تنقذها من هؤلاء الذين لن تقوم لهم قائمة.

ويبدو أن كيسنجر قد صدق تمامًا كلام ايبان لأن الواقع كان يؤكد صحة ما يقول.

وكان كيسنجر قد قابل حافظ إسماعيل مرتين بناء على الدعوة التي وجهها له ولم يحدث أي تطور نتيجة هذه الاجتماعين، لأن الواقع بكل أبعاده كان يفرض نفسه بكل قوة. وكان كيسنجر يدرس احتمالات قضية الشرق الأوسط لكى يجرب ديبلوماسيته فيها.

وعندما علم كيسنجر بخبر اندلاع المعارك في سيناء اعتقد أننى ارتكبت خطأ كبيرًا بإعلانى هذه الحرب، وأن إسرائيل ستقضى لا محالة على كل قواتى، وبالتالي ستقضى على كل فرص الوصول إلى حل سلمى مهما كانت ضئيلة.

وكان كيسنجر يرى في السياسة المصرية الجديدة سياسة منطقية يمكن بمقتضاها التوصل إلى حل سلمى معقول، وخاصة بعد أن قدمت مبادرتى التي أعربت فيها عن شروطى لعقد اتفاق سلام مع إسرائيل ولا يعنى هذا أن أمريكا كانت مستعدة لأن تمنحنا شيئًا رغم أنف إسرائيل ولكنها كانت تتحرك في حدود الواقع المادى الملموس أما تحرير الأرض فمهمة مُلقاة على عاتقنا وحدنا ولن يُساهم أحد فيها إلا إذا أثبتنا نحن جدارتنا العملية في هذا المضمار. وقد حكيت قصة رأى كيسنجر عند مقابلته لحافظ إسماعيل في حديثى للشعب يوم ٢٨ سبتمبر الماضى.

المفاجأة الكبرى

واتصل كيسنجر بالرئيس الأمريكي نيكسون وأبلغه أسفه الشديد لاندلاع المعارك في الشرق الأوسط، وأن تقديره للموقف أن إسرائيل ستنتصر انتصارًا خرافيًا أكبر من انتصارها في عام ١٩٦٧، وتأكدت ظنون كيسنجر عندما اتصلت بهم إسرائيل تطلب من أمريكا مهلة يومين لتحطيم عظام العرب في مصر وسوريا وتحفظ حقها عند أمريكا في استعراض الأسلحة التي ستفقدها في الحرب.

وكانت المفاجأة الكبرى عند كيسنجر، عندما تلقى استغاثة إسرائيل الشهيرة بعد أربعة أيام من الحرب: انقذوا إسرائيل..

هنا أدرك كيسنجر - وكل أمريكا - أن مركز الثقل قد انتقل نهائيًا إلى مصر وعليها أن تتعامل مع مصر التي استعدت للتعامل معها معاملة الند بالند.

لقد أثبتت مصر قدرتها على أن تورط الولايات المتحدة مع حليفاتها بإعلان حالة التعبئة الذرية بدون استشارتهم واستطاعت أن تكسب الرأي العالمى كله بجانبها بعد أن كانت قد خسرته بعد حرب سنة ١٩٦٧، كذلك كشفت مصر الغطاء عن حقيقة الوفاق بين القوتين العظميين.

ومن هنا سارعت أمريكا بالتحرك، وجاء كيسنجر في نوفمبر والتقيت به لأول مرة، وبدأ الحديث معى عن الجيب الإسرائيلي، فأفهمته بصراحة أن هذا الجيب تحت رحمتي ويمكنني القضاء عليه متى شئت، عندئذ دخل معى كيسنجر في حوار مباشر وصريح، اتفقنا فيه على محادثات الكيلو ١٠١.

مذكرات الرئيس السادات



البيت الأبيض .. بعد كل هذا

أدرك كيسنجر أن مركز الثقل انتقل نهائيا الى مصر

عبد الناصر قبل مبادرة روجرز وهو فى اجتماع مع القادة السوفييت

- تطورت العلاقات مع أمريكا نتيجة تطور العلاقات مع روسيا
- جولدا مائير تتحدى روجرز أن يجد الرئيس العربى الذى يقبل السلام
- كيف تم عزل روجرز ومتى ظهر كيسنجر



□ ايليوت ريتشاردسون كتب تقريرا بعد مقابلته للرئيس السادات قال فيه : ان السادات لن يبقى فى الحكم اكثر من ٤ اسابيع ..



□ فوجىء روجرز بالاسلوب الراقى الذى عامله به المصريون . وكان يتصور ان الناس فى مصر سيقذفونه بالطوب ... وقال الرئيس السادات له : نحن شعب منح العالم الحضارة الانسانية .. اقرأ ..

لم يكن من مبادىء واهداف ثورة ٢٣ يوليو منذ بدات ان تحدد لمصر موقفا منحازا لاى تكتل دولى: لا الغرب ولا الشرق، ولكن كان المبدا الاساسى والهدف المستمر هو الاحتفاظ لمصر بشخصيتها المستقلة المتحررة من اى احتكار سياسى دولى يضعها فى موضع الخضوع او الاستسلام للغرب او للشرق ، ولهذا كانت مصر والسياسة المصرية الدولية هى احد العمد الرئيسية التى اقامت للعالم كتلة عدم الانحياز ، والتى نادت بالحياد بين الكتلتين مع التصميم على أن يكون حيادا ايجابيا وليس حيادا سلبيا بمعنى الانعزال عن مصير العالم المرتبط بمصيرنا .

وشخصية مصر المستقلة تعنى أن تتحمل مصر مسئولية نفسها فى صيانة حريتها واسترداد حقوقها ، وتحقيق مصالحها ..

وفى سبيل تحقيق هذه المصالح القائمة على الحق كان يتحدد موقف مصر من كل من الدولتين العظميين اى الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، اى ان الموقف الذى تتخذه مصر كان غالبا يعبر عن رد فعل للموقف الذى اتخذته هذه الدولة العظمى او تلك من استجابتها للحقوق والمصالح التى تطالب بها مصر ..

ولان أى تطور فى السياسة المصرية كان دائما يمس الموقف الامريكى الذى كان قائما على فرض استمرار الاوضاع القديمة التى كانت قائمة بين مصر والعالم الغربى ، فان هذا التطور كان يسبب دائما التباعد بين مصر والولايات المتحدة ، وفى الوقت نفسه ينتهى الى مزيد من التقارب واتساع التعامل مع الاتحاد السوفيتى الى أن انتهى الى ما يقال من ان مصر كانت الباب الذى استطاع الاتحاد السوفيتى ان يحقق من خلاله تواجده فى الشرق الأوسط ..

ورغم هذا فقد كانت مصر حريصة دائما على ان تبقى خيطا ولو رفيعا يربط بينها وبين الولايات المتحدة ، وكان جمال عبد الناصر حريصا على أن يقيم علاقة شخصية بينه وبين الرئيس الامريكى كيندى ، وكانا يتبادلان الرسائل الخاصة ، وهى علاقة حققت اتفاقية معونة بين مصر وامريكا بلغت قيمتها ٣٠٠ مليون دولار رغم أن كثيرا من الازمات كانت قائمة ايامها بين الدولتين ومن بينها الازمة التى ترتبت على اشتراك مصر فى ثورة اليمن ، حتى قيل ايامها من أعداء كيندى ان امريكا دفعت لمصر تكاليف حرب اليمن، ويقصدون المعونة التى وافق كيندى على ان يمد بها مصر ..

ولا شك انه كان من أهداف اسرائيل الاساسية والتى تعتمد عليها اعتمادا كاملا هو الوصول الى تقطيع العلاقات بين مصر وامريكا الى ان يتخذ كل منهما موقف العداء من الاخر حتى تصل اسرائيل الى تركيز واستغلال كل القوى الامريكية لصالح استمرار وجودها وتحقيق أطماعها التوسعية ، وربما بدأ سعى اسرائيل الى تحقيق هذا الهدف منذ الايام الاولى لثورة ٢٣ يوليو عندما خشيت أن تتخذ السياسة الامريكية موقف الصداقة من هذه الثورة ، فاثارت اسرائيل حوادث الاعتداء على المؤسسات الامريكية فى القاهرة والاسكندرية وهو ما عرف بعد ذلك بقضية لافون ، حتى تضع الثورة فى وضع الاعتداء على الوجود الامريكى فى المنطقة .

واستمرت المحاولات الاسرائيلية الى ان وصلت الى قمتها بعد مقتل كينيدى وتولى جونسون الرئاسة الامريكية التى بداها برسالته المعروفة الى جمال عبد الناصر والتى طالب فيها بان يكون لامريكا حق التفتيش على القوات المصرية وهدد فيها بتسليح اسرائيل بما يكفى لكسب أى حرب لها ضد العرب ، وهى الرسالة **التى رد عليها جمال عبد الناصر بطرد تالبوت مبعوث الرئيس الامريكى من مكتبه وكان ذلك فى عام ٦٥ وفى هذا العام اى عام ٦٥ بدات اسرائيل الاعداد لحرب ٦٧ بالاتفاق مع جونسون ،وهو ما يؤكده كثير مما نشر من تحليل لتطورات الموقف الامريكى ..**

وقد كان جونسون مستسلما استسلاما كاملا للمراكز الصهيونية وكان يعتمد عليهم حتى فى الوصول الى مكاسب شخصية مادية لعائلته ، وكان يردد نفس منطق اسرائيل الذى تحاول ان تسيطر به على السياسة الأمريكية والذى يقوم على أنها تستطيع أن تكون مركز القوة والقاعدة العسكرية لامريكا فى المنطقة بدلا من ان تقيم امريكا قواعدها بنفسها مما يجر عليها عداءات هى فى غنى عنها ،كما انها - اى اسرائيل - يمكن ان تعتبر الحاجز الواقى من اى تسرب سوفيتى فى المنطقة ، ولا ابالغ اذا قلت ان اسرائيل نجحت فى تمكين وجودها فى المنطقة كنتيجة للفجوة التى حققتها بين العرب وأمريكا ، فى حين ان العرب كان يمكن أن يكونوا دائما اقوى بالنسبة للمصالح الامريكية من أطماع اسرائيل اذا تعاملوا مع الامريكان على اساس المصالح المشتركة والاحترام المتبادل ، وهذا كما سبق ان قلت هو ما ادى الى ماحدث عام ٦٧ ..

وبعد حرب ٦٧ تقطعت العلاقات قطعا تاما بين مصر والولايات المتحدة كرد فعل طبيعى لموقفها من هذه الحرب ، وبلغ اليأس من امكانية الوصول الى اى نوع من أنواع الاتصال بين مصر وامريكا الى حد ان عبد الناصر فوض قادة موسكو فى أن يتولوا الاتصال بواشنطن نيابة عن مصر حتى يصلوا معها الى اى حل أو اى موقف يمكن ان يغير فى النتائج التى انتهت اليها هزيمة ٦٧ ، وهو تفويض لم يأت باى نتيجة ولم يحقق أى خطوة او اى امل فى خطوة يمكن ان تعتمد عليها مصر باعتبار ان اسرائيل تعتمد اعتمادا كاملا على الولايات المتحدة ولا يمكن ان تتحرك الا بضغط واشنطن ولا يمكن ايضا ان تضع مصر أى خطة عسكرية لمحاربة اسرائيل الا وهى تحسب حساب الموقف الامريكى ..

كيف تطورت العلاقات

وكل هذا اقوله تعبيرا عن تاريخ العلاقات بيننا وبين الولايات المتحدة ، وهو تاريخ كان يمكن أن يستمر فى اتجاه واحد لو ان العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى لم تتطور تطورا عكسيا فى مواجهة هزيمة عام ٦٧ ..

وقد كانت نتيجة موقف الاتحاد السوفيتى ان تطورت العلاقات بين مصر والولايات المتحدة ، وقد بدا هذا التطور عندما قبل جمال عبد الناصر مبادرة روجرز عام ١٩٧٠ ..

وقد لا يعلم الكثيرون ان عبد الناصر قبل مبادرة روجرز وهو جالس على مائدة المحادثات مع القادة السوفيت فى موسكو ، وابلغهم انه مضطر أن يقبل هذه المبادرة كنتيجة لعدم استعداد موسكو لتلبية مطالب مصر الخاصة بالتسليح ..

والغريب ان القادة السوفيت لم يهاجموا عبد الناصر على قبول مبادرة روجرز ، او ربما لم يكن هذا غريبا بالنسبة لاستراتيجية السياسة السوفيتية ..

وكنت انا ايامها فى القاهرة اتحمل مسئوليات نائب رئيس الجمهورية، وبعد اعلان مبادرة روجرز جمعت القيادات السياسية وقررنا رفض هذه المبادرة ، وقد رفضناها اعتقادا منا ان جمال عبد الناصر سيعود من موسكو بعد ان يتم الاتفاق ويحقق كل مطالبنا الخاصة بالتسليح ..

واستقبلت جمال عبد الناصر فى المطار وخيل الى انه عاد وهو اكثر شبابا وقد استرد كل صحته نتيجة العلاج الذى قام به هناك ثم فوجئت وانا معه بأن فكره السياسى وحالته النفسية ليست فى مستوى ما يبدو عليه من معالم الصحة ، وفوجئت اكثر عندما ابلغنى انه قرر قبول مبادرة روجرز ،وانه قبلها واعلن قبوله فى مواجهة القيادة السوفيتية لانه وصل معهم الى حالة اليأس .. اليأس من الوصول الى خط صريح مستقيم يضمن له تحديد اى نتيجة لاى طريق يسير معهم فيه ..

وكانت اسرائيل قد قبلت مبادرة روجرز حتى تريح نفسها من حرب الاستنزاف واعتمادا على ما تعودته وتعودة العالم كله من رفض العرب لكل فرصة لو محاولة لحل القضية بينهم وبين اسرائيل باى وسيلة سلمية .. **قبلت اسرائيل مبادرة روجرز على اساس ان عبد الناصر سيرفضها ، ثم فوجئت بمفاجأة عنيفة بان عبد الناصر قبلها ، وكان أن تغير موقفها بسرعة واصبحت هى التى ترفض المبادرة وتفتعل الحجج والمواقف التى تبرر هذا الرفض.**

مارست اسرائيل ضغوطها الرهيبة على روجرز وافهمته ان مستقبله كله متوقف على الجانب الذى سوف يختاره بين طرفى النزاع .. ورضخت امريكا لاسرائيل ، بل واشتركا سويا فى الاحتجاج علينا بحجة أننا حركنا الصواريخ من الاماكن التى كانت عليها وقت قبول المبادرة ، وقاموا بحملة مشتركة فى العالم كله يتهمون فيها مصر بانها نقضت نصوص المبادرة وبالتالى فيحق لاسرائيل الا تنفذ البند الاول منها والذى ينص على انسحابها من الاراضى العربية التى تحتلها .

ووضح من ذلك ان امريكا لن تتخذ اى اجراء جاد لتنفيذ المبادرة التى تحمل اسم وزير خارجيتها ، خاصة وأن اسرائيل كانت فى ذلك الوقت فى أوج غرورها وقمة سيطرتها على السياسة الامريكية فيما يتعلق بمنطقة الشرق الاوسط بالذات ، لدرجة ان ابا ايبان - وزير خارجية اسرائيل فى ذلك الوقت - قال لروجرز **ان امريكا تقحم نفسها فى امور لا تهمها ، ولا يجدر ان تهتم بها ثم عبر ابا ايبان عن رايه فى العرب بان قال انهم قوم متخلفون ولن تقوم لهم قائمة ، ولا يعرفون سوى لغة البطش والرعب ، وقد حان الوقت الذى سيأتون فيه راكعين مستسلمين لاسرائيل التى تعرف جيدا كيف تعاملهم .**

أول اتصال بينى وبينهم

بعد وفاة عبد الناصر - التى وقعت اثناء مبادرة روجرز التى بدا سريان مفعولها من يوم ٧ اغسطس ١٩٧٠ - كان على أن اقرر الطريق الذى سنسلكه عند انتهاء المبادرة فى ٧ نوفمبر ، سواء بتجديدها او باهمالها .

بعد دراسة الموقف وجدت ان الظروف المحلية والعالمية فى ذلك الوقت تحتم على أن أجددها ، ولذلك اوفدت محمود رياض - وزير الخارجية فى ذلك الوقت - الى الامم المتحدة واعلنا تجديد وقف اطلاق النار لتسعين يوما اخرى تنتهى فى ٤ فبراير ١٩٧١ ..

ولكن أمريكا لم تأخذ قرارنا مأخذ الجد بسبب الاشاعات التى كانت تحيط بالسياسة المصرية فى ذلك الوقت ، وتردد بين التلميح والتأكيد اننى غير قادر على اتخاذ اى قرار ، وان ايامى على كرسى الحكم محدودة . ولقد كانت مراكز القوى هى مصدر تلك الاشاعات التى سرت فى الجو منذ يوم تشييع جنازة عبد الناصر ..

وقد حدث ان اوفد الرئيس الامريكى نيكسون احد وزرائه لتشييع الجنازة وهو اليوت ريتشاردسون - وهو من رجال الحزب الجمهورى المرموقين وسفير امريكا الان فى انجلترا وكان على رأس وفد ضم ماكلوى أحد الخبراء الامريكيين فى قضية الشرق الأوسط .

وعاد ريتشاردسون بعد اشتراكه فى تشييع جنازة عبدالناصر وكتب تقريرا عن زيارته لمصر قال فيه ان السادات لن يبقى فى الحكم وان ما تبقى له مدة تتراوح بين اسبوعين واربعة اسابيع على اكثر تقدير واضاف ريتشاردسون فى تقريره ان هذه المعلومات قد توصل اليها بعد دراسته للاوضاع فى مصر والاتصال بالاشخاص المعنيين فيها . **ولم يكن هذا راى ريتشاردسون وحده وانما كان ايضا راى الخارجية الامريكية ووكالة المخابرات المركزية وقد روى لى كيسنجر فى اول لقاء لنا ان هذا التقرير - اى تقرير ريتشاردسون - مازال محفوظا فى سجلات الخارجية الامريكية كوثيقة تاريخية يتعلم منها المسئولون فى امريكا الا تخدعهم المظاهر الكاذبة ولا المعلومات غير المسئولة التى تعطى لهم .**

تم أول اتصال بينى وبين الرئيس الامريكى ريتشارد نيكسون فى يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ ، فلقد ارسل لى خطابا يشكرنى فيه على اشتراك مصر فى تشييع جنازة الرئيس الراحل دوايت ايزنهاور والتى مثل مصر فيها الدكتور محمود فوزى رئيس وزراء مصر فى ذلك الوقت ، وقد ارسل نيكسون الخطاب الى الدكتور فوزى وطلب منه توصيله الى ، فلم تكن هناك علاقات دبلوماسية بين مصر وامريكا فى ذلك الوقت .

عندما تلقيت الخطاب واطلعت على ما فيه طلبت استدعاء دونالد بيرجس المشرف على المصالح الامريكية فى مصر وعرف منى بخطاب نيكسون الى وقلت له : **اننى اعتبر هذا الخطاب بادرة جديدة ربما تفتح الطريق أمام العلاقات المصرية الامريكية وتعود بها الى أوضاعها الطبيعية . وعلى هذا فنحن على استعداد للاستجابة الى كل خطوة يقترب بها الامريكان منا ، وكل مبادرة طيبة من جانبهم ستقابل ببادرة اطيب من جانبنا ، اما اذا كان العكس هو ما سوف يقع من جانبكم فستكون هناك من جانبنا اجراءات تفوق فى سوئها اجراءاتكم ..**

كذلك قمت بالرد على الرسالة بخطاب اوضحت فيه للرئيس الامريكى نيكسون انه قد آن الاوان لتقوم امريكا بدورها فى حسم هذا النزاع ، فهى كقوة عظمى لا شك مسئولة عن استمرار الوضع بهذا الشكل المتفجر ، ونحن لا نريد سوى السلام العادل مع ادراكنا ان امريكا هى القوة الوحيدة التى تستطيع ان تؤثر على اسرائيل التى تعتمد فى حياتها اليومية فى كل شيء على امريكا ، وانه اذا سارت امريكا فى الطريق الصحيح لاعادة الامور الى اوضاعها الطبيعية فستلقى منى كل تجاوب وتفاهم ، كما اكدت فى رسالتى اننا لن نستسلم مهما طال الزمن . وكانت الحرب النفسية الشرسة التى تشن ضدنا فى ذلك الوقت تصور للجميع اننا فى سبيلنا الى التسليم أو الموت .



ابا ايبان كان يتصور يوم ٤ اكتوبر ان العرب لن تقوم لهم اى قائمة سياسية او عسكرية على مدى الخمسين سنة القادمة .. ولكن بعد ٤٨ ساعة بالضبط فتح الجحيم أبوابه لاسرائيل ..

وكنت اهدف من وراء رسالتى تلك ان تكون مواجهتى مع الاصل، اى امريكا، ذلك ان المواجهة مع الفرع وهو اسرائيل تاخذ شكلا آخر خصوصا وان الفرع يحاول دائما ان يمارس ضغوطا على الاصل بما يتمشى مع اهدافه التوسعية فى المنطقة .

وبقى الموقف على ما هو عليه الى شهر مارس سنة ١٩٧١ ، ففى يوم ٧ من ذلك الشهر القيت خطابى الذى أعلنت فيه انتهاء التزامنا باى وقف لاطلاق النار ، كما قلت ان مبادرتى التى اعلنتها فى ٤ فبراير سنة ١٩٧١ ، ما زالت قائمة ، ونحن على استعداد لتنفيذها اذا ما استجابت لها اسرائيل بالشروط التى وردت بها ، ولكن اسرائيل لم ترد ، فقد زين لها غرورها ان الاوضاع فى المنطقة قد استتبت ودانت لها بالطاعة لنصف قرن قادم من الزمان

ولكن أمريكا تحركت لانقاذ ماء وجهها ، وجاءتنى رسالة من وليام روجرز ، يطلب فيها ان يلتقى بى فى القاهرة .

مقابلة روجرز

وصل روجرز الى مصر يوم ٣ مايو سنة ١٩٧١ ، واستغرقت مباحثاتنا جلسة طويلة استمرت ساعتين ونصف الساعة ، **وتحدث فيها روجرز عن مبادرتى واعترف ان امريكا تسمع لاول مرة لغة جديدة واسلوبا عمليا يتفهم روح العصر الذى نعيشه ، كذلك فانه يقدر تماما الرغبة فى الحل السلمى وتجنب العودة الى ميدان القتال .**

واقف هنا قليلا لاروى ان روجرز قال لى عند مقابلتى له انه **فوجىء بالاسلوب الراقى الذى عامله به المصريون فى كل مكان ، وعلى كل المستويات ، لقد كانت الفكرة التى اتى بها الى القاهرة تصور له ان الناس فى مصر سيقذفونه بالطوب والطماطم والبيض ، كتعبير تلقائى عن الرواسب التى قضت على العلاقات الصحية بين مصر وامريكا ، ولقد سار روجرز على قدميه فى شوارع القاهرة ، وقابل كثيرا من المصريين الذين تحدثوا معه بمنتهى الذوق وهم يعلمون من هو ، ولم تكن حوله اية حراسة .. وقد عبر لى روجرز عن ذهوله من هذا الاستقبال .**

فقلت له : لا تندهش ، فنحن شعب منح العالم الحضارة الانسانية منذ سبعين قرنا : ولا عجب ان يكون متحضرا حتى فى عدائه .. فالحضارة لا تفرق بين الصداقة والعداء ، فالمتحضر فى صداقته ، متحضر ايضا فى عدائه .

وانتهت مقابلتى مع روجرز بوعد منه بان امريكا ستسعى من جانبها الى تحقيق المبادرة التى أعلنت عنها ، وحكى لى كيف استدعت جولدا مائير - رئيسة وزراء اسرائيل فى ذلك الوقت - السفير الامريكى فى تل ابيب وطلبت منه ابلاغ رسالة الى نيكسون وروجرز ، تحدت فيها أى رئيس عربى أن يقبل باتفاق سلام مع اسرائيل ، ويعلن ذلك رسميا ، ولقد فوجىء الجميع اننى فى مبادرتى أعلنت استعدادنا لابرام اتفاق سلام مع اسرائيل ، بالاضافة الى البنود الاخرى التى تحتم انسحاب اسرائيل الكامل من الاراضى العربية المحتلة بعد سنة ١٩٦٧ الى المضايق كخطوة اولى ، ومنح فترة ستة شهور لايقاف اطلاق النار على ان يتولى جونار يارنج اتمام حل المشكلة خلال هذه الفترة .. كل ذلك كان بمثابة تجهيز لمباحثات انسحاب اسرائيل وعبور القوات المصرية ، وعودة علاقتنا مع امريكا ، باعتبارها الاصل فى القضية كلها .

وكان كلام جولدا مائير لروجرز يؤكد انه لو قبل اى رئيس عربى تحديها ، فان اسرائيل فى هذه الحالة ستضع كل اوراقها على المائدة كما يقول التعبير الامريكى . ولذلك لم تعد لاسرائيل اية حجة تتذرع بها ،وسيذهب روجرز من فوره الى جولدا مائير لكى يقول لها انه ثبت اخيرا وجود الرئيس العربى الذى أعلن عن استعداده للسلام ، والدور عليها ، لكى تضع أوراقها على المائدة لكى تحل المشكلة حلا نهائيا .

عندئذ سألت روجرز عما اذا كانت امريكا تطالب مصر بطلبات اخرى ، فنفى ذلك نفيا مطلقا ، واكد ان موقفنا سليم مائة فى المائة ، ولا يطلب منا شيئا ، انما الذى يطلبه لابد وان يجىء من اسرائيل : فالكرة الان فى ملعبها ويتحتم عليها ان ترد ، وغادر روجرز القاهرة على هذا الاساس ، وكنت فى قرارة نفسى لا اشعر بالثقة فى ان روجرز ينوى فعلا ان يفعل شيئا . كذلك كان جوزيف سيسكو أهم عضو فى الوفد الامريكى يبدو غير متعاطف فى ذلك الوقت مع العرب وكنت ادرك ان سلوكه هذا يرجع الى انه عمل مساعدا لارثر جولدبرج رئيس الوفد الامريكى فى الامم المتحدة وقت عدوان ٦٧ .. وهو العدوان الذى خططه جونسون مع اسرائيل ولقد صارحت سيسكو بهذا الكلام أمام روجرز وقلت له اننا نشعر انه اى سيسكو يميل اسرائيل فى هذه المحادثات كنتيجة لتأثره بالعمل فترة طويلة مع جولدبرج وان كان قد ثبت بعد ذلك ان سيسكو لا ينحاز ولا يتخذ موقفا الا فى حدود السياسة التى يخططها البيت الابيض ووزارة الخارجية الامريكية ..

صدمة اسرائيل

فوجئت اسرائيل ، بل صدمت ، لانها خططت سياستها على اساس انه لن يوجد ذلك الرئيس العربى الذى يقبل بعقد اتفاق سلام معها ، وبهذا نجح العرب لاول مرة فى احراج اسرائيل امام حليفتها ..

ولم تسكت اسرائيل .. بل - كعادتها دائما - لم تعدم الحيلة وعادت الى استخدام اسلوبها التقليدى القديم ، وذلك بالضغط على الحكومة الامريكية من الداخل .. وكانت النتيجة ان انتهت

البقية صفحة ٤

كانت المفاجأة الكبرى لأمريكا يوم استغاثت بها اسرائيل

مذكرات الرئيس السادات



البيت الابيض .. بعد كل هذا

□ جولدا مائير
تحدت أى رئيس مصرى ان يقبل باتفاق سلام

□ دونالد بيرجس
المشرف على المصالح الامريكية حمل رد السادات على نيكسون

□ تالبوت
طرده عبد الناصر من مكتبه

□ جونسون
طالب بحق تفتيش امريكا على القوات المصرية

□ كيندى
فى عهده بلغت المعونة الامريكية لمصر ٣٠٠ مليون دولار

□ حافظ اسماعيل
اجتمع مع كيسنجر مرتين بناء على دعوة من كيسنجر

زيارة روجرز مع مبادرتى الى لا شىء ، وعادت اسرائيل الى ترديد النغمة التى تقول انها تعرف جيدا كيف تتعامل مع العرب الذين لا يخافون الا القوة والبطش ، وعلى امريكا ان تستريح لان العرب — ان عاجلا او آجلا — سيأتون راكعين يستجدون الصفح والمغفرة لأنهم قوم لا حول لهم ولا قوة سواء على المستوى العسكرى او السياسى ، ولكى تقضى جولدا مائير قضاء مبرما على مساعى روجرز ومبادرتى فى الوقت نفسه ، وقفت فى البرلمان الاسرائيلى ولقنت روجرز درسا ملأته بالتوبيخ لانه تصدى لامر لا يخصه ، وكالعادة تلقفت الدوائر الصهيونية فى امريكا هذا الخطاب وروجته ، بحيث كان هذا بداية لاسدال الستار تماما على مستقبل روجرز السياسى .

وفى ٧ يوليو سنة ١٩٧١ ، جاءنى مندوب من وزارة الخارجية الامريكية — حاملا رسالة من روجرز — واتضح لى فيما بعد ان الرئيس الامريكى لم يكن على علم بهذه الرسالة .. كانت الرسالة استفسارا عن بعض النقاط المتعلقة بزيارة روجرز فى اوائل شهر مايو وكنا قد عقدنا معاهدة الصداقة المصرية — السوفيتية فى اعقاب ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ، وكان الاستفسار يتضمن ايضا تساؤلا عما اذا كانت هذه المعاهدة تحد من حرية الحركة المتاحة لمصر فى المجال العالمى ، فنفيت هذا تماما ، ثم سألنى المبعوث هل ما زلت عند رأيى فى ان لامريكا دورا يجب ان تلعبه فى قضية الشرق الاوسط : فأجبته بالايجاب ..

عند هذا قال لى المبعوث انه مخول بان يخطرنى ان الرئيس الامريكى شخصيا قد قرر التدخل منذ تلك الليلة لكى تأخذ مبادرتى مداها وتسير فى طريق الحل السلمى ، وان امريكا ستضع كل ثقلها وامكانياتها لكى يتحقق كل ما جاء فى مبادرتى ، وانتهت المقابلة عند هذا الحد .

وعلمت بعد ذلك ان اسرائيل ابلغت ، عن طريق عملائها فى وزارة الخارجية ، بأمر رسالة روجرز فأقامت الدنيا ولم تقعدها ، حتى قضت على اية خطوة كان يمكن لامريكا ان تقوم بها فى هذا المجال .

بعد ذلك حدث تطور غريب فى الموقف .

كنت قد اعلنت فى غضون سنة ١٩٧١ ، ان ذلك العام سيكون عام الحسم للقضية ، ان سلما او حربا ، ولكن السياسة السوفيتية عملت كل ما فى وسعها لكى لا يتحقق ذلك وتحرجنى امام الوطن العربى .. وكان اعتمادها اساسا على عدم امدادى بالسلاح الذى احتاجه حتى لا ادخل المعركة ، وفى نفس الوقت لم تحاول فرض اية ضغوط للوصول الى الحل السلمى لسبب بسيط هو انها لا تملك امكانية فرض مثل تلك الضغوط .

واستغل روجرز السياسة السوفيتية الملتوية لكى يغطى فشله فى مساعيه لحل المشكلة ، وحتى يستعيد رضاء اسرائيل الذى فقده بمجرد زيارته لمصر ، واعلن روجرز فى اول يناير سنة ١٩٧٢

كنت أعرف أن اللغة الوحيدة التى تفهمها أمريكا هى المعركة

ان مصر كانت تقول كلاما لا تعنيه ، والا فاين سنة الحسم التى ملأت بها الدنيا ، ولم يتوقف استجداء روجرز لاسرائيل عند هذا الحد ، بل اعلن — بلا حرج على الاطلاق — ان امريكا اتفقت مع اسرائيل فى شهر نوفمبر ١٩٧١ على تصنيع انواع معينة من السلاح علاوة على مضاعفة الاسلحة التى تمدها بها .. وبهذا كان روجرز يسعى لمشاركة اسرائيل فى حملتها الشعواء ضد العرب لعلها تصفح عنه ، وتتركه يحتل مقعد وزير الخارجية ، ولكن اسرائيل لم ترحمه ، وقضت على مستقبله السياسى تماما .

ولم ارحم روجرز بدورى .. بل اعلنت على الملأ ان وزير خارجية امريكا كان كاذبا ، ولم يحترم التزامه ، وان كنت قد احتملت التواء السياسة السوفيتية ، فعلى الاقل لان السوفييت كانوا المورد الوحيد لسلاحى .. ولكن لاى سبب احتمل كذب وزير خارجية الدولة التى لم تأل جهدا لكى تجعل اسرائيل متفوقة على باستمرار ، ويمكنها تهديد اى بقعة فى المنطقة دون ردع او حتى مجرد رد .. لم اكن لاقبل ابدا ان يساوم روجرز اسرائيل على حسابنا بعد ان ادعى القيام بدور الحكم المحايد .

وظلت العلاقات المصرية — الامريكية على اشدها من الفتور طوال الفترة التى بقى فيها روجرز وزيرا للخارجية الامريكية .

متى ظهر كيسنجر

بعد خروج روجرز وتولى الدكتور هنرى كيسنجر منصب وزير الخارجية الامريكية ، بدأت العلاقات المصرية — الامريكية تأخذ طريقا آخر ..

وهنا احتاج الى وقفة استجل فيها امرا هاما ذلك هو ان تعيين كيسنجر جاء بعد قرارى بانهاء مهمة الخبراء السوفيت فى يوليو ١٩٧٢ وهو القرار الذى ظنه السوفيت مؤامرة مصرية مع امريكا والذى اتضح فيما بعد للجميع انه كان قرارا وطنيا مصريا بحتا فى المسألة رغم ان البعض ردد فى ذلك الوقت انه كان يمكن ان اساوم الامريكان مقابل طرد الخبراء السوفيت ولكن اخلاقياتى لا تسمح ان اساوم الدولة التى بذلت اقصى ما فى وسعها لكى تهزمنى على الدولة التى وقفت معى فى الايام السوداء .

بعد فترة من تولى كيسنجر لمنصبه الجديد ، بعث برسالة يبدى فيها عن اهتمامه الشخصى لمقابلة اى مسئول مصرى على اى مستوى ، لانه يشعر ان على الولايات المتحدة واجبا ترغب فى القيام به تجاه قضية الشرق الاوسط .

وبدأت المكاتبات والمراسلات تأخذ طريقها بيننا وبينهم من طريق المشرف على رعاية المصالح الامريكية فى القاهرة ، وتم الاتفاق على ان يلتقى كيسنجر بحافظ اسماعيل فى شهر اكتوبر من تلك السنة أى ١٩٧٢ .

وبالرغم من هذه الخطوة ، فقد كنت ادرك جيدا ان امريكا لن تتحرك الا فى حدود ما يفرضه الواقع الذى يؤكد كل يوم تفوق اسرائيل وسيطرتها على المنطقة ، بينما لم يفعل العرب شيئا ماديا ملموسا لتغيير هذا الواقع او حتى تحريكه ، ولذلك كان ايمانى بالمعركة لا يتزعزع ، على اساس انها اللغة الوحيدة التى يفهمها جميع الاطراف المتصارعة والمعنية .

كيف كانت اسرائيل تتكلم

وسأضرب لذلك مثلا يؤكد صحة ما كنت اومن به .. فى يوم الخميس ٤ اكتوبر ١٩٧٣ ، اى قبل المعركة بيومين ، كان ابا ايبان — وزير خارجية اسرائيل فى ذلك الوقت — يقوم بالجولات الاسرائيلية المعتادة فى الولايات المتحدة لجمع الجباية التقليدية ، وفى ذلك اليوم تحددت مقابلة بين كيسنجر وابا ايبان ، وقد علمت فيما بعد ان كيسنجر قال لايبان ان الاسرائيليين متفوقون ، ومن هنا لابد ان تأتى مبادرة حل المشكلة من جانبهم ، لانه من العسير على العرب وهم مهزومون أن يتخذوا الاجراء الذى يؤدى الى حل المشكلة .

واضاف كيسنجر ان امريكا على استعداد للقيام بدور ايجابى فى هذا السبيل ، وخاصة ان الانتخابات الامريكية كانت على الابواب .

ولكن جاء رد ابا ايبان بالغا فى الغرابة — كما سمعت به — اذ تساءل ايبان بدهشة : لماذا يتحتم على اسرائيل ان تتقدم بمبادرة بينما لن تقوم للعرب اى قائمة سياسية او عسكرية على مدى الخمسين سنة القادمة ! .. ثم نصح ايبان كيسنجر الا تضيع امريكا وقتها فيما لا فائدة منه ، فاسرائيل تعرف جيدا كيف تتعامل مع العرب الذين لا يخضعون الا لمنطق القوة والردع والقهر الذى تمارسه اسرائيل عليهم من وقت لاخر ، حتى لا يظنوا فى يوم من الايام انه سوف تقوم لهم قائمة .

قال ايبان هذا الكلام وهو لايدرك انه بعد ٤٨ ساعة بالضبط سيفتح الجحيم ابوابه لاسرائيل وغرورها ، وانها ستصرخ بعد اربعة ايام مستنجدة بامريكا لكى تنقذها من هؤلاء الذين لن تقوم لهم قائمة .

ويبدو ان كيسنجر قد صدق ايامها كلام ايبان لان الواقع كان يؤكد صحة ما يقول .

وكان كيسنجر قد قابل حافظ اسماعيل مرتين بناء على الدعوة التى وجهها له ولم يحدث اى تطور نتيجة هذين الاجتماعين ، لان الواقع بكل ابعاده كان يفرض نفسه بكل قوة . وكان كيسنجر يدرس احتمالات قضية الشرق الاوسط لكى يجرب دبلوماسيته فيها .

وعندما علم كيسنجر بخبر اندلاع المعارك فى سيناء اعتقد اننى ارتكبت خطأ كبيرا باعلانى هذه الحرب ، وان اسرائيل ستقضى لا محالة على كل قواتى ، وبالتالى ستقضى على كل فرص الوصول الى حل سلمى مهما كانت ضئيلة .

وكان كيسنجر يرى فى السياسة المصرية الجديدة سياسة منطقية يمكن بمقتضاها التوصل الى حل سلمى معقول ، وخاصة بعد أن قدمت مبادرتى التى اعربت فيها من شروطى لعقد اتفاق سلام مع اسرائيل ولا يعنى هذا ان امريكا كانت مستعدة لان تمنحنا شيئا رغم انف اسرائيل ولكنها كانت تتحرك فى حدود الواقع المادى الملموس اما تحرير الارض فمهمة ملقاة على عاتقنا وحدنا ولن يساهم احد فيها الا اذا اثبتنا نحن جدارتنا العملية فى هذا المضمار . وقد حكيت قصة رأى كيسنجر عند مقابلته لحافظ اسماعيل فى حديثى للشعب يوم ٢٨ سبتمبر الماضى .

المفاجأة الكبرى

واتصل كيسنجر بالرئيس الامريكى نيكسون وابلغه اسفه الشديد لاندلاع المعارك فى الشرق الاوسط ، وان تقديره للموقف ان اسرائيل ستنتصر انتصارا خرافيا اكبر من انتصارها فى عام ١٩٦٧ ، وتأكدت ظنون كيسنجر عندما اتصلت بهم اسرائيل تطلب من امريكا مهلة يومين لتحطيم عظام العرب فى مصر وسوريا وتحفظ حقها عند امريكا فى استعواض الاسلحة التى ستفقدها فى الحرب .

وكانت المفاجأة الكبرى عند كيسنجر ، عندما تلقى استغاثة اسرائيل الشهيرة بعد اربعة ايام من الحرب : انقذوا اسرائيل ..

هنا ادرك كيسنجر — وكل امريكا — ان مركز الثقل قد انتقل نهائيا الى مصر وعليها ان تتعامل مع مصر التى استعدت للتعامل معها معاملة الند للند .

لقد اثبتت مصر قدرتها على ان تورط الولايات المتحدة مع حليفتها باعلان حالة التعبئة الذرية بدون استشارتهم واستطاعت ان تكسب الرأى العام العالمى كله بجانبها بعد ان كانت قد خسرته بعد حرب سنة ١٩٦٧ ، كذلك كشفت مصر الغطاء من حقيقة الوفاق بين القوتين العظميين .

ومن هنا سارعت امريكا بالتحرك ، وجاء كيسنجر فى نوفمبر والتقيت به لاول مرة ، وبدأ الحديث معى فى الجيب الاسرائيلى ، فافهمته بصراحة ان هذا الجيب تحت رحمتى ويمكنى القضاء عليه متى شئت ، عندئذ دخل معى كيسنجر فى حوار مباشر وصريح ، اتفقنا فيه على محادثات الكيلو ١٠١

○ البقية غدا ○

٨

البيت الأبيض.. بعد كل هذا[١]

عادت العلاقات بين مصر وأمريكا بفضل المساعى التي قام بها كيسنجر، وأراد نيكسون أن يتوج هذا الإنجاز بزيارة للمنطقة يواجه بها حادث ووترجيت[٢] الذى طغى على معظم جوانب الحياة السياسية في أمريكا.

وكان نيكسون - من خلال كيسنجر - قد ترك بصماته واضحة على سياسة الوفاق الجديدة بين الولايات المتحدة وكل من الصين والاتحاد السوفيتى، كذلك تمكن من إنهاء حرب فيتنام التي تورطت فيها أمريكا طول عقد الستينات وأوائل السبعينات، ولم يبقى سوى الشرق الأوسط لكي يثبت فيه نيكسون جدارته السياسية لعله يطمس معالم فضيحة ووترجيت التي بدأت تطارده ولذلك قرر نيكسون زيارة المنطقة بادئًا بمصر ثم السعودية فسوريا فالأردن فإسرائيل.

جاء نيكسون إلى مصر، ولم يكن يخطر ببالى قط أن الشعب سوف يستقبله ذلك الاستقبال الأسطورى فلم يكن أحد يتوقع هذا الاستقبال بل أكثر من ذلك فلقد طلب رجال الأمن المرافقون له ألا يركب سيارة مكشوفة خوفًا عليه نتيجة فكرتهم التقليدية عن روح العداء التي سادت العلاقات المصرية الأمريكية مدة طويلة وخاصة بعد هزيمة ١٩٦٧.. ولكن الجميع ذهلوا منذ بدأ الموكب يتحرك من المطار وحتى قصر القبة.



خرج شعب مصر فى تلقائية لتحية الرئيس نيكسون عند وصوله إلى قصر القبة.. وذلك تعبيرًا عن رغبته فى الانفتاح على العالم الخارجى.. وتعبيرًا عن ضيقه من معاملة الاتحاد السوفيتى

لقد خرج الشعب في تلقائية عجيبة مُعبرًا عن رغبته العارمة في الانفتاح على العالم الخارجي بعيدًا عن القيود والرواسب والعقد التي عاقت مسيرته مدة طويلة.. كان الاستقبال حارًا ومتدفقًا بحيث لا يستطيع أحد أن يدعى أن الاتحاد الاشتراكى مثلا قد

---

(١) الأهرام السبت ٢٥ أكتوبر ١٩٧٥م - ٢١ شوال ١٣٩٥هـ

(٢) فى عام ١٩٦٨م فاز الرئيس ريتشارد نيكسون بصعوبة أمام منافسه الديمقراطى "همفرى" بفارق ١,٥٪ من الأصوات.. مما جعل الرئيس ريتشارد نيكسون أثناء انتخابات التجديد للرئاسة عام ١٩٧٢م يقرر التجسس على مكاتب الحزب الديمقراطي المنافس في مبنى ووترجيت. وفي ١٧ يونيو ١٩٧٢ ألقي القبض على خمسة أشخاص في واشنطن بمقر الحزب الديمقراطي وهم يضعون أجهزة تسجيل للتجسس.. وكانت نتيجة هذه الفضيحة هى استقالة ريتشارد نيكسون فى أغسطس عام ١٩٧٤م ليتولى نائبه جيرالد فورد الرئاسة حتى نهاية المدة.

باشر نفوذه كتنظيم سياسي ودفع كل هذه الجموع الغفيرة لكي تخرج على هذا الشكل الأسطورى.. فإذا كان من الممكن دفع الجماهير إلى الشوارع فإنه من المستحيل انتزاع هذه الهتافات الحارة وإذا كان من المستطاع إيقاف الجماهير على جانبي الطريق فإنه من غير الممكن إخراجهم إلى النوافذ والشرفات لتحية الرئيس الأمريكي بهذه الصورة.

هذا السلوك يُعد أكبر دليل على وعى شعبنا العميق بالتاريخ والحضارة، فهو شعب لا يُعادى من أجل العداء، ولكن من أجل الكرامة والعزة، وطالما أن أسباب العداء والانتقام كما أنه قادر على الصداقة والصفح.

وفي اعتقادى أن الشعب بهذا الاستقبال أراد أن يُعبر عن ضيقه البالغ من المعاملة المُغرضة والمريبة التي دأب الاتحاد السوفيتي على انتهاجها معنا سواء مع عبد الناصر أو معي، فكان من خلال ترحيبه الحار بنيكسون يقول للسوفيت أننا لا نقبل أن نعيش تحت رحمة أحد مهما كان.

أكدت أن قضية فلسطين هي الأساس

عندما وصلنا إلى قصر القبة ألقى كل منا كلمة، ثم أقيمت في المساء مأدبة عشاء في قصر القبة وأثناء العشاء تبادلنا الخُطب، وأكدت في خطبتى أن القضية الفلسطينية هي أساس المشكلة في الشرق الأوسط وإذا لم تحل هذه القضية فلا حل محتمل لمشكلة الشرق الأوسط، وقد علق بعض المراقبين السياسيين على تأكيدى هذا بأننى أضاعف من صعوبة مهمة نيكسون، ووضعه في مأزق يصعب الخروج منه، ولكن نيكسون ولم يكن من هؤلاء الساسة الذين يقيسون كل كلمة وكل موقف بحساسية لا لزوم لها، ولذلك قال في خطابه الذى رد به على وارتجل ردًا موضوعيً لمس فيه كل جوانب القضية. وكانت عادته في الارتجال تدل على فكرة المنطلق وقدرته على الإلمام بعناصر الموضوع دون جهد يُذكر..


جماهير الشعب تحيى الرئيسان على طول الطريق من القاهرة إلى الإسكندرية

وبعد العشاء شاهد نيكسون ومرافقوه حفلا فولكلوريًا صغيرًا بينما كان القمر الصناعى ينقل كل ما دار في العشاء والحفل من خلال محطة من محطات القمر الصناعى وحضرها الوفد الأمريكي

معه.

وكما كان مقررًا في برنامج الزيارة ركبنا القطار في اليوم التالى من محطة قصر القبة في طريقنا إلى الإسكندرية. وما حدث في القاهرة من استقبال حافل وحار لا يمكن أن يُقاس بروعة ما رأيناه على طول الطريق من القاهرة إلى الإسكندرية، فقد تحول الطريق إلى حناجر مدوية وهتافات حارة وأعلام خفاقة ومع ذلك فما حدث في الإسكندرية كان فوق الوصف والتخيل، فقد قوبل موكب نيكسون من سيدى جابر إلى قصر رأس التين بحفاوة لا أعتقد أن الإسكندرية شهدت لها مثيلا من قبل.

ولم يعرف الأمريكان أننى كنت أكثر ذهولا منهم لهذا الاستقبال الحافل، والتفسير الوحيد كما قلت أن شعبنا الذى يعرف الحضارة الإنسانية منذ سبعة آلاف سنة سرعان ما ينسى الأحقاد لكى يركز كل طاقته في استمرار مسيرته الحضارية وخاصة بعد أن وقفت أمريكا جانبًا في فض الاشتباك وعادت العلاقات الطبيعية بيننا.

ولقد أعلنت رسميًا أثناء اللقاء أن سلوك الأمريكان معنا كان مثالا للأمانة والرغبة المخلصة في الوصول إلى حل مشرف لقضية الشرق الأوسط، ويجب ألا نتعجب كيف رحب الشعب المصرى هذا الترحيب الهائل بالرئيس نيكسون حتى قبل أن نجتمع أو نتباحث أو نصل إلى أي اتفاق، فالمسألة - في رأيى - هي توجيه حديث ذكى وغير مباشر إلى الاتحاد السوفيتى حتى يتأكد من فشل سياسته تمامًا في الشرق الأوسط.

وهنا أحب أن أسجل بمناسبة هذا الحديث أن كل قراراتي السياسية والعسكرية المصيرية استلهم فيها روح الحضارة التي تميز الوعى العميق لشعبنا العريق فعندما أعلنت مبادرتي في فبراير ١٩٧١، وأنهيت سيطرة مراكز القوى في مايو ١٩٧١، وضعت حدًا لمهمة الخبراء السوفيت في يوليو ١٩٧٢، وغير ذلك من القرارات المصيرية، سرعات ما فهمها الشعب وأدرك الأسباب الموضوعية التي أدت إلى تلك القرارات.. وشعب بهذا الوعى العميق والذكاء النادر لا يمكن أن يخضع لأية قوة في التاريخ مهما كانت غاشمة.

وصلنا إلى قصر رأس التين وفى المساء أقام نيكسون مأدبة عشاء ردًا على العشاء الذى أقمته في قصر القبة وكانت المأدبة أمريكية مائة في المائة.. تم إحضار الأطعمة كلها بالطائرة من الولايات المتحدة، في الوقت الذى قام فيه بحارة سفينة من سفن الأسطول الأمريكي بخدمة المدعوين وكانت هذه السفينة قد جاءت خصيصًا إلى الإسكندرية قبل وصول نيكسون بوقت قصير خصيصًا لهذه المهمة، كذلك كانت هناك فرقة موسيقية أمريكية وصلت على الطائرة التي أحضرت الأطعمة للعزف أثناء العشاء. كان الجو وديًا للغاية، ولم يفارق نيكسون الذهول طوال الزيارة بسبب الاستقبال الهائل الذى استقبل به، وقد انتاب نفس الشعور كل المعلقين والصحفيين

ورجال الأمن الذين رافقوا نيكسون والذين نسوا الحديث عن الأمن وإجراءاته من شدة انبهارهم بما كان يحدث أمامهم.

محادثاتى مع نيكسون


الرئيسان أثناء محادثاتهما

استمرت المحادثات في القطار وفى المعمورة قبل العشاء. كانت كلها تدور حول حتمية الاحتفاظ بقوة الدفع الدائمة واللازمة لعملية السلام، وكان نيكسون يبدو واثقًا من نفسه ومن مستقبله السياسى ولم يكن يعطى أهمية لحادث ووترجيت، وأكد أنها لا تسبب له أي إزعاج بالمرة، وأنه قرر الاستمرار في منصبه إلى تنتهى مدته الدستورية.

نقاط الاتفاق

وكان المهم عندى أن نصل إلى اتفاق بخصوص بعض النقاط:

* الأولى: تختص بالمرحلة التالية لفض الاشتباك الذى تم حتى تحتفظ عملية السلام بقوة الدفع اللازمة لاستمرارها..

* والثانية: تدور حول الناحية الاقتصادية التي استحوذت على جزء كبير من اهتمامى لأننا ظللنا بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ وإلى أن زارنا نيكسون ونحن نسير بقوة الدفع التي نتجت عن المبالغ التي دفعها لنا الأشقاء العرب بعد المعركة مباشرة والتي كان الفضل فيها للسعودية والكويت وأبو ظبى وقطر وهى الدول التي دفعت بأسلوب يعجز الإنسان عن التعبير عنه تقديرًا ولما قدمته طواعية واختيارًا، فقد أعطتنا السعودية ٢٠٠ مليون دولار، والكويت ٢٠٠ مليون دولار، أما أبو ظبى فلم يكن لديها في خزانتها ما تساهم به في الدعم لأنها كانت قد أممت شركات البترول ودفعت لها قيمة الأسهم، وحاولت أن تقترض من أمريكا فلم تقبل، ولكن الشيخ زايد[1] استطاع أنا يقترض ١٠٠ مليون دولار من بريطانيا وقدم المبلغ لمصر دون انتظار لكلمة شكر واحدة وضرب بذلك مثلا للشهامة العربية عندما تتجلى في أروع صورها.

---

(1) الشيخ زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة بن شخبوط بن ذياب بن عيسى بن نهيان آل نهيان: ولد فى ٦ مايو ١٩١٨م.. تولى حكم دولة الإمارات العربية المتحدة فى الفترة من ١٩٧١م وحتى وفاته فى ٢ نوفمبر ٢٠٠٤م

كنا نسير اقتصاديًا بالقصور الذاتي، وكانت المبالغ العربية كفيلة بأن تجنبنا مرحلة الإفلاس، ولكنها لم تكن كافية لكي يقف اقتصادنا على قدميه مرة أخرى، وهذا أمر ترجع جذوره إلى ما قبل المعركة بكثير، ترجع إلى بداية الستينات ومنذ وزارة على صبرى فقد تراكمت المشكلات وتوالت العقبات، وبدلا من حلها أولا بأول كانت ترحل من وزارة إلى أخرى، أي من وزارة على صبرى، إلى وزارة زكريا محيى الدين، إلى وزارة صدقى سليمان[1]، واستمر الحال على هذا المنوال حتى انهار البناء الاقتصادى الأساسى للدولة كلها، وجاءت السنوات السبع العجاف لكي تقضى على ما تبقى في الخزانة المصرية..

في ضوء كل هذه الحقائق كانت الناحية الاقتصادية هي الضرورة المُلِحة والتالية مباشرة لاستمرار عملية السلام.

* أما النقطة الثالثة التي ناقشتها مع نيكسون فقد كانت خاصة بالمفاعل الذرى الذى طلبنا من أمريكا أن تقيمه لنا بالقرب من الإسكندرية لتحويل مياه البحر إلى مياه عذبه حتى يمكننا زراعة الصحراء التي تشكل حوالى ٩٦٪ من مساحة بلدنا بينما لا تزيد المساحة الخضراء عن ٣٪ أو ٤٪ على أكثر تقدير.

* أما النقطة الرابعة في محادثاتى مع نيكسون فقد طلبت شراء أسلحة بطريقة مباشرة ودون أية وساطة وقد كانت هناك احتمالات شراء تلك الأسلحة من أمريكا عبر السعودية وإيران، وقد رحبت الدولتان بهذه المهمة وقد شكرتهما على موقفهما الطيب والأخوى ولكننى أبلغتهما أنه قد آن الآن للتعامل مع أمريكا بدون وسيط، وخاصة بعد قرار بتنويع مصادر الأسلحة والذى تمكنا بعده من شراء أسلحة من فرنسا، وأيضًا فنحن نشترى من بريطانيا بعض المعدات الإلكترونية وأجهزة ضبط التنشين وإدارة النيران وغيرها من الأجهزة الحديثة.

رفض إنهاء حالة الحرب

ولقد وجدت من نيكسون تفهمًا كاملا للنقاط الأربع التي ناقشتها معه..

اتفقنا تمامًا على النقطة الأولى التي تحدد المرحلة التالية لانسحاب إسرائيل في سبتمبر أو أكتوبر التالى على الأقل ولابد أن تشمل المضايق وآبار البترول وذلك لتهيئة الجو لعقد مؤتمر جنيف.

ولقد أفهمت نيكسون بمنتهى الصراحة والوضوح أنه وهو بصدد زيارته لإسرائيل سيتعرض لإلحاح من جانبهم لإنهاء حالة الحرب وقلت له أننى لست مستعدًا على

---

(١) محمد صدقى سليمان: ولد ١٩١٩م.. تولى رئاسة الوزراء فى الفترة من ١٠ سبتمبر ١٩٦٦م وحتى ١٩ يونيو ١٩٦٧م.. وتوفى ٢٨ مارس ١٩٩٦م

الإطلاق لمناقشة هذا الموضوع إلا في حالة واحدة هي عندما نصل إلى الحل النهائي في مؤتمر جنيف، فبعد هذه المرحلة يمكن إنهاء حالة الحرب، أما قبول إنهاء حالة الحرب في أي مرحلة من المراحل بينما يحتل الإسرائيليون أجزاء من الأراضى العربية فهذا لا يعنى إلا أننا موافقون على استمرار احتلالهم بدليل أننى أنهيت الحرب وهم ما زالوا متواجدين في الأراضى العربية.

وافقنى نيكسون تمامًا على هذه النقطة..

أما بالنسبة للنقطة الثانية وهى التي تتعلق بالنواحى الاقتصادية فقد صارحنى بأن الولايات المتحدة تمر بظروف اقتصادية صعبة، نتجت عن التضخم والبطالة وقد ساهم حظر البترول العربى في مضاعفة تلك المصاعب الاقتصادية ولذلك فلن تستطيع الولايات المتحدة أن تساعدنا بمبلغ مباشر كبير ولكنها تستطيع أن تدفع بأصدقائها مثل ألمانيا الغربية واليابان إلى المساهمة في الدعم الاقتصادى لمصر، هذا طبعًا بالإضافة إلى ما نحصل عليه من الدول العربية.

أما بالنسبة للنقطة الثالثة التي تنص على قيام أمريكا بإنشاء مفاعل ذرى في مصر فقد عليها نيكسون وتمت فعلا إجراءات الإنشاء الأولية مثل دفع ثمن الوقود النووي حتى يصبح التعاقد ساريًا، وقائمًا بيننا.

أما بالنسبة للنقطة الرابعة وهى الخاصة بشراء أسلحة من أمريكا فقد أكد لى نيكسون أنه بمجرد أن تتم الخطوة الثانية من فض الاشتباك، فإن الرئيس الأمريكي يصبح فورًا في الوضع الذى يُمَكِنه من الحصول على موافقة الكونجرس، وهى موافقة ضرورية في هذا الشأن، ولابد أن يراعى أي رئيس إمكانيات واحتمالات الحصول عليها، وبعد فض الاشتباك سيكون الجو كله مهيأ للتعامل في الأسلحة. وبالفعل قدمت إلى كل من نيكسون وكيسنجر كشف الأسلحة بكل المفردات المطلوبة.

ماذا فعلت إسرائيل؟

كان من الواضح تمامًا أن زيارة نيكسون قد حققت كل أغراضها، وتم خلالها الاتفاق على كل النقاط التي أثيرت في محادثاتى مع نيكسون وكيسنجر.. وهذا بالطبع أمر لم يجد قبولا لدى إسرائيل التي عاشت طفلا مدللا لأمريكا حوالى ربع قرن.. وقد نيكسون مشروع إنشاء المفاعل الذرى الذى وعد به إلى الكونجرس ومعه مشروع بمفاعل ذرى لإسرائيل - التي تملك ثلاثة مفاعلات ذرية. ورفضت إسرائيل قبول المفاعل الذرى الجديد وكانت النتيجة توقف مشروع مفاعلنا الذرى في الكونجرس لارتباطه بالمفاعل الإسرائيلي، هذا بالإضافة إلى المعركة المريرة التي بدأت نذرها تتطاير في الجو بين نيكسون والكونجرس في وقت مبكر لم يكن في حسابنا على الإطلاق.

قالوا لى أن نيسكون سيعتزل

وللحقيقة والتاريخ، فقد سمعت من المعلقين والصحفيين الأمريكيين المهمين من أمثال وولتر كرونكايت[١] وغيره من الذين رافقوا نيكسون لتغطية جولته في الشرق الأوسط أن نيكسون سيعتزل لا محالة شاء أو لم يشأ.. وبالرغم من ذلك فقد كان نيكسون في حديثه معي مطمئنًا للغاية على مستقبله السياسى.

وهنا لابد من سؤال هام وحيوى يحتاج إلى الإجابة:

- هل كان سليمًا أن نتعامل مع نيكسون حتى مع علمنا بأنه سيعتزل في القريب العاجل؟

وهنا يجب أن نضع في اعتبارنا ونحن نجيب على هذا السؤال أننا لا نتعامل مع نيكسون ولكننا نتعامل مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.. أي أننا نتعامل مع أمريكا من خلاله، ومن هنا فمن المفروض أن نستمر في تعاملنا معه حتى نبقى حلقة الاتصال مع أمريكا في أيدينا طالما أن الفرصة موجودة وطالما أن أوراق هذه اللعبة وهذا الصراع الدائر في الشرق الأوسط بين العرب وإسرائيل كلها بين يدى أمريكا على اعتبار أنها صاحبة الأمر والنهى بالنسبة لإسرائيل التي تعيش عالة عليها ابتداء من رغيف العيش والزبد إلى المدفع والطائرة، حتى أن عجز الميزانية في إسرائيل وتعتبره أمريكا ضمن مسئوليتها القومية..

وعلى هذا فسواء شئنا أو لم نشأ، رضينا أم لم نرض فإن مفتاح الموقف كله في يد أمريكا ونيكسون ما زال رئيسًا لأمريكا، فكيف أوقف التعامل معه حتى مع علمي المسبق أنه سوف يعتزل في خلال شهر أو شهرين..

التعامل معه يعطى الفرصة للاستمرار أي بمعنى أنه لو اعتزل أستطيع أن أواصل التعامل مع خلفه.. هذه هي المبادئ الأولية للاستراتيجية الشجاعة التي ترفض دفن رأسها في الرمال كالنعامة.

الالتواء.. والمزايدة

من هنا يتكشف لنا الالتواء والمزايدة والروح العنترية الفارغة وكل الأعراض المرضية التي تنتاب بعض السلطات العربية والتي لم نستطع التخلص منها بعد. فقد تعود بعض العرب أن يتغذوا على الخطب والبيانات والتصريحات والهتافات

---

[١] وولتر (والتر) ليلاند كرونكايت: مذيع أمريكى ولد فى ٤ نوفمبر ١٩١٦م.. كان من أفضل مذيعى أخبار محطة سى بى سى إيفيننج نيوز لمدة ١٩ عام من ١٩٦٢م وحتى ١٩٨١م... وكان عادة يلقب بـ "أصدق رجل فى أمريكا". توفى فى ١٧ يوليو ٢٠٠٩م

والشعارات واللافتات والانفعالات الهوجاء التي تزيد الأمور تعقيدًا بدلا من البحث العملي عن حل عملي. وأصبحت الحجة المفضلة التي يدارون بها عجزهم عن مواجهة الواقع هي رفضه، ورفض الواقع لا يعنى بالضرورة التحلل منه أو تغييره فهناك حسابات ودراسات لابد أن تجرى حتى يتم تغيير الواقع لصالحنا، أما عنتريات الجاهلية العربية فقد مضى أو أنها بعد حرب أكتوبر وآن للعرب جميعًا أن يتحدثوا بلغة العصر الذى يفهمها العالم وهى اللغة التي تحتم تعاملنا مع الزعماء الذين يمكن أن يُساهموا في حل مشكلتنا وكان الرئيس نيكسون من هؤلاء الزعماء دون شك.

في صباح اليوم الثالث من زيارة نيكسون ركبنا سويًا طائرة الهليكوبتر من قصر رأس التين واتجهنا إلى الهرم في الجيزة فلم يكن من المتصور أن يزور نيكسون مصر دون أن يتضمن برنامجه زيارة الأهرامات.. وبعد انتهاء الزيارة والتقاط الصور التاريخية فيها توجهنا إلى قصر عابدين وإذا بالقاهرة كلها تخرج من بكرة أبيها مرة أخرى بصورة مذهلة بالفعل..

وكان المفروض أن نركب سيارة مغلقة لأن الوقت كان ظهرًا والجو كان حارًا ولكننا اضطررنا إلى ركوب سيارة مكشوفة عندما بلغنا نفق الهرم حيث وجدنا أن شارع الهرم - برغم أنه كان جمعة والسكان فيه قليلون - لم يكن في الشارع موطئ لقدم على جانبيه فكيف يكون الحال داخل المدينة..

استبدلنا العربة المغلقة بالعربة المكشوفة عند النفق وحدث ما توقعته تمامًا.. هرع أهالى القاهرة - برغم العطلة الأسبوعية كما قلت - وهو حر الصيف ولهيب الظهيرة إلى الشوارع والشرفات والنوافذ بطول الطريق حتى قصر عابدين فما زال شعبنا الواعي الذكي يريد أن يؤكد للعالم أجمع أننا لا نتبع السوفييت ولا غير السوفييت فنحن أصدقاء الكل لأننا أسمى وأعلى من أي انحياز أو تبعية أو وصاية.

أول بيان مشترك مع أمريكا

بعد استراحة قصيرة في قصر عابدين أتممنا محادثاتنا وانتهينا إلى الخطوط الرئيسية التي تمثلت في النقاط الأربع الت تناولها بالتحليل من قبل، ثم عقدنا مؤتمرًا صحفيًا أذيع فيه البيان المشترك الذى تعهد فيه الرئيس الأمريكي نيكسون بمساعدات على مدى طويل تصل إلى حوالى ٢ مليار دولا وهى مساعدات ليست نقدية ولكنها تسهيلات من شأنها دعم الاقتصاد المصرى وتدعيم الصداقة المصرية الأمريكية.

كذلك ذكر البيان المشترك مشروع المفاعل الذرى.

أما مسألة التحرك لحل القضية فقد ذكرها البيان في عبارات عامة لأنها تحتاج إلى مباحثات ودراسات خارج نطاق البيان.

كذلك لم يذكر البيان شيئًا عن النقطة الرابعة الخاصة بالتسليح الأمريكي للقوات المصرية حتى لا تتحرك إسرائيل ضد نيكسون في الكونجرس وتعرقل مهمته.

سافر نيكسون بعد الأيام الثلاثة الأولى التي قضاها في مصر إلى السعودية حيث قضى فيها يومًا واحدًا ومثله في كل من سوريا والأردن وإسرائيل.

في إسرائيل وفى الرجل بوعده، فلم يكن خائفًا ومن شيء فقد كان رئيسًا قويًا بمعنى الكلمة ولو بقى في منصبه إلى نهاية مدته لكانت الخطوة الثانية من فض الاشتباك قد تمت في سبتمبر أو أكتوبر ١٩٧٤ على أكثر تقدير..

نيكسون في إسرائيل

عندما وصل نيكسون إلى إسرائيل قال في أول خطاب له أن على الإسرائيليين أن يعدوا أنفسهم لاتخاذ قرارات قد تكون مؤلمة لهم.. قال ذلك بمنتهى الصراحة والوضوح مما يدل على حرصه واحترامه لكلمته واتفاقه معنا..

وهنا جن جنون الصهاينة من نيكسون وبدأوا يسرعون الخطى للخلاص منه.

عاد نيكسون بعد ذلك إلى أمريكا ثم قام بزيارة للاتحاد السوفيتى وعندما عاد إلى بلده تحولت قضية ووترجيت إلى حمى اجتاحت المجتمع الأمريكي كله، ومما لا شك فيه أن الأيدى الصهيونية لعبت دورها في هذا التحرك المحموم فقد وجد الصهاينة أن نيكسون قد بدأ في الضغط الفعلى عليهم دون خوف من الانتخابات واعتبروا البيان المصرى الأمريكي جرس انذار لتغييرات جوهرية في الوضع السائد في الشرق الأوسط.

وكانت إسرائيل قد انزعجت انزعاجًا لا يُوصف عندما فوجئت بالاستقبال الحماسى والتلقائى الذى أذهل به شعبنا نيكسون ومرافقيه حتى أنه قال لى أنه لم يلق في حياته مثل هذا الاستقبال وأضاف أعضاء الوفد المرافق له إلى ذلك أن هذا الاستقبال لم يحدث في التاريخ.

كل هذا دفع الصهاينة إلى التخلص السريع من نيكسون فلم يحتمل الأمر بضعة أسابيع قليلة بعد زيارته لمصر إلا وكان خارج البيت الأبيض..

وكان من بين أهداف إسرائيل التخلص أيضًا من كيسنجر الذى كان من المتوقع أن يعتزل بعد فضيحة نيكسون فهو الشاهد الباقي الوحيد على هزيمة إسرائيل الفاضحة في أكتوبر ١٩٧٣، ولذلك أصبح هدفًا لحملات مسعورة تهدف إلى التخلص منه وتعيين وزير خارجية جديد، وحتى يكسبوا الوقت لحين الوصول إلى سنة الانتخابات وهذا هو السبب الذى جعلهم يستميتون في القضاء على مهمة كيسنجر في مارس ١٩٧٥..

كنا نستطيع أن نشترى السلاح من أمريكا عبر السعودية وايران ولكنى كنت أريد التعامل بلا وسيط

مذكرات الرئيس السادات



البيت الابيض .. بعد كل هذا

● ٤ نقاط حددتها قبل أن أبدأ حديثى مع نيكسون

● جذور الأزمة الاقتصادية فى مصر ترجع الى بداية الستينات

● اسرائيل تملك ٣ مفاعل ذرية ورفضت الرابع حتى لايوافق الكونجرس على اعطائنا مثله

● زيارة نيكسون وأزمة «ووترجيت -

عادت العلاقات بين مصر وامريكا بفضل المساعى التى قام بها كيسنجر ، واراد نيكسون ان يتوج هذا الانجاز بزيارة للمنطقة يواجه بها حادث ووترجيت الذى طغى على معظم جوانب الحياة السياسية فى امريكا .

وكان نيكسون — من خلال كيسنجر — قد ترك بصماته واضحة على سياسة الوفاق الجديدة بين الولايات المتحدة وكل من الصين والاتحاد السوفيتى ، كذلك تمكن من انهاء حرب فيتنام التى تورطت فيها امريكا طول عقد الستينات واوائل السبعينات ، **ولم يبق سوى الشرق الاوسط لكى يثبت فيه نيكسون جدارته السياسية لعله يطمس معالم فضيحة ووترجيت التى بدات تطارده ولذلك قرر نيكسون زيارة المنطقة بادئا بمصر ثم السعودية فسوريا فالاردن فاسرائيل .**

جاء نيكسون الى مصر ، ولم يكن يخطر ببالي قط ان الشعب سوف يستقبله ذلك الاستقبال الاسطورى فلم يكن لاحد يتوقع هذا الاستقبال بل اكثر من ذلك فلقد طلب رجال الامن المرافقون له الا يركب سيارة مكشوفة خوفا عليه نتيجة فكرتهم التقليدية عن روح العداء التى سادت العلاقات المصرية الامريكية مدة طويلة وخاصة بعد هزيمة ١٩٦٧ .. ولكن الجميع ذهلوا منذ بدأ الموكب يتحرك من المطار وحتى قصر القبة .



□ خرج شعب مصر فى تلقائية لتحية الرئيس نكسون عند وصوله الى قصر القبة .. وذلك تعبيرا عن رغبته فى الانفتاح على العالم الخارجى .. وتعبيرا عن غضبه من معاملة الاتحاد السوفيتى

لقد خرج الشعب فى تلقائية عجيبة معبرا عن رغبته العارمة فى الانفتاح على العالم الخارجي بعيدا عن القيود والرواسب والعقد التى عاقت مسيرته مدة طويلة .. كان الاستقبال حارا ومتدفقا بحيث لا يستطيع احد ان يدعى ان الاتحادالاشتراكى مثلا قد باشر نفوذه كتنظيم سياسي ودفع كل هذه الجموع الغفيرة لكي تخرج على هذا الشكل الاسطورى .. فاذا كان من الممكن دفع الجماهير الى الشوارع فانه من المستحيل انتزاع هذه الهتافات الحارة واذا كان من المستطاع ايقاف الجماهير على جانبي الطريق فانه من غير الممكن اخراجهم الى النوافذ والشرفات لتحية الرئيس الامريكى بهذه الصورة .

هذا السلوك يعد اكبر دليل على وعي شعبنا العميق بالتاريخ والحضارة ، فهو شعب لا يعادى من اجل العداء ، ولكن من اجل الكرامة والعزة لا وطالما ان اسباب العداء قد زالت فلا مبرر هناك لاستمراره لا فشعبنا قادر على العداء والانتقام كما انه قادر على الصداقة والصفح .

وفى اعتقادى ان الشعب بهذا الاستقبال اراد ان يعبر عن سخطه البالغ من المعاملة المفرضة والمريبة التى داب الاتحاد السوفيتى على انتهاجها معنا سواء مع عبد الناصر او معى ، فكان من خلال ترحيبه الحار بنيكسون يقول للسوفيت اننا لانقبل ان نعيش تحت رحمة احد مهما كان .

أكدت أن قضية فلسطين هى الاساس

عندما وصلنا الى قصر القبة التى كل منا كلمة ، ثم اقيمت فى المساء مأدبة عشاء فى قصر القبة واثناء العشاء تبادلنا الخطب ، **واكدت فى خطبتى ان القضية الفلسطينية هى اساس المشكلة فى الشرق الاوسط واذا لم تحل هذه القضية فلا حل محتمل لمشكلة الشرق الاوسط** ، وقد علق بعض المراقبين السياسيين على تأكيدى هذا باننى اضاعف من صعوبة مهمة نيكسون ، ووضعه فى مأزق يصعب الخروج منه ، ولكن نيكسون لم يكن من هؤلاء الساسة الذين يقيسون كل كلمة وكل موقف بحساسية لا لزوم لها ، ولذلك قال فى خطابه الذى رد به على وارتجل ردا موضوعيا لمس فيه كل جوانب القضية . وكانت عادته فى الارتجال تدل على فكره المنطلق وقدرته على الالمام بعناصر الموضوع دون جهد يذكر ..

وبعد العشاء شاهد نيكسون ومرافقوه حفلا فولكلوريا صغيرا بينما كان القمر الصناعى ينقل كل ما دار فى العشاء والحفل من خلال محطة من محطات القمر الصناعى وحضرها الوفد الامريكى معه .

وكما كان مقررا فى برنامج الزيارة ركبنا القطار فى اليوم التالى من محطة قصر القبة فى طريقنا الى الاسكندرية ، **وما حدث فى القاهرة من استقبال حافل وحار لا يمكن ان يقاس بروعة ما رايناه على طول الطريق من القاهرة الى الاسكندرية ، فقد تحول الطريق الى حناجر مدوية وهتافات حارة واعلام خفاقة ومع ذلك فما حدث فى الاسكندرية كان فوق الوصف والتخيل ، فقد قوبل موكب نيكسون من سيدى جابر الى قصر راس التين بحفاوة لا اعتقد ان الاسكندرية شهدت لها مثيلا من قبل .**

ولم يعرف الامريكان التى كنت اكثر ذهولا منهم لهذا الاستقبال الحافل ، والتفسير الوحيد كما قلت ان شعبنا الذى يعرف الحضارة الانسانية منذ سبعة آلاف سنة سرعان ما ينسى الاحقاد لكى يركز كل طاقته فى استمرار مسيرته الحضارية وخاصة بعد ان وقفت امريكا جانبنا فى فض الاشتباك وعادت العلاقات الطبيعية بيننا .

ولقد اعلنت رسميا اثناء اللقاء أن سلوك الامريكان معنا كان مثالا للامانة والرغبة المخلصة فى الوصول الى حل مشرف لقضية الشرق الاوسط ، ويجب الا نتعجب كيف رحب الشعب المصرى هذا الترحيب الهائل بالرئيس نيكسون حتى قبل ان نجتمع او نتباحث او نصل الى اى اتفاق ، فالمسالة — فى رايى — هى توجيه حديث ذكى وغير مباشر الى الاتحاد السوفيتى حتى يتاكد من فشل سياسته تماما فى الشرق الاوسط

وهنا احب ان اسجل بمناسبة هذا الحديث ان كل قراراتى السياسية والعسكرية المصيرية استلهم فيها روح الحضارة التى تميز الوعى العميق لشعبنا العريق فعندما اعلنت مبادرتى فى فبراير ١٩٧١ ، وانهيت سيطرة مراكز القوى فى مايو ١٩٧١ ، ووضعت حدا لمهمة الخبراء السوفيت فى يوليو ١٩٧٢ ، وغير ذلك من القرارات المصيرية ، سرعان ما فهمها الشعب وادرك الاسباب الموضوعية التى ادت الى تلك القرارات .. وشعب بهذا الوعى العميق والذكاء النادر لا يمكن ان يخضع لاية قوة فى التاريخ مهما كانت غاشمة .

وصلنا الى قصر راس التين وفى المساء اقام نيكسون مأدبة عشاء ردا على العشاء الذى اقمته له فى قصر القبة وكانت المائدة امريكية مائة فى المائة .. ثم احضار الاطعمة كلها بالطائرة من الولايات المتحدة ، فى الوقت الذى قام فيه بحارة سفينة من سفن الاسطول الامريكى بخدمة المدعوين وكانت هذه السفينة



□ الرئيسان اثناء محادثاتهما

قد جاءت خصيصا الى الاسكندرية قبل وصول نيكسون بوقت قصير خصيصا لهذه المهمة ، كذلك كانت هناك فرقة موسيقية امريكية وصلت على الطائرة التى احضرت الاطعمة للعزف اثناء العشاء . كان الجو وديا للغاية ، ولم يفارق نيكسون الذهول طوال الزيارة بسبب الاستقبال الهائل الذى استقبل به ، وقد انتاب نفس الشعور كل المعلقين والصحفيين ورجال الامن الذين رافقوا نيكسون والذين نسوا الحديث عن الامن واجراءاته من شدة انبهارهم بما كان يحدث امامهم .

محادثاتى مع نيكسون

استمرت المحادثات فى القطار وفى المعمورة قبل العشاء . كانت كلها تدور حول حتمية الاحتفاظ بقوة الدفع الدائمة واللازمة لعملية السلام ، وكان نيكسون يبدو واثقا من نفسه ومن مستقبله السياسى ولم يكن يعطى اهمية لحادث ووترجيت ، واكد انها لا تسبب له اى ازعاج بالمرة ، وانه قرر الاستمرار فى منصبه الى ان تنتهى مدته الدستورية .

نقاط الاتفاق

وكان المهم عندى ان نصل الى اتفاق بخصوص بعض النقاط :

□ **الاولى** : تختص بالمرحلة التالية لفض الاشتباك الذى تم حتى تحتفظ عملية السلام بقوة الدفع اللازمة لاستمرارها ..

□ **والثانية** : تدور حول الناحية الاقتصادية التى استحوذت على جزء كبير من اهتمامى لاننا ظللنا بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ والى ان زارنا نيكسون ونحن نسير بقوة الدفع التى نتجت من المبالغ التى دفعها لنا الاشقاء العرب بعد المعركة مباشرة والتى كان الفضل فيها للسعودية والكويت وابو ظبى وقطر وهى الدول التى

دفعت باسلوب يعجز الانسان عن التعبير عنه تقديرا ولما قدمته طواعية واختيارا ، فقد اعطتنا السعودية ٣٠٠ مليون دولار ، والكويت ٢٠٠ مليون دولار ، اما ابوظبى فلم يكن لديها فى خزانتها ما تساهم به فى الدعم لانها كانت قد ابتعت شركات البترول ودفعت لها قيمة الاسهم ، وحاولت ان تقترض من امريكا فلم تقبل ، ولكن الشيخ زايد استطاع ان يقترض ١٠٠ مليون دولار من بريطانيا وقدم المبلغ لمصر دون انتظار لكلمة شكر واحدة وضرب بذلك مثلا للشهامة العربية عندما تتجلى فى اروع صورها .

كنا نسير اقتصاديا بالقصور الذاتى ، وكانت المبالغ العربية كفيلة بان تجنبنا مرحلة الافلاس ، ولكنها لم تكن كافية لكى يقف اقتصادنا على قدميه مرة اخرى ، وهذا امر ترجع جذوره الى ما قبل المعركة بكثير ، ترجع الى بداية الستينات ومنذ وزارة على صبرى فقد تراكمت المشكلات وتوالت العقبات ، وبدلا من حلها اولا باول كانت ترحل من وزارة الى اخرى ، اى من وزارة على صبرى ، الى وزارة زكريا محيى الدين ، الى وزارة صدقى سليمان ، واستمر الحال على هذا المنوال حتى انهار البناء الاقتصادى الاساسى للدولة كلها ، وجاءت السنوات السبع العجاف لكى تقضى على ما تبقى فى الخزانة المصرية ..

وفى ضوء كل هذه الحقائق كانت الناحية الاقتصادية هى الضرورة الملحة والتالية مباشرة لاستمرار عملية السلام .

□ **اما النقطة الثالثة** التى ناقشتها مع نيكسون فقد كانت خاصة بالمفاعل الذرى الذى طلبنا من امريكا ان تقيمه لنا بالقرب من الاسكندرية لتحويل مياه البحر الى مياه عذبة حتى يمكننا زراعة الصحراء التى تشكل حوالى ٩٦٪ من مساحة بلدنا بينما لاتزيد المساحة الخضراء عن ٣٪ او ٤٪ على اكثر تقدير .

□ **اما النقطة الرابعة فى محادثاتى مع نيكسون فقد طلبت منه شراء اسلحة بطريقة مباشرة ودون اية وساطة وقد كانت هناك احتمالات شراء تلك الاسلحة من امريكا عبر السعودية وايران ، وقد رحبت الدولتان بهذه المهمة وقد شكرتهما على موقفهما الطيب والاخوى ولكننى ابلغتهما انه قد آن الاوان للتعامل مع امريكا بدون وسيط** ، وخاصة بعد قرارى بتنويع مصادر الاسلحة والذى مكننا بعده من شراء اسلحة من فرنسا ، وايضا فنحن نشترى من بريطانيا بعض المعدات الالكترونية واجهزة ضبط التنشين وادارة النيران وغيرها من الاجهزة الحديثة .

رفض انهاء حالة الحرب

ولقد وجدت من نيكسون تفهما كاملا للنقاط الاربع التى ناقشتها معه ..

اتفقنا تماما على النقطة الاولى التى تحدد المرحلة التالية لانسحاب اسرائيل فى سبتمبر او اكتوبر التالى على الاقل ولابد ان تشمل المضايق وآبار البترول وذلك لتهيئة الجو لعقد مؤتمر جنيف .

ولقد افهمت نيكسون بمنتهى الصراحة والوضوح انه وهو بصدد زيارته لاسرائيل سيتعرض لالحاح من جانبهم لانهاء حالة الحرب وقلت له اننى لست مستعدا على الاطلاق لمناقشة هذا الموضوع الا فى حالة واحدة هى عندما نصل الى الحل النهائى فى مؤتمر جنيف ، فبعد هذه المرحلة يمكن انهاء حالة الحرب ، اما قبول انهاء حالة الحرب فى اى مرحلة من المراحل بينما يحتل الاسرائيليون اجزاء من الاراضى العربية فهذا لا يعنى الا اننا موافقون على استمرار احتلالهم بدليل اننى انهيت الحرب وهم مازالوا متواجدين فى الاراضى العربية .

واقتنى نيكسون تماما على هذه النقطة ..

اما بالنسبة للنقطة الثانية وهى التى تتعلق بالنواحى الاقتصادية فقد صارحنى بان الولايات المتحدة تمر بظروف اقتصادية صعبة ، نتجت عن التضخم والبطالة وقد ساهم حظر البترول العربى فى مضاعفة تلك المصاعب الاقتصادية ولذلك فلن تستطيع الولايات المتحدة ان تساعدنا بمبلغ مباشر كبير ولكنها تستطيع ان تدفع باصدقائها مثل المانيا الغربية واليابان الى المساهمة فى الدعم الاقتصادى لمصر . هذا طبعا بالاضافة الى ما نحصل عليه من الدول العربية .

اما بالنسبة للنقطة الثالثة التى تنص على قيام امريكا بانشاء مفاعل ذرى فى مصر فقد وافق عليها نيكسون وتمت فعلا اجراءات الانشاء الاولية مثل دفع ثمن الوقود النووى حتى يصبح التعاقد ساريا ، وقائما بيننا .

اما بالنسبة للنقطة الرابعة وهى الخاصة بشراء اسلحة من امريكا فقد اكد لى نيكسون انه بمجرد أن تتم الخطوة الثانية من فض الاشتباك ، فان الرئيس الامريكى يصبح فورا فى الوضع الذى يمكنه من الحصول على موافقة الكونجرس ، وهى موافقة ضرورية فى هذا الشأن ، ولابد ان يراعى اى رئيس امكانات واحتمالات [illegible]

الحصول عليها ، وبعد فض الاشتباك سيكون الجو كله مهيا للتعامل فى الاسلحة . وبالفعل قدمت الى كل من نيكسون وكيسنجر كشف الاسلحة بكل المفردات المطلوبة

ماذا فعلت اسرائيل ؟

كان من الواضح تماما أن زيارة نيكسون قد حققت كل اغراضها ، وتم خلالها الاتفاق على كل النقاط التى اثيرت فى محادثاتى مع نيكسون وكيسنجر .. وهذا بالطبع امر لم يجد قبولا لدى اسرائيل التى عاشت طفلا مدللا لامريكا حوالى ربع قرن .. وقدم نيكسون مشروع انشاء المفاعل الذرى الذى وعد به الى الكونجرس ومعه مشروع بمفاعل ذرى لاسرائيل — التى تملك ثلاثة مفاعلات ذرية .ورفضت اسرائيل قبول المفاعل الذرى الجديد وكانت النتيجة ان توقف مشروع مفاعلنا الذرى فى الكونجرس لارتباطه بالمفاعل الاسرائيلى ، هذا بالاضافة الى المعركة المريرة التى بدات نذرها تتطاير فى الجو بين نيكسون والكونجرس فى وقت مبكر لم يكن فى حسابنا على الاطلاق .

قالوا لى أن نيكسون سيعتزل

وللحقيقة والتاريخ ، فقد سمعت من المعلقين والصحفيين الامريكيين المهمين من امثال وولتر كرونكايت وغيره من الذين رافقوا نيكسون لتغطية جولته فى الشرق الاوسط ان **نيكسون سيعتزل لا محالة شاء او لم يشأ .. وبالرغم من ذلك فقد كان نيكسون فى حديثه معى مطمئنا للغاية على مستقبله السياسى .**

وهنا لابد من سؤال هام وحيوى يحتاج الى الاجابة :

— هل كان سليما ان نتعامل مع نيكسون حتى مع علمنا بانه سيعتزل فى القريب العاجل ؟

وهنا يجب ان نضع فى اعتبارنا ونحن نجيب على هذا السؤال اننا لا نتعامل مع نيكسون ولكننا نتعامل مع رئيس الولايات المتحدة الامريكية .. اى اننا نتعامل مع امريكا من خلاله .ومن هنا فمن المفروض ان نستمر فى تعاملنا معه حتى تبقى حلقة الاتصال مع امريكا فى ايدينا طالما ان الفرصة موجودة وطالما ان اوراق هذه اللعبة وهذا الصراع الدائر فى الشرق الاوسط بين العرب واسرائيل كلها بين يدى امريكا على اعتبار انها صاحبة الامر والنهى بالنسبة لاسرائيل التى تعيش عالة عليها ابتداء من رغيف العيش والزبد الى المدفع والطائرة ، حتى ان عجز الميزانية فى اسرائيل وتعتبره امريكا ضمن مسئوليتها القومية ./.

وعلى هذا فسواء شئنا او لم نشأ ، رضينا أم لم نرض فان مفتاح الموقف كله فى يد امريكا ونيكسون ما زال رئيسا لامريكا ، فكيف اوقف التعامل معه حتى مع علمى المسبق انه سوف يعتزل فى خلال شهر او شهرين ..

التعامل معه يعطى الفرصة للاستمرار اى بمعنى انه لو اعتزل استطيع ان اواصل التعامل مع خلفه .. هذه هى المبادئ الاولية للاستراتيجية الشجاعة التى ترفض دفن راسها فى الرمال كالنعامة .

الالتواء .. والمزايدة

من هنا يتكشف لنا الالتواء والمزايدة والروح العنترية الفارغة وكل الاعراض المرضية التى تشاب بعض السلطات العربية والتى لم تستطع التخلص منها بعد . فقد تعود بعض العرب ان يتفقوا على الخطب والبيانات والتصريحات والهتافات والشعارات واللافتات والانفعالات الهوجاء التى تزيد الامور تعقيدا بدلا من البحث العلمى عن حل عملى . واصبحت الحجة المفضلة التى يدارون بها عجزهم عن مواجهة الواقع هى رفضه ، ورفض الواقع لا يعنى بالضرورة التحلل منه او تغييره فهناك حسابات ودراسات لابد ان تجرى حتى يتم تغيير الواقع لصالحنا ، اما عنتريات الجاهلية العربية فقد مضى اوانها بعد حرب اكتوبر وآن للعرب جميعا أن يتحدثوا بلغة العصر التى يفهمها العالم وهى اللغة التى تحتم تعاملنا مع الزعماء الذين يمكن ان يساهموا فى حل مشكلتنا وكان الرئيس نيكسون من هؤلاء الزعماء دون شك .

فى صباح اليوم الثالث من زيارة نيكسون ركبنا سويا طائرة الهليكوبتر من قصر راس التين واتجهنا الى الهرم فى الجيزة فلم يكن من المتصور أن يزور نيكسون مصر دون أن يتضمن برنامجه زيارة الاهرامات .. وبعد انتهاء الزيارة والتقاط الصور التاريخية فيها توجهنا الى قصر عابدين ولاول بالقاهرة كلها تخرج عن بكرة ابيها مرة اخرى بصورة مذهلة بالفعل ..

وكان المفروض ان تركب سيارة مغلقة لان الوقت كان ظهرا والجو كان حارا ولكننا اضطررنا الى ركوب سيارة مكشوفة عندما بلغنا نفق الهرم حيث وجدنا أن شارع الهرم — برغم انه كان يوم جمعة والسكان فيه قليلون — لم يكن فى الشارع موطىء لقدم على جانبيه فكيف يكون الحال داخل المدينة ..

○ البقيـة ص ٤ ○



□ جماهير الشعب تحيى الرئيسان على طول الطريق من القاهرة الى الاسكندرية

مذكرات الرئيس السادات



البيت الابيض .. بعد كل هذا

لم أكن أتعامل مع نيكسون ولكن مع رئيس الولايات المتحدة لذلك لم تهمنى ووترجيت

استبدلنا العربة المغلقة بالعربة المكشوفة عند النفق وحدث ما توقعته تماما .. هرع اهالى القاهرة — برغم العطلة الاسبوعية كما قلت — وحر الصيف ولهيب الظهيرة الى الشوارع والشرفات والنوافذ بطول الطريق حتى قصر عابدين **فما زال شعبنا الواعى الذكى يريد ان يؤكد للعالم أجمع اننا لا نتبع السوفييت ولا غير السوفييت فنحن اصدقاء الكل لاننا اسمى واعلى من اى انحياز او تبعية او وصاية .**

اول بيان مشترك مع أمريكا

بعد استراحة قصيرة فى قصر عابدين اتممنا محادثاتنا وانتهينا الى الخطوط الرئيسية التى تمثلت فى النقاط الاربع التى تناولها بالتحليل من قبل،ثم عقدنا مؤتمرا صحفيا اذيع فيه البيان المشترك الذى تعهد فيه الرئيس الامريكى نيكسون بمساعدات على مدى طويل تصل الى حوالى ٢ مليار دولار وهى مساعدات ليست نقدية ولكنها تسهيلات من شأنها دعم الاقتصاد المصرى وتدعيم الصداقة المصرية الامريكية .

كذلك ذكر البيان المشترك مشروع المفاعل الذرى .

اما مسالة التحرك لحل القضية فقد ذكرها البيان فى عبارات عامة لانها تحتاج الى مباحثات ودراسات خارج نطاق البيان .

كذلك لم يذكر البيان شيئا عن النقطة الرابعة الخاصة بالتسليح الامريكى للقوات المسلحة المصرية حتى لا تتحرك اسرائيل ضد نيكسون فى الكونجرس وتعرقل مهمته .

سافر نيكسون بعد الايام الثلاثة التى قضاها فى مصر الى السعودية حيث قضى فيها يوما واحدا ومثله فى كل من سوريا والاردن واسرائيل .

وفى اسرائيل وفى الرجل بوعده ، فلم يكن خائفا من شىء فقد كان رئيسا قويا بمعنى الكلمة ولو بقى فى منصبه الى نهاية مدته لكانت الخطوة الثانية من فض الاشتباك قد تمت فى سبتمبر او اكتوبر ١٩٧٤ على اكثر تقدير ..

نيكسون فى اسرائيل

عندما وصل نيكسون الى اسرائيل **قال فى اول خطاب له ان على الاسرائيليين ان يعدوا انفسهم لاتخاذ قرارات قد تكون مؤلمة لهم .. قال ذلك بمنتهى الصراحة والوضوح مما يدل على حرصه واحترامه لكلمته واتفاقه معنا ..**

وهنا جن جنون الصهاينة من نيكسون وبدأوا يسرعون الخطى للخلاص منه .

عاد نيكسون بعد ذلك الى امريكا ثم قام بزيارة للاتحاد السوفيتى وعندما عاد الى بلده تحولت قضية ووترجيت الى حمى اجتاحت المجتمع الامريكى كله ، ومما لا شك فيه ان الايدى الصهيونية لعبت دورها فى هذا التحرك المحموم فقد وجد الصهاينة ان نيكسون قد بدأ فى الضغط الفعلى عليهم دون خوف من الانتخابات واعتبروا البيان المصرى الامريكى جرس انذار لتغييرات جوهرية فى الوضع السائد فى الشرق الاوسط .

وكانت اسرائيل قد انزعجت انزعاجا لا يوصف عندما فوجئت بالاستقبال الحماسى والتلقائى الذى اذهل به شعبنا نيكسون ومرافقيه حتى انه قال لى انه لم يلق فى حياته مثل هذا الاستقبال واضاف اعضاء الوفد المرافق له الى ذلك ان هذا الاستقبال لم يحدث فى التاريخ .

كل هذا دفع الصهاينة الى التخلص السريع من نيكسون فلم يحتمل الامر بضعة اسابيع قليلة بعد زيارته لمصر الا وكان خارج البيت الابيض ..

وكان من بين اهداف اسرائيل التخلص ايضا من كيسنجر الذى كان من المتوقع ان يعتزل بعد نيكسون فهو الشاهد الباقى الوحيد على هزيمة اسرائيل الفاضحة فى اكتوبر ١٩٧٣ ، ولذلك اصبح هدفا لحملات مسعورة تهدف الى التخلص منه وتعيين وزير خارجية جديد ، وحتى يكسبوا الوقت لحين الوصول الى سنة الانتخابات وهذا هو السبب الذى جعلهم يستميتون فى القضاء على مهمة كيسنجر فى مارس ١٩٧٥ ..

○ البقيـة بعـد غـد ○

الأهرام السبت
٢٥ أكتوبر ١٩٧٥م
٢١ شوال ١٣٩٥هـ
الصفحة الرابعة

البيت الأبيض.. بعد كل هذا[١]

لا شك أن إسرائيل اعتبرت عزل نيكسون الذى أخذ ظاهريًا شكل الاستقالة كأنه انتصار لها، فلن يطالبها أحد بخطوة سريعة لأن الرئيس الأمريكي الجديد لابد وأن يحصل على فرصة لكي يدرس فيها الموقف من جديد. وخاصة أن الرئيس فورد[٢] الذى خلف نيكسون، رئيس غير منتخب وصل إلى هذا المنصب بالتعيين من الكونجرس، وليست له خبرة عميقة بالشئون الدولية لأنه سياسى محلى في المقام الأول. ومع ذلك يمكننى القول أننى بعد لقائى معه في سالزبورج اكتشفت أنه رجل شريف يتميز بخلق الفلاح الذى يقدس الالتزام والصراحة والصدق. وهو ليس من عينه السياسيين الملتوين أو من طراز رعاة البقر كجونسون مثلا. وبصفة عامة فالرئيس فورد وجه طيب أمريكا بخُلقه الدمث وتفكيره الذى يضع مصالح أمريكا في المقام الأول. وقد أصيب الصهاينة بخيبة أمل مرة أخرى عندما وجدوا أن الرئيس الأمريكي الجديد يهدف إلى تنفيذ سياسة أمريكية قومية وليست سياسة صهيونية عنصرية. ولذلك دأبوا على وضع العراقيل والعقبات في طريقه، ومنها على سبيل المثال إفشال مهمة كيسنجر في مارس ١٩٧٥.

كان عزل نيكسون سببًا في تأجيل الخطوة التالية من فض الاشتباك في سبتمبر أو أكتوبر عام ١٩٧٤. وبالطبع لم نطلب عقد مؤتمر جنيف لأن أمريكا لم تكن جاهزة. والعرب لم يتفقوا بعد على خطوط عريضة ونقاط أساسية تجعل منهم جبهة متماسكة ومتحدة في مواجهة ألاعيب إسرائيل داخل المؤتمر. أما الاتحاد السوفيتى فجاهز من بادئ الأمر لحضور المؤتمر وليس عليه إلا أن يقف ويزايد ويقول للشارع العربى أنه المدافع الوحيد عن الأمة العربية، بل وصل إلى حدود من المبالغة والتطرف بحيث يبدوا أكثر حرصًا على مصلحتها منها هي شخصيًا. وفى تقديره أنه من خلال هذا يستطيع استعادة مكانته التي فقدها في المنطقة نتيجة معاملته لمصر ونتيجة لإعلانه المتكرر عن بيع الأسلحة لنا تعويضًا عن خسائرنا، ورفضه للوفاء بالتزاماته تجاهنا. أي أن هدف الاتحاد السوفيتى من المؤتمر تمييع الموقف العربى كله وإظهاره أمام العالم بمظهر مفكك وضعيف حتى نعود إلى اللجوء إليه مرة أخرى راكعين وطالبين العفو والمغفرة وأكبر برهان على ذلك هو هذه المعاملة والتفرقة بين مصر وسوريا وكأن القضية العربية تخص حزب البعث السورى ولا تخص مصر...

---

(١) الأهرام الاثنين ٢٧ أكتوبر ١٩٧٥م - ٢٣ شوال ١٣٩٥هـ

(٢) جيرالد رودولف فورد الابن: سياسى أمريكى ولد فى ١٤ يوليو ١٩١٣م.. تولى منصب الرئيس الثامن والثلاثين للولايات المتحدة من عام ١٩٧٤م وحتى ١٩٧٦م فى أعقاب استقالة ريتشارد نيكسون.. ترشح للرئاسة فى ١٩٧٦م إلا أنه خسر أمام جيمى كارتر.. توفى فى ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٦م.

وسواء شئنا أم لم نشأ، فإن الولايات المتحدة هي الأساس في مؤتمر جنيف لأن في يدها مفتاح الموقف بينما لا يملك الاتحاد السوفيتى سوى التأييد أو الرفض أو الشجب وكلها أسلحة لا قيمة لها في مثل هذه المؤتمرات الخطيرة. ولنا أن نتخيل المؤتمر وما سيئول إليه إذا دخلت أمريكا بنفس العنف المندفع والانحياز الأعمى إلى جانب إسرائيل كما كان الحال أيام جونسون مثلا. في هذا الوضع يمكن أن يستمر مؤتمر جنيف عشرين سنة دون أي حسم. فسيقف الاتحاد السوفيتى بتأييده الشفهى إلى جانب العرب إلى آخر المدى، وستقف الولايات المتحدة بتأييدها المادى إلى جانب إسرائيل حتى النهاية. وإسرائيل بالذات لا تقيم وزنًا حتى لأمريكا نفسها التي تمنحها كل شيء. والدليل على ذلك أنها تحدت أمريكا في مارس ١٩٧٥ ورفضت تسوية كيسنجر عندما شعرت أن فورد وكيسنجر لا يملكان الأرضية الكافية في الكونجرس للتحرك وفرض التسوية عليها. واعتمدت إسرائيل في هذا على انحياز الكونجرس إلى وصفها، ولذلك لم تهتم بمكانة الولايات المتحدة في العالم وأظهرتها بمظهر الدولة التي لا تستطيع أن تنفذ كلمتها. كل هذا لمجرد أن تكسب الوقت وتضيعه على العرب.

فماذا سيكون الحال في مؤتمر جنيف إذا انحازت أمريكا انحيازًا أعمى وراء إسرائيل؟؟ بالطبع لن تكون هناك ثمة فائدة من المؤتمر لأننا فقدنا مفتاح الموقف تمامًا. فالموقف الأمريكي هي الأسا إذا أردنا أن تكون تحركاتنا مدروسة وفعالة. ولذلك كان من الضرورى تأجيل عقد مؤتمر جنيف بسبب انشغال الولايات المتحدة بالتغيير الذى طرأ على كيانها الداخلى وانشغال كيسنجر بالكامل للدفاع عن نفسه، لأن الهجوم تركز عليه بعد التخلص من نيكسون، إذ أن التخلص من كيسنجر الشاهد الوحيد على هزيمة إسرائيل في أكتوبر ١٩٧٣ - كما قلت من قبل - وتعيين وزير خارجية جديد يبدأ في دراسة الموقف مرة أخرى، كل هذا سيجعل الوقت يمر دون حل حاسم للقضية العربية، إذ تكون سنة الانتخابات قد حلت عام ١٩٧٦، ثم ندخل عام ١٩٧٧ وقد تميعت القضية مرة أخرى.

في هذه الفترة من ١٩٧٥ إلى ١٩٧٧ يتوقع الإسرائيليون أن يكون الموقف العربى الذى أحدثته حرب أكتوبر ١٩٧٣ وتستطيع إسرائيل بعد ذلك أن تنفرد بالدول العربية واحدة بعد الأخرى. وتفقد الأمة العربية سلحها الخطير المتمثل في البترول. وهو السلاح الذى تعمل أمريكا وأوروبا ألف حساب.

هنا يتحتم ألا نترك أية فرصة تتيح لإسرائيل أن تضرب الموقف من الداخل عن طريق الاحتفاظ بقوة الدفع والايقاع لحسم القضية سواء على المستوى السياسى أو العسكرى. ومن هنا يجئ لومنا لحزب البعث السورى في إعطاء إسرائيل هذه الورقة بمحاولة ضرب التضامن العربى لأغراض حزبية بحتة لا ترتفع إلى مستوى المصلحة القومية العربية العليا ولكن هذا لن يحدث.

عودة إلى نشاط كيسنجر:

لم يشأ كيسنجر أن تخطف إسرائيل زمام المبادرة من يده فأرسل إلى آلون(1) لكى يزوره في نوفمبر ١٩٧٤ حتى يحتفظ بقوة الدفع والإيقاع لاستراتيجيته في الشرق الأوسط.

بعد انتهاء زيارة آلون لكيسنجر، ذهب كيسنجر لحضور اجتماعات حلف الأطلنطى في بروكسل، وفى أثناء تواجده في بروكسل استدعى السفير الأمريكي في القاهرة لكى يقابله ويسلمه تقريرًا عن زيارة آلون له. وبالفعل عاد السفير الأمريكي في نوفمبر وأبلغنى بنتيجة اجتماعه التي لم تكن نتيجة على الإطلاق. ومن تقييمى مع القيادات في مصر للموقف بعد إبلاغنا بهذه النتيجة توصلنا إلى اقتناع بأنه لم يكن هناك أي غرض من إسرائيل التي كانت ترتشف كؤوس السعادة بتخلصها من نيكسون وبنجاحها في وضع كيسنجر في موقف الدفاع. فكل ما أدلى به آلون لكيسنجر في نظرنا بعد ذلك التقييم هو أن إسرائيل ليست جاهزة لأية خطوة ثانية قبل أن نوافق انهاء حالة الحرب.

واجه كيسنجر ألون بكل ما دار بين نيكسون والحكومة الإسرائيلية وأن إنهاء حالة الحرب موضوع غير قابل للمناقشة من ناحية مصر. فما السبب في إثارته مرة أخرى؟

وكان السبب في تقييمنا هنا للموقف هو أن الإسرائيليين كانوا شاعرين أنهم في مركز القوة وأن فورد وكيسنجر في موقف الضعف بحكم خضوع الكونجرس للضغوط الصهيونية.

وامتد تلاعب إسرائيل لكى يشمل كل اتفاقاتها مع نيكسون، حتى المضايق والبترول تراجعت فيما يختص بموافقتها السابقة على الانسحاب منهما، وأبدى آلون استعدادًا مزيفًا لبحث الموضوع مع مصر إذا أبدينا من جهتنا ترحيبًا بتخفيف قيود المقاطعة على إسرائيل، وبعدم مقاومة العرب لعودة العلاقات بين إسرائيل والدول الإفريقية، وتمهيد الجو للتبادل الاقتصادى بين العرب وإسرائيل وغير ذلك من الهراء الإسرائيلي الذى استعملوه مادة في إذاعاتهم لمحاولة ضرب تضامن الأمو العربية وصدقه حزب البعث في سوريا. وقد سبق أن قلت أننى حذرت من ذلك في مؤتمر القمة العربى في الرباط وقلت للملوك والرؤساء في ذلك الاجتماع أن لا يكون التعامل بيننا على أساس ما يقوله راديو إسرائيل. ولكن حزب البعث السورى لم يشأ أن ينتصح لأسباب حزبية ضيقة ومغرضة.

---

(1) إيغال آلون: سياسى إسرائيلى ولد فى ١٠ أكتوبر ١٩١٨م.. وهو قائد لقوات البلماح ولواء فى جيش الدفاع الإسرائيلى.. كان أحد قادة حزب أحدوت هعفوداه وحزب العمل الإسرائيلى.. ورئيس وزراء إسرائيل بالنيابة.. توفى فى ٢٩ فبراير ١٩٨٠م

موقف مع السفير الأمريكي

وقد استدعيت إسماعيل فهمى لحضور المناقشة مع السفير الأمريكي لإثباتها بعد ذلك في محضر تفصيلى.

حكى لى السفير الأمريكي كل هذ الهراء الإسرائيلي، وأضاف أن إسرائيل تريد أن تضمن عدم قفل باب المندب مرة أخرى، على الرغم من أننا لم نقفل باب المندب في حرب أكتوبر. فهو مضيق دولى وسنخطئ في حق العالم إذا أقفلناه. ولكننا أعلنا فقط عن المنطقة الممنوع فيها الملاحة في البحر الأحمر والتي ضربنا فيها السفينة الإسرائيلية شمال باب المندب. وفى الحال توقفت الملاحة في إيلات حتى سمحنا لها بالاستئناف مرة أخرى بعد فض الاشتباك.

وبعد أن حكى السفير الأمريكي كل هذه السخافات الإسرائيلية، سارع إلى توضيح أن هذا الكلام هو ما تلقاه كيسنجر من إسرائيل وهو يريد أن يكون كما عودنى ناقلا أمينًا ولكن هذا ليس رأى أمريكا.


انفجرت فى السفير الأمريكى.. وذهل إسماعيل فهمى عندما استمع إلى كلماتى الغاضبة

وانفجرت في السفير الأمريكي كما انفجرت في السفير السوفيتي يوم ٨ يوليو ١٩٧٢؟ وذهل إسماعيل فهمى عندما استمع إلى كلماتى الغاضبة وأنا أرد على السفير الأمريكي كيف يسمح كيسنجر لنفسه أن يسمع مثل هذا الكلام ويعمل على نقله إلي؟ وطالما أن كيسنجر يقول أن هذا الكلام لا يمثل رأى أمريكا وإنما يمثل أمانه في التوسط بين الأطراف فلماذا يخبرنى به؟ كان لابد من أن يرفض كيسنجر هذا الكلام من أساسه ولا يخبرنى به على الإطلاق كأنه لم يكن. كان أشرف لأمريكا أن تبلغنى بأنه لم يجد شيء في الموقف من أن تخبرنى بهذه السخافات. رفضت هذا المنطق السقيم تمامًا وأفهمت السفير أنه لا يمكن لأمريكا أن تدلل إسرائيل ولكن ليس إلى هذا الحد الذى لا يمكن أن أسمح به.

تحول وجه السفير الأمريكي إلى ملامح من الشمع وبعد سماعه لساعة ونصف من انفجار بركان غضبى طلب إلى أن يرسل كل ما سمعه من مضمون كلامى إلى الحكومة الأمريكية حتى لا يحدث سوء فهم مرة أخرى.

وفى الحقيقة كان السفير هادئًا جدًا وأثبت أنه دبلوماسي ممتاز حقًا. فقد اعتذر برقة بقوله أن هدف كيسنجر من هذه الرسالة الشفهية أن يضعنى في الصورة بصرف

النظر عن قبولى للرسالة من عدمه، وهذا هو فهم كيسنجر للأمانة في الوساطة بين الأطراف.

أعربت عن دهشتى للسفير الأمريكي الذى أحضر لى هذه الطلبات الإسرائيلية السخيفة بينما نفكر نحن جديًا في حضور مؤتمر جنيف للتسوية الشاملة. فماذا يتبقى لجنيف بعد هذه السخافات؟؟ وطالما أن هذه الرسالة الشفهية لا تُمثل وجهة النظر الأمريكية الرسمية، فأنا بدورى اعتبرها كأنها لم تكن وأننى لم أسمع شيئًا على الإطلاق من هذه السخافات. أي أن الموضوع انتهى عند هذا الحد. بمعنى أن السفير الأمريكي لم يبلغنى بشئ وأنا بدورى لم أسمع شيئًا.

وأرسل السفير الأمريكي رسالة رسمية منه إلي واشنطن توضح كل ما دار بينى وبينه.

صدرنا التمزق إلى إسرائيل

كان للرسالة وقع عنيف على كل من فورد وكيسنجر. فقد كانت أقوى مما قلته للسفير السوفيتى يوم إنهاء مهمة الخبراء السوفيت في ٨ يوليو ١٩٧٢. وجاءنى رد كيسنجر مُعبرًا عن أسفه، وأنه إنما أردا أن يضعنى في الصورة بكل سلبياتها وإيجابياتها وأن هذا هو أسلوب الأمانة في التوسط بين طرفين في مثل هذا النزاع المعقد. وطلب منى تأجيل بحث الموضوع لحين زيارة آلون مرة أخرى له في يناير ١٩٧٥. وسوف يرسل إلى بكل ما يستجد في الموقف جريًا على أسلوبه في مكاشفة الأطراف.

وفى ديسمبر ١٩٧٤ زار رابين الولايات المتحدة. وكان ظنى أن رابين سيحل محل جولدا مائير في فض الاشتباك الثانى وأن كيسنجر سينجح في اتباع نفس الأسلوب الذى اتبعه من قبل في فض الاشتباك الأول. فقد تقدم كيسنجر في فض الاشتباك الأول بعرض أمريكى لم تجد إسرائيل مناصًا من قبوله، وعلى هذا تم فض الاشتباك الأول ولكن رابين كان أضعف كثيرًا من مائير إذ أن أغلبيته في البرلمان الإسرائيلي لا تزيد عن صوت أو صوتين، بالإضافة إلى حالة التمزق التي تسيطر على الحكومة والشعب في إسرائيل.

لقد نجحنا في تصدير التمزق الذى كنا نعانيه ونعيشه قبل أكتوبر ١٩٧٣ إلى إسرائيل التي يعز عليها حتى الآن أن تتخلى عن الغرور والعنجهية وأحلام التفوق والسيطرة وسياسة القوة والبطش التي عاشتها قبل أكتوبر ١٩٧٣. ولكنها في الوقت نفسه تجد أن حقائق ما بعد أكتوبر تجثم على كاهلها كالكابوس وخاصة أن خسائر الأرواح ما زالت تنكأ جراح كل بيت في إسرائيل. وتحول خوف إسرائيل من السلام إلى عجز تما عن صنعه. ولذلك وقفت كل هذه العوامل كعقبات وعراقيل في وجه فض الاشتباك الثانى الذى فشلت محاولة كيسنجر في القيام به في مارس ١٩٧٥.

بدأ تلاعب الإسرائيليين بكيسنجر عندما طلبوا منه أن يقوم برحلته على مرتين: المرة الأولى في فبراير. والمرة الثانية في مارس لإتمام فض الاشتباك. وبالفعل بعد مقابلة كيسنجر لكل من رابين وآلون أبلغنى بأنه سيحضر إلى المنطقة لكى يُنهى العملية على دفعتين حدد تواريخهما في فبراير ومارس. ولكنى سارعت إلى إبلاغه بأنها لا ضرورة إطلاقًا لقدومه مرتين طالما أن المسائل محددة والحلول معروفة. ولذلك فإنه من المفضل أن ينهى العملية في زيارة واحدة فقط كما تم في فض الاشتباك الأول. وكانت رسالتى كلها إصرار على هذا المعنى لأننى أحسست ببوادر التلاعب الإسرائيلى في الأفق، وأن حضور كيسنجر مرتين سيسبب لى متاعب مع المزايدين التقليديين مع العرب.

رجاء من فورد

ولكن كيسنجر أقنع فورد بنظريته في الحضور إلى المنطقة مرتين. فأرسل إلى فورد خطابًا يرجونى فيه الموافقة على رأى كيسنجر على أن تكون الرحلة الأولى استطلاعية والثانية لإتمام الموضوع.

عندئذ أرسلت خطابًا إلى فورد يتضمن موافقتى.

وبالفعل جاء كيسنجر في فبراير في رحلة استطلاعية. وكنت قد حددت بوضوح أهداف مصر في المضايق والبترول وأكدت عدم استعدادى لأية مناقشة في أقل من هذا إطلاقًا. كذلك لن أناقش إطلاقًا في إنهاء حالة الحرب. ولكن الإسرائيليين - كعادتهم - أرادوا للمفاوضات أن تدخل في متاهات تبعدها عن خط سيرها الأصلى. من هذه المتاهات إصرارهم على إنهاء حالة الحرب، ومناقشة وضع المضايق والبترول، على أن نقتسم المضايق فيحصلون على مضيق ونحن على آخر، كذلك البترول الذى تقع آباره في الشمال والجنوب أرادوا اقتسامه بنفس أسلوب اقتسام المضايق.

وفى الزيارة الثانية

عندما بدأ كيسنجر رحلته الثانية في مارس، كنت في أسوان وبدأ شوط التنقل ما بينى وبين إسرائيل على مدى ١٧ يومًا حاول فيها كيسنجر بكل إمكانياته اقناع الطرفين بالوصول إلى اتفاق لفض الاشتباك. وبعد عشرة أيام من رحلات المكوك بين أسوان وإسرائيل قلت لكيسنجر أن مجهوداته لن تسفر عن شيء لأن الإسرائيليين ليسوا على استعداد أو لديهم القدرة على صنع السلام ولذلك فهم يقاومون أية خطوة نحوه. ولكن كيسنجر تذرع بطول البال ورجانى أن أمنحه الفرصة لكى يبذل أخر جهد ممكن.

وكنت قد أعلنتها صريحة وواضحة أنه لا إنهاء لحالة الحرب إلا بعد الحل النهائي في جنيف، وجاءنى كيسنجر في اليوم العاشر من المفاوضات مستبشرًا وسعيدًا بقرب وصلوه إلى الاتفاق لأن إسرائيل وافقت على عدم مناقشة إنهاء حالة الحرب. ولكننى لم أقبله بنفس الاستبشار والتفاؤل، بل صارحته بأن أسلوبهم الذى عرفته منه، والطريقة التي تجرى بها المفاوضات وغير ذلك من البوادر والعلامات تدل على أن موقف الرئيس الأمريكي ووزير خارجيته من الضعف بحيث عجزا عن إلزام إسرائيل باتفاقاتها مع الحكومة الأمريكية.



أوضحت لكيسنجر أن السياسة الإسرائيلية القائمة على التلاعب والتسويف والمماطلة والتأجيل تهدف أساسًا إلى التخلص منه

أوضحت لكيسنجر أن السياسة الإسرائيلية القائمة على التلاعب والتسويف والمماطلة والتأجيل تهدف أساسًا إلى التخلص منه لكى تكسب وقتًا حتى عام الانتخابات الأمريكية في ١٩٧٦، وأن الحكومة الإسرائيلية حكومة هزيلة غير قادرة على صنع السلام، بل والشعب الإسرائيلي نفسه خائف من صنع السلام. ولذلك لا فائدة تُرجى من مجهودات كيسنجر في هذا الشأن.

ولكن كيسنجر أصر على تفاؤله وأكد أنه طالما أنهم صرفوا نظرهم عن إنهاء حالة الحرب، فإن الأمل كبير في إتمام الاتفاق. ولكننى أعلنتها أمام كيسنجر وفى حضور إسماعيل فهمى والجمسى والحاضرين جميعًا أنها من غير الممكن أن يعقد الاتفاق في هذه الزيارة لأن إسرائيل لم تصل بعد إلى هذه المرحلة سواء على المستوى الرسمي أو المستوى الشعبى.

وبالفعل ذهب كيسنجر إلى إسرائيل وعاد بخفى حنين.

وعاد ومعه تحديد خطوط الانسحاب من المضايق والبترول على الخريطة. لم يقل لى شيئًا عن الخريطة التي عاد بها بل قال أنهم رفضوا تحديد أي خط على أساس أنهم يريدون الاحتفاظ بمونيتور "جهاز كشف التحركات عن بُعد" في مضيق من المضايق، كما أنهم يرغبون في أن يظل الخط متعجرفًا في بعض المناطق، وأن نصل إلى البترول عن طريق الشرق بحيث نمر إلى البترول في أرض يحتلها الإسرائيليون.

عندئذ قلت لكيسنجر أن كلامي معه كان بناء على دراسة ومعرفة بالنفسية الإسرائيلية المعقدة، أو كما نقول نحن "جالك كلامي"!! وكان من الواضح أن خيبة أمله تجل عن الوصف.

إعلان الفشل

ومع احترامى لأحاسيس كيسنجر، إلا أننى طلبت منه على الفور دراسة احتمالات المرحلة التالية لفشل مهمته. وأوضحت له أن فشل مهمته سيكون بسبب تشدد الإسرائيليين وتلاعبهم وسوء نواياهم وليس بسببنا على الإطلاق.

واعترف كيسنجر بمرونتى إلى أبعد مما تصور في مقابل إصرار إسرائيل. ثم سألنى قبل آخر رحلة له إلى إسرائيل عما إذا كان سيعود إلى بعد الفشل النهائي لمهمته أو أنه سيتوجه إلى الولايات المتحدة رأسًا؟ فقلت له أن عليه التوجه مباشرة إلى الولايات المتحدة.


اجتمع كيسنجر فى تل أبيب بالإسرائيليين فى مارس وفى آخر لقاء معهم أعلن فشله

وسافر كيسنجر إلى تل أبيب حيث قضى يومين أو ثلاثة هناك. ونفاجأ بعدها بوصول برقية الساعة العاشرة مساء تفيد بأن بيان فشل مهمة كيسنجر سيُذاع الساعة الحادة عشر مساء.

في تلك اللحظة كان إسماعيل فهمى في فندق الكتراكت بينما كنت في استراحتى في أسوان فطلبت في الحال من إسماعيل فهمى أن يعلن في الساعة الحادية عشرة - مع إذاعتهم تمامًا - فشل مهمة كيسنجر وانهيار السياسة الأمريكية القائمة على الخطوة.. خطوة بسبب تعنت إسرائيل وتلاعبها.

وتسبب إعلاننا هذا في ثورة الوزارة والرأى العام في إسرائيل على رابين لأننا نجحنا في أن نسبق الإسرائيليين بمدة ١٤ ساعة في إذاعة النبأ والسبب. ونقل العالم النبأ عن إذاعتنا بينما اضطر رابين إلى عقد مؤتمر صحفي بعدنا بمدة ١٤ ساعة لكى يعلن النبأ الذى كان العالم يعرفه مقدمًا.

مذكرات الرئيس السادات



البيت الأبيض .. بعد كل هذا

من سنة ٧٥ الى ٧٧ تنتظر اسرائيل انفجارا فى داخل العالم العربى

الاتحاد السوفيتى أصبح يتصور أن القضية تخص حزب البعث السورى ولا تخص مصر

قلت للسفير الأمريكى لا أريد من أمريكا اتفاقا أو صداقة ، وذهل اسماعيل فهمى



« اوضحت لكيسنجر ان السياسة الاسرائيلية القائمة على التلاعب والتسويف والمماطلة والتاجيل تهدف اساسا الى التخلص منه »



« .. انفجرت فى السفير الامريكى .. وذهل اسماعيل فهمى عندما استمع الى كلماتى الغاضبة »

لا شك ان اسرائيل اعتبرت عزل نيكسون الذى اخذ ظاهريا شكل الاستقالة كانه انتصار لها ، فلن يطالبها احد بخطوة سريعة لان الرئيس الامريكى الجديد لابد وان يحصل على فرصة لكى يدرس فيها الموقف من جديد . وخاصة ان الرئيس فورد الذى خلف نيكسون ، رئيس غير منتخب وصل الى هذا المنصب بالتعيين من الكونجرس ، وليست له خبرة عميقة بالشئون الدولية لانه سياسى محلى فى المقام الاول . ومع ذلك يمكننى القول اننى بعد لقائى معه فى سالزبورج اكتشفت انه رجل شريف يتميز بخلق الفلاح الذى يقدس الالتزام والصراحة والصدق . وهو ليس من عينة السياسيين الملتوين او من طراز رعاة البقر كجونسون مثلا . وبصفة عامة فالرئيس فورد وجه طيب لامريكا بخلقه الدمث وتفكيره الذى يضع مصالح امريكا فى المقام الاول . وقد اصيب الصهاينة بخيبة امل مرة اخرى عندما وجدوا ان الرئيس الامريكى الجديد يهدف الى تنفيذ سياسة امريكية قومية وليست سياسة صهيونية عنصرية . ولذلك دأبوا على وضع العراقيل والعقبات فى طريقه ؛ ومنها على سبيل المثال افشال مهمة كيسنجر فى مارس ١٩٧٥ .

كان عزل نيكسون سببا فى تأجيل الخطوة التالية من فض الاشتباك فى سبتمبر او اكتوبر عام ١٩٧٤ . وبالطبع لم نطلب عقد مؤتمر جنيف لان امريكا لم تكن جاهزة . والعرب لم يتفقوا بعد على خطوط عريضة ونقاط اساسية تجعل منهم جبهة متماسكة ومتحدة فى مواجهة الاعيب اسرائيل داخل المؤتمر. **اما الاتحاد السوفيتى فجاهز من بادىء الامر لحضور المؤتمر وليس عليه الا ان يقف ويزايد ويقول للشارع العربى انه المدافع الوحيد عن الامة العربية ، بل ويصل الى حدود من المبالغة والتطرف بحيث يبدو اكثر حرصا على مصلحتها منها هى شخصيا . وفى تقديره انه من خلال هذا يستطيع استعادة مكانته التى فقدها فى المنطقة نتيجة معاملته لمصر ونتيجة لاعلانه المتكرر عن بيع الاسلحة لنا تعويضا عن خسائرنا ، ورفضه للوفاء بالتزاماته تجاهنا . اى ان هدف الاتحاد السوفيتى من المؤتمر تمييع الموقف العربى كله واظهاره امام العالم بمظهر مفكك وضعيف حتى نعود الى اللجوء اليه مرة اخرى راكعين وطالبين العفو والمغفرة واكبر برهان على ذلك هو هذه المعاملة والتفرقة بين مصر وسوريا وكأن القضية العربية تخص حزب البعث السورى ولا تخص مصر ...**

وسواء شئنا ام لم نشأ ، فان الولايات المتحدة هى الاساس فى مؤتمر جنيف لان فى يدها مفتاح الموقف بينما لا يملك الاتحاد السوفيتى سوى التأييد او الرفض او الشجب وكلها اسلحة لا قيمة لها فى مثل هذه المؤتمرات الخطيرة . ولنا ان نتخيل المؤتمر وما سيئول اليه اذا دخلت امريكا بنفس الصف المندفع والانحياز الاعمى الى جانب اسرائيل كما كان الحال ايام جونسون مثلا . **فى هذا الوضع يمكن ان يستمر مؤتمر جنيف عشرين سنة دون اى حسم . فسيقف الاتحاد السوفيتى بتأييده الشفهى الى جانب العرب الى آخر المدى ، وستقف الولايات المتحدة بتأييدها المادى الى جانب اسرائيل حتى النهاية .** واسرائيل بالذات لا تقيم وزنا حتى لامريكا نفسها التى تمنحها كل شىء . والدليل على ذلك انها تحدت امريكا فى مارس ١٩٧٥ ورفضت تسوية كيسنجر عندما شعرت ان فورد وكيسنجر لا يملكان الارضية الكافية فى الكونجرس للتحرك وفرض التسوية عليها. واعتمدت اسرائيل فى هذا على انحياز الكونجرس الى صفها ، ولذلك لم تهتم بمكانة الولايات المتحدة فى العالم واظهرتها بمظهر الدولة التى لا تستطيع ان تنفذ كلمتها . كل هذا لمجرد ان تكسب الوقت وتضيعه على العرب .

فماذا سيكون الحال فى مؤتمر جنيف اذا انحازت امريكا انحيازا اعمى وراء اسرائيل ؟ بالطبع لن تكون هناك ثمة فائدة من المؤتمر لاننا فقدنا مفتاح الموقف تماما . فالموقف الامريكى هو الاساس اذا اردنا ان تكون تحركاتنا مدروسة وفعالة . ولذلك كان من الضرورى تأجيل عقد مؤتمر جنيف بسبب انشغال الولايات المتحدة بالتغيير الذى طرأ على كيانها الداخلى وانشغال كيسنجر بالكامل للدفاع عن نفسه ، لان الهجوم تركز عليه بعد التخلص من نيكسون . اذ ان التخلص من كيسنجر الشاهد الوحيد على هزيمة اسرائيل فى اكتوبر ١٩٧٣ — كما قلت من قبل — وتعيين وزير خارجية جديد يبدأ فى دراسة الموقف مرة اخرى ، كل هذا سيجعل الوقت يمر دون حل حاسم للقضية العربية ، اذ تكون سنة الانتخابات قد حلت عام ١٩٧٦ ، ثم ندخل عام ١٩٧٧ وقد تميعت القضية مرة اخرى .

فى هذه الفترة من ١٩٧٥ الى ١٩٧٧ يتوقع الاسرائيليون ان يكون الموقف العربى قد انفجر من داخله ، وبذلك يتفكك التماسك العربى الذى احدثته حرب اكتوبر ١٩٧٣ وتستطيع اسرائيل بعد ذلك ان تنفرد بالدول العربية واحدة بعد الاخرى . وتفقد الامة العربية سلاحها الخطير المتمثل فى البترول . وهو السلاح الذى تعمل له امريكا واوروبا الف حساب .

هنا يتحتم الا نترك اية فرصة تتيح لاسرائيل ان تضرب الموقف من الداخل عن طريق الاحتفاظ بقوة الدفع والايقاع لحسم القضية سواء على المستوى السياسى او العسكرى . ومن هنا يجىء لومنا لحزب البعث السورى فى اعطاء اسرائيل هذه الورقة بمحاولة ضرب التضامن العربى لاغراض حزبية بحتة لا ترتفع الى مستوى المصلحة القومية العربية العليا ولكن هذا لن يحدث .

عودة الى نشاط كيسنجر :

لم يشأ كيسنجر ان تخطف اسرائيل زمام المبادرة من يده فارسل الى الون لكى يزوره فى نوفمبر ١٩٧٤ حتى يحتفظ بقوة الدفع والايقاع لاستراتيجيته فى الشرق الاوسط .

بعد انتهاء زيارة الون لكيسنجر ، ذهب كيسنجر لحضور اجتماعات حلف الاطلنطى فى بروكسل ، وفى اثناء تواجده فى بروكسل استدعى السفير الامريكى فى القاهرة لكى يقابله ويسلمه تقريرا عن زيارة الون له . وبالفعل عاد السفير الامريكى فى نوفمبر وابلغنى بنتيجة اجتماعه التى لم تكن نتيجة على الاطلاق . ومن تقييمى مع القيادات فى مصر للموقف بعد ابلاغنا بهذه النتيجة توصلنا الى اقتناع بانه لم يكن هناك اى عرض من اسرائيل التى كانت ترتشف كئوس السعادة بتخلصها من نيكسون ونجاحها فى وضع كيسنجر فى موقف الدفاع . **فكل ما ادلى به الون لكيسنجر فى نظرنا بعد ذلك التقييم هو ان اسرائيل ليست جاهزة لاية خطوة ثانية قبل ان نوافق على انهاء حالة الحرب .**

واجه كيسنجر الون بكل ما دار بين نيكسون والحكومة الاسرائيلية وان انهاء حالة الحرب موضوع غير قابل للمناقشة من ناحية مصر . **فما السبب فى اثارته مرة اخرى ؟**

وكان السبب فى تقييمنا هنا للموقف هو ان الاسرائيليين كانوا شاعرين انهم فى مركز القوة وان فورد وكيسنجر فى موقف الضعف بحكم خضوع الكونجرس للضغوط الصهيونية .

وامتد تلاعب اسرائيل لكى يشمل كل اتفاقاتها مع نيكسون ، حتى المضايق والبترول تراجعت فيما يختص بموافقتها السابقة على الانسحاب منهما ، وابدى الون استعدادا مزيفا لبحث الموضوع مع مصر اذا ابدينا من جهتنا ترحيبا بتخفيف قيود المقاطعة على اسرائيل ، وبعدم مقاومة العرب لعودة العلاقات بين اسرائيل والدول الافريقية ، وتمهيد الجو للتبادل الاقتصادى بين العرب واسرائيل وغير ذلك من الهراء الاسرائيلى الذى استعملوه مادة فى اذاعاتهم لمحاولة ضرب تضامن الامة العربية وصدقه حزب البعث فى سوريا . وقد سبق ان قلت انى حذرت من ذلك فى مؤتمر القمة العربى فى الرباط وقلت للملوك والرؤساء فى ذلك الاجتماع ان لا يكون التعامل بيننا على اساس ما يقوله راديو اسرائيل . ولكن حزب البعث السورى لم يشأ ان ينتصح لاسباب حزبية ضيقة ومغرضه .

موقف مع السفير الامريكى

وقد استدعيت اسماعيل فهمى لحضور المناقشة مع السفير الامريكى لاثباتها بعد ذلك فى محضر تفصيلى .

حكى لى السفير الامريكى كل هذا الهراء الاسرائيلى ، واضاف ان اسرائيل تريد ان تضمن عدم قفل باب المندب مرة اخرى ، على الرغم من اننا لم نقفل باب المندب فى حرب اكتوبر . فهو مضيق دولى ومتخطىء فى حق العالم اذا اقفلناه . ولكننا اعلنا فقط عن المنطقة الممنوع فيها الملاحة فى البحر الاحمر والتى ضربنا فيها السفينة الاسرائيلية شمال باب المندب . وفى الحال توقفت الملاحة فى ايلات حتى سمحنا لها بالاستئناف مرة اخرى بعد فض الاشتباك .

وبعد ان حكى السفير الامريكى كل هذه السخافات الاسرائيلية ، سارع الى توضيح ان هذا الكلام هو ما تلقاه كيسنجر من اسرائيل وهو يريد ان يكون كما عودنى ناقلا امينا ولكن هذا ليس راى امريكا .

وانفجرت فى السفير الامريكى كما انفجرت فى السفير السوفيتى يوم ٨ يوليو ١٩٧٢ . وذهل اسماعيل فهمى عندما استمع الى كلماتى الغاضبة وانا ارد على السفير الامريكى كيف يسمح كيسنجر لنفسه ان يسمع مثل هذا الكلام ويعمل على نقله الى ؟ وطالما ان كيسنجر يقول ان هذا الكلام لا يمثل راى امريكا وانما يمثل امانة فى التوسط بين الاطراف فلماذا يخبرنى به ؟ كان لابد من ان يرفض كيسنجر هذا الكلام من اساسه ولا يخبرنى به على الاطلاق كانه لم يكن . كان اشرف لامريكا ان تبلغنى بانه لم يجد شىء فى الموقف من ان تخبرنى بهذه السخافات . رفضت هذا المنطق السقيم تماما وافهمت السفير انه يمكن لامريكا ان تدلل اسرائيل ولكن ليس الى هذا الحد الذى لا يمكن ان اسمح به .

تحول وجه السفير الامريكى الى ملامح من الشمع وبعد سماعه لساعة ونصف من انفجار بركان غضبى طلب الى ان يرسل كل ما سمعه من مضمون كلامى الى الحكومة الامريكية حتى لا يحدث سوء فهم مرة اخرى .

وفى الحقيقة كان السفير هادئا جدا واثبت انه دبلوماسى ممتاز حقا . فقد اعتذر برقة بقوله ان هدف كيسنجر من هذه الرسالة الشفهية ان يضعنى فى الصورة بصرف النظر عن قبولى للرسالة من عدمه ، وهذا هو فهم كيسنجر للامانة فى الوساطة بين الاطراف .

امرت عن دهشتى للسفير الامريكى الذى احضر لى هذه الطلبات الاسرائيلية السخيفة بينما نفكر نحن جديا فى حضور مؤتمر جنيف للتسوية الشاملة . فماذا يتبقى لجنيف بعد هذه السخافات ؟ وطالما ان هذه الرسالة الشفهية لا تمثل وجهة النظر الامريكية الرسمية ، فانا بدورى اعتبرها كانها لم تكن وانتى لم اسمع شيئا على الاطلاق من هذه السخافات . اى ان الموضوع انتهى عند هذا الحد . بمعنى ان السفير الامريكى لم يبلغنى بشىء وانا بدورى لم اسمع شيئا .

وارسل السفير الامريكى رسالة رسمية منه الى واشنطن توضح كل ما دار بينى وبينه .

صدرنا التمزق الى اسرائيل

كان للرسالة وقع عنيف على كل من فورد وكيسنجر . فقد كانت اقوى مما قلته للسفير السوفيتى يوم انهاء مهمة الخبراء السوفيت فى ٨ يوليو ١٩٧٢ . وجاءنى رد كيسنجر معبرا عن اسفه ، وانه انما اراد ان يضعنى فى الصورة بكل سلبياتها وايجابياتها وان هذا هو اسلوب الامانة فى التوسط بين طرفين فى مثل هذا النزاع المعقد . وطلب منى تاجيل بحث الموضوع لحين زيارة الون مرة اخرى له فى يناير ١٩٧٥ . وسوف يرسل الى بكل ما يستجد فى الموقف جريا على اسلوبه فى مكاشفة الاطراف .

وفى ديسمبر ١٩٧٤ زار رابين الولايات المتحدة . وكان ظنى ان رابين سيحل محل جولدا مائير فى فض الاشتباك الثانى وان كيسنجر سينجح فى اتباع نفس الاسلوب الذى اتبعه من قبل فى فض الاشتباك الاول . فقد تقدم كيسنجر فى فض الاشتباك الاول بعرض امريكى لم تجد اسرائيل مناصا من قبوله ، وعلى هذا تم فض الاشتباك الاول ولكن رابين كان اضعف كثيرا من مائير اذ ان اغلبيته فى البرلمان الاسرائيلى لا تزيد عن صوت او صوتين ، بالاضافة الى حالة التمزق التى تسيطر على الحكومة والشعب فى اسرائيل .

لقد نجحنا فى تصدير التمزق الذى كنا نعانيه ونعيشه قبل اكتوبر ١٩٧٣ الى اسرائيل التى يعز عليها حتى الان ان تتخلى عن الغرور والعنجهية واحلام التفوق والسيطرة وسياسة القوة والبطش التى عاشتها قبل اكتوبر ١٩٧٣ . ولكنها فى الوقت نفسه تجد ان حقائق ما بعد اكتوبر تجثم على كاهلها كالكابوس وخاصة ان خسائر الارواح ما زالت تنكأ جراح كل بيت فى اسرائيل . وتحول خوف اسرائيل من السلام الى عجز تام عن صنعه . ولذلك وقفت كل هذه العوامل كعقبات وعراقيل فى وجه فض الاشتباك الثانى الذى فشلت محاولة كيسنجر فى القيام به فى مارس ١٩٧٥ .

بدأ تلاعب الاسرائيليين بكيسنجر عندما طلبوا منه ان يقوم برحلته على مرتين : المرة الاولى فى فبراير . والمرة الثانية فى مارس لاتمام فض الاشتباك . وبالفعل بعد مقابلة كيسنجر لكل من رابين والون ابلغنى بانه سيحضر الى المنطقة لكى ينهى العملية على دفعتين حدد تواريخهما فى فبراير ومارس . **ولكنى سارعت الى ابلاغه بانه لا ضرورة اطلاقا لقدومه مرتين طالما ان المسائل محددة والحلول معروفة . ولذلك فانه من المفضل أن ينهى العملية فى زيارة واحدة فقط كما تم فى فض الاشتباك الاول . وكانت رسائلى كلها اصرارا على هذا المعنى لاننى احسست ببوادر التلاعب الاسرائيلى فى الافق ، وان حضور كيسنجر مرتين سيسبب لى متاعب مع المزايدين التقليديين من العرب .**



اجتمع كيسنجر فى تل ابيب بالاسرائيليين فى مارس وفى آخر لقاء بعهم اعلن فشله

رجاء من فورد

ولكن كيسنجر اقنع فورد بنظريته فى الحضور الى المنطقة مرتين . فارسل الى فورد خطابا يرجونى فيه الموافقة على رأى كيسنجر على ان تكون الرحلة الاولى استطلاعية والثانية لاتمام الموضوع .

عندئذ ارسلت خطابا الى فورد يتضمن موافقتى .

وبالفعل جاء كيسنجر فى فبراير فى رحلة استطلاعية . **وكنت قد حددت بوضوح اهداف مصر فى المضايق والبترول واكدت عدم استعدادى لاية مناقشة فى اقل من هذا اطلاقا . كذلك لن اناقش اطلاقا فى انهاء حالة الحرب .** ولكن الاسرائيليين — كعادتهم — ارادوا للمفاوضات ان تدخل فى متاهات تبعدها عن خط سيرها الاصلى . من هذه المتاهات اصرارهم على انهاء حالة الحرب ، ومناقشة وضع المضايق والبترول ، على ان تقتسم المضايق فيحصلون على مضيق ونحن على آخر . كذلك البترول الذى تقع آباره فى الشمال والجنوب ارادوا اقتسامه بنفس اسلوب اقتسام المضايق .

وفى الزيارة الثانية

عندما بدأ كيسنجر رحلته الثانية فى مارس ، كنت فى اسوان وبدأ شوط التنقل ما بينى وبين اسرائيل على مدى ١٧ يوما حاول فيها كيسنجر بكل امكانياته اقناع الطرفين بالوصول الى اتفاق لفض الاشتباك . وبعد عشرة ايام من رحلات المكوك بين اسوان واسرائيل قلت لكيسنجر ان مجهوداته لن تسفر عن شىء **لان الاسرائيليين ليسوا على استعداد او لديهم المقدرة على صنع السلام ولذلك فهم يقاومون اية خطوة نحوه .** ولكن كيسنجر تذرع بطول البال ورجانى ان امنحه الفرصة لكى يبذل آخر جهد ممكن .

وكنت قد اعلنتها صريحة وواضحة انه لا انهاء لحالة الحرب الا بعد الحل النهائى فى جنيف ، وجاءنى كيسنجر فى اليوم العاشر من المفاوضات مستبشرا وسعيدا بقرب وصوله الى الاتفاق لان اسرائيل وافقت على عدم مناقشة انهاء حالة الحرب . ولكننى لم اقابله بنفس الاستبشار والتفاؤل ، **بل صارحته بان اسلوبهم الذى عرفته منه ، والطريقة التى تجرى بها المفاوضات وغير ذلك من البوادر والعلامات تدل على ان موقف الرئيس الامريكى ووزير خارجيته من الضعف بحيث عجزا عن الزام اسرائيل باتفاقاتها مع الحكومة الامريكية .**

اوضحت لكيسنجر ان السياسة الاسرائيلية القائمة على التلاعب والتسويف والمماطلة والتاجيل تهدف اساسا الى التخلص منه لكى تكسب وقتا حتى عام الانتخابات الامريكية فى ١٩٧٦ ، وان الحكومة الاسرائيلية حكومة هزيلة غير قادرة على صنع السلام ، بل والشعب الاسرائيلى نفسه خائف من صنع السلام . ولذلك لا فائدة ترجى من مجهودات كيسنجر فى هذا الشأن .

ولكن كيسنجر اصر على تفاؤله واكد انه طالما انهم صرفوا نظرهم عن انهاء حالة الحرب ، فان الامل كبير فى اتمام الاتفاق . ولكننى اعلنتها امام كيسنجر وفى حضور اسماعيل فهمى والجمسى والحاضرين جميعا انه من غير الممكن ان يعقد الاتفاق فى هذه الزيارة لان اسرائيل لم تصل بعد الى هذه المرحلة سواء على المستوى الرسمى او المستوى الشعبى .

وبالفعل ذهب كيسنجر الى اسرائيل وعاد بخفى حنين .

وعاد ومعه تحديد خطوط الانسحاب من المضايق والبترول على الخريطة . لم يقل لى شيئا عن الخريطة التى عاد بها بل قال انهم رفضوا تحديد اى خط على اساس انهم يريدون الاحتفاظ بمونيتور « جهاز كشف التحركات عن بعد » فى مضيق من المضايق ، كما انهم يرغبون فى ان يظل الخط متعرجا فى بعض المناطق ، وان نصل الى البترول عن طريق الشرق بحيث نمر الى البترول فى ارض يحتلها الاسرائيليون .

عندئذ قلت لكيسنجر ان كلامى معه كان بناء على دراسة ومعرفة بالنفسية الاسرائيلية المعقدة ، او كما نقول نحن « جالك كلامى » !! وكان من الواضح ان خيبة امله تجل عن الوصف .

اعلان الفشل

ومع احترامى لاحاسيس كيسنجر ، الا اننى طلبت منه على الفور دراسة احتمالات المرحلة التالية لفشل مهمته . واوضحت له ان فشل مهمته سيكون بسبب تشدد الاسرائيليين وتلاعبهم وسوء نواياهم وليس بسببنا على الاطلاق .

واعترف كيسنجر بمرونتى الى ابعد مما تصور فى مقابل اصرار اسرائيل . ثم سألنى قبل آخر رحلة له الى اسرائيل عما اذا كان سيعود الى بعد الفشل النهائى لمهمته او انه سيتوجه الى الولايات المتحدة رأسا ؟ **فقلت له ان عليه التوجه مباشرة الى الولايات المتحدة .**

وسافر كيسنجر الى تل ابيب حيث قضى يومين او ثلاثة هناك . وتفاجأنا بعدها بوصول برقية الساعة العاشرة مساء تفيد بأن بيان فشل مهمة كيسنجر سيذاع الساعة الحادية عشرة مساء .

فى تلك اللحظة كان اسماعيل فهمى فى فندق الكتراكت بينما كنت فى استراحتى فى اسوان فطلبت فى الحال من اسماعيل فهمى ان يعلن فى الساعة الحادية عشرة — مع اذاعتهم تماما — فشل مهمة كيسنجر وانهيار السياسة الامريكية القائمة على الخطوة .. خطوة بسبب تعنت اسرائيل وتلاعبها .

وتسبب اعلاننا هذا فى ثورة الوزارة والرأى العام فى اسرائيل على رابين لاننا نجحنا فى ان نسبق الاسرائيليين بمدة ١٤ ساعة فى اذاعة النبأ والسبب . ونقل العالم النبأ عن اذاعتنا بينما اضطر رابين الى عقد مؤتمر صحفى بعدنا بمدة ١٤ ساعة لكى يعلن النبأ الذى كان العالم يعرفه مقدما .

البقية غدا

١٠

البيت الأبيض.. بعد كل هذا[١]

العريضة التي وقعها ٧٦ شيخًا لم تكن تعبر إلا عن رأى ٢٢ شيخًا

ظن الإسرائيليون بعد ذلك أن التحرك نحو السلم قد فقد قوة الدفع اللازمة له واطمأنوا بعض الشئ ولكن يقظتنا كانت تحتم علينا ألا نترك زمم المبادرة لكي يفلت من أيدينا. ولعل هذا هو السبب الجوهرى وراء اجتماعي بالرئيس فورد في سالزبورج في أول يونيو ١٩٧٥. وهو الاجتماع الذى بدأ بإقامتى مأدبة غداء للرئيس فورد في قلعة فوتشيل شلوس القديمة التي نزلت بها، وتقع على بحيرة في وسط الجبال حيث جمال الخالق يحيطها من كل جانب. حضر فورد الغداء وألقى كلمته. وكانت هذه أول مرة ألقاه فيها.

إن الرئيس فورد من زعماء العالم الذين يرتاح إليهم الإنسان من أول لقاء وهذه يرجع إلى سمات البساطة والوضوح والطيبة التي تبدو على وجهه وفى سلوكه. وكنت قد شاهدت فيلمًا عن الرئيس فورد في أول لقاء له مع أعضاء الكونجرس بعد توليه. ومن الفيلم أدركت أن كل ما في الرئيس فورد ينم على الصدق والصراحة والوضوح، سواء في كلامه أو هيئته أو سلوكه. وعندما قابلته شخصيًا تأكدت لدى الفكرة التي كونتها من الفيلم. فكان أهمها ركز عليه في الكلمة التي ألقاها على الغداء أن أمريكا لن تسمح بتجمد الموقف أو تجميده مرة أخرى. وكان ردى عليه أنه حان وقت اتخاذ القرارات الحاسمة، وأمريكا ليست في حاجة لكى نعيد على مسامعها أن كل الأوراق في يديها، وأنها المصر الرئيس للحياة في إسرائيل سواء في السلم أو في الحرب، وأنها الدولة الوحيدة في العالم التي يمكنها أن تؤثر على إسرائيل تأثيرًا حاسمًا. والتأثير الحاسم لابد وأن يحتاج إلى قرار حاسم وهو ما يتحتم على أمريكا أن تتخذه الآن حفاظًا على وزنها الدولى الكبير في منطقة الشرق الأوسط.

بعد الظهر ذهبنا إلى القصر الذى ستُعقد فيه المباحثات. وكان الوفد الأمريكي مكونًا من الرئيس جيرالد فورد ووزير الخارجية هنرى كيسنجر ومساعد وزير الخارجية جوزيف سيسكو، وكنت على رأس الوفد المصرى الذى تكون من نائب رئيس الجمهورية محمد حسنى مبارك ونائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية إسماعيل فهمى. وبدأت الجلسة الأولى بطريق المشكلة رأسًا.

وطلب الرئيس فورد من أن أشرح له وجهة نظرى، فأوضحتها له في الخطوط الرئيسية التي تتمثل في أن مفتاح الموقف كله في يد أمريكا لأنه لا قائمة لإسرائيل

(١) الأهرام الثلاثاء ٢٨ أكتوبر ١٩٧٥م - ٢٤ شوال ١٣٩٥هـ

ولا كيان لها بدون أمريكا، ومع ذلك فإنه أمر شاذ للغاية أن تعمل إسرائيل على ضرب سياسية أمريكا في المنطقة القائمة على عدم تجميد الموقف في المنطقة من أجل حل يقوم على العدل، وتعمد إسرائيل إلى تشويه وجه أمريكا بإفشال سياسة الخطوة بخطوة. وهى السياسة التي جوهرها هو دفع الموقف باستمرار لتجنب التجمد، وهى السياسة التي يعمل الاتحاد السوفيتي كل جهده لمهاجمتها وإفسادها والتندر عليها ومحاولة تأليب من يدورون في فلكه في العالم العربي لضرب التضامن العربي. وبهذا تكون إسرائيل متحالفة مع الاتحاد السوفيتي ضد الولايات المتحدة.

وفي نهاية تحليلي للموقف ذكرت أنني قلت لكيسنجر أثناء قيامه بمفاوضات الخطوة خطوة أن سياسته لن تنجح لأنه من الواضح أن إسرائيل تستغل الخلاف الراهن بين الكونجرس والحكومة الأمريكية لكي تنفذ منه إلى التخلص من كيسنجر حتى تكسب الوقت وتصل إلى الانتخابات عام ١٩٧٦، وهو العام الذى تعجز فيه السياسة الأمريكية عن التحرك والحسم. وبعد ذلك يأتي عام ١٩٧٧ على أمل أن يكون الموقف العربي قد تفتت. فإسرائيل تعتقد أن العرب عاطفيون وانفعاليون، ولذلك فإن السياسة الإسرائيلية تضع في اعتبارها دائمًا أن العرب عاجزون عن التماسك مدة طويلة. وهى في انتظار التفكك إن عاجلا أو آجلا من هنا كانت استماتتها لكي تكسب الوقت بقدر الإمكان.

ومن ناحية أخرى فقد أكدت في مباحثاتي مع فورد أن إسرائيل تخشى السلام ولا تقدر على صنعه. فقد ظلت زهاء ٢٦ أو ٢٧ عامًا تتغنى بكلمة السلام حتى صدق العالم أنها الدولة الوديعة المحبة للسلام وأن مأساتها أنها وقعت وسط غابة من الوحوش المتصارعة. وقد ساعد العرب إسرائيل في تكوين هذه الصورة البشعة لهم بسبب إصرارهم على رفض أي خطوة إيجابية لكسب العالم إلى جانب قضيتهم العادلة وتركوا بذلك الميدان خاليًا لإسرائيل لكى تصول وتجول فيه كما تهوى.

وبذلك أصبحت إسرائيل رمزًا للسلام والحضارة والمدنية والتقدم، بينما صار العرب رمزًا للحرب والتخلف والدمار والرجعية برغم أنهم أصحاب القضية العادلة.

لقد تمكنت إسرائيل من تخدير العالم بأحلام السلام بتأكيدها أن كل أملها في الدنيا يتمثل في إقامة سلام بينها وبين العرب.

وعندما ظهر رئيس عربي قادر على توقيع اتفاقية سلام أسقط في يد إسرائيل التي سحب من يدها أخطر سلاح استعملته لكسب الرأي العام العالمي إلى جانبها. ولم أعلن عن استعدادى لتوقيع اتفاقية سلام بعد المعركة فقط في ١٩٧٣ بل صرحت بهذا منذ عام ١٩٧١. فأين ذهب تغني إسرائيل بأمل السلام البعيد الذى أصبح قريبًا؟

إن إسرائيل تخشى السلام ولا تحب ولا تقدر على صنعه لأنها دولة أقامت كيانها على الحرب والعدوان. فهي إما تعيش في حرب فعلية أو على أمل حرب مقبلة. وكل

المعونات الحربية والسلمية تستمدها من أكاذيبها التي تنشرها في كل مكان، والتي تدعى فيها أن العرب يهددون كيانها بينما الواقع يؤكد أنها هي التي تهدد الكيان العربى كله من حين لآخر بدليل أنها ضاعفت مساحتها عدة مرات، وكان العرب يخسرون دائمًا.

وأوضحت أيضًا أمام فورد أن إسرائيل لا تملك الحكومة القوية التي تستطيع أن تحقق السلام أو حتى تتحرك في اتجاهه. فحكومة رابين حكومة ضعيفة جدًا كقيادة وكزعامة، ورابين لا يستطيع مصارحة شعبه بحقائق الموقف. بينما الشعب الإسرائيلي نفسه يعيش نفس حالات التشتت والتمزق والضياع التي عانيناها في مصر وفى الأمة العربية جمعاء قبل معركة أكتوبر ١٩٧٣. وما زال الجميع في إسرائيل يتعلقون بنظرية الأمن القديمة التي أكل عليها الدهر وشرب. وهى النظرية التي تُنادى بفرض الصلح بالقوة على العرب، والتفوق في السلاح والسيادة على الجو وكل العناصر التي من شأنها استمرار الاستسلام العربى كاملا.

ماذا يواجه فورد..

وبعد الانتهاء من تحليلى للموقف قلت لفورد صراحة أنها أمام امتحان ونأمل أن يجتازه بنجاح. وموقفه يشبه إلى حد كبير موقف الرئيس أيزنهاور عام ١٩٥٦ عندما هجمت إسرائيل - بتواطؤ مع بريطانيا وفرنسا - على مصر في ٣١ أكتوبر أي قبل الانتخابات الأمريكية بأسبوع واحد فقط على أساس أن الرئيس الأمريكي سيكون مشغولا بالانتخابات، وعاجزًا عن اتخاذ أي قرار حاسم ضد العدوان. ولكن أيزنهاور كان زعيمًا شريفًا ووقف بكل حزم واتخذ قراره بكل حسن. ولم يكن قراره ضد إسرائيل فقط، بل كان ضد بريطانيا وفرنسا أيضًا. ومع ذلك نجح في الانتخابات ضاربًا بأصوات اليهود الأمريكيين عرض الحائط. إذن فالقضية تحتاج إلى جرأة وإقدام، وكل المطلوب هو اتخاذ موقف حازم يتوجه قرار حاسم.

عقب فورد على كلمتى باقتناع كامل في أن لا يتجمد الموقف مهما كان الجهد الذى يُبذل لكى تستمر قوة الدفع لعملية السلام واقترح أن تقوم أمريكا بمحاولة أخرى على طريق الخطوة خطوة.. ووافقت بعد أن حللنا الموقف تحليلا كاملا من وجهة نظر استمرار الدفع. وصرح بأنه وصل إلى هذا الاقتناع بالفعل.

وعندئذ تدخل كيسنجر مستفسرًا عن النقطة التي توقفت عندها المفاوضات في المرحلة الماضية. وكنا قد وقفنا عند نقطتين:

الأولى: مدة صلاحية الاتفاق.

والثانية: جهاز الإنذار المبكر [المونيتور] الذى تضعه إسرائيل على المضايق لكى تكشف به كل التحركات على جبهتنا.

وفيما يختص بالنقطة الأولى كان الإسرائيليون يطالبون بأن ينص الاتفاق على أن تكون مدته من ثلاث إلى خمس سنوات. وبالطبع رفضنا هذا الشرط الذى نوقش في مفاوضات كيسنجر في مارس ١٩٧٥. وحددت موقفى بأننى بكلمة واحدة أقولها وهى أننى مستعد لتحديد بقاء قوات الطوارئ الدولية سنويا بدلا من كل ستة أشهر. ولا يمكن أن أعد بأكثر من هذا في نقطة مدة صلاحية الاتفاق، فسأجددها سنويًا على أساس أن عملية السلام مستمرة ومتقدمة. ولا يعقل أن أجددها كل سنة بينما عملية السلام متجمدة واقفة في محلها. أي لا يمكن الفصل بين شرط تجديد المدة وشرط تقدم عملية السلام. وأعطيت كلمتى للرئيس فورد أن أراعى في حساباتى سنة الانتخابات.

أما بالنسبة للنقطة الثانية التي تدور حول جهاز الإنذار المبكر [المونيتور] الذى يكشف عن تحركاتنا وموضوع بقائهم في ممر من الممرات، فإن الإسرائيليين يبدون استعدادهم للخروج من الضايق بشرط استبقاء الجهاز في موقعه. ولكننى رفضت هذا العرض.

عندئذ قال كيسنجر أنه بما أننا وقفنا عند هاتين النقطتين في المفاوضات السابقة، فهل هناك أمل في تحرك جديد من ناحية مصر يمكن الرئيس الأمريكي من طرحه على إسرائيل والدخول معها في جولة جديدة من سياسة الخطوة خطوة بصرف النظر عن استغلالها للخلاف الراهن بين الكونجرس والحكومة الأمريكية؟

أدركت في الحال السبب الذى دفع كيسنجر لكى يطلب هذا الطلب. فعندما فشلت مهمة كيسنجر وطلب اجتماع الرئيس فورد بى في سالزبورج، كان معنى هذه الخطوة أن الرئيس فورد قرر أن يدخل الميدان بشخصه وثقله كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية بهدف الوصول إلى حل للمشكلة.

والحل الأمثل طبعًا هو أن يتم حل نهائي للمشكلة ولكن بالنسبة للظروف التي يجتازها الموقف الأمريكي داخليًا بعد ووترجيت وموقف الكونجرس من الرئيس الأمريكي فإن المتاح هو محاولة الخطوة خطوة مرة أخرى. وكانت هذه الحلول المطروحة سواء في إعادة تقييم السياسة الأمريكية من ناحية أمريكا أو من جانب مجموعة العمل المصرية التي تعمل معى في هذه القضية.

ومن هنا جاء استفسار كيسنجر عن إمكانية تحرك مصري جديد يُشكل نقطة انطلاق لفورد وفى الوقت ذاته يتحول إلى سلاح يواجه به جماعات الضغط الصهيوني في الكونجرس ومجلس الشيوخ وكل المواقع السياسية الحساسة في الولايات المتحدة، وذلك بعد أن اتفقنا أن الممكن فى هذه المرحلة هو الخطوة خطوة مرة أخرى في

سبيل الحل النهائي الذى يكون في جنيف بحضور جميع الأطراف وبعد أن يكون الموقف الأمريكي قد استجمع كل قوته.



الرئيسان السادات وفورد أثناء المؤتمر الصحفى الذى عقداه معًا فى سالزبورج وتعهد فيه فورد بأن تواصل أمريكا مساعديها لحل مشكلة الشرق الأوسط

والدليل على وجود هذه الضغوط الصهيونية، أنه قبل أن يُغادر فورد واشنطن في طريقه إلى سالزبورج وقع ستة وسبعون من الشيوخ الأمريكيين على عريضة تطالب الرئيس الأمريكي بتقديم كافة الأسلحة الحديثة والمعونات الاقتصادية والمساعدات العينية إلى إسرائيل، لأن تفوق إسرائيل هو الضمان الوحيد لاستقرار السلام في المنطقة. ولكن فورد نبهني إلى أن هذا الموضوع لا يجب أن يشغلنا عن المضي في عملنا، فهذه هي عادة المجال النيابية التي عمل بها طويلا، وأضاف أنني اشتغلت أيضًا رئيسًا لمجلس الأمة في مصر، ولذلك فنحن نعرف أن هذا التقليد النيابى القديم الذى لا يمنع أي نائب في المجلس من أن يكتب عريضة ثم يمر على زملائه لكى يجمع توقيعاتهم. ومعظم الأعضاء يلقون بنظرة غير متفحصة ثم يوقعون من فورهم. ومن حساباتنا في مجموعة العمل المصرية فإن الرقم الحقيقى للشيوخ المتعاطفين بالكامل مع إسرائيل لا يزيد عن ٢٢ من الستة والسبعين نائبًا الذين وقعوا العريضة كالمعتاد واضعين في اعتبارهم النفوذ الصهيوني على دوائرهم الانتخابية[١] وقد علمنا بعد ذلك من سفارتنا في واشنطن أن بعض الموقعين على العريضة اتصل تليفونيًا بالرئيس فورد بعد ذلك: وقالوا له أن توقيعاتهم لا تعنى أنهم يرفضون السلام، ولكنهم يهدفون فقط إلى الحفاظ على الكيان الإسرائيلي.

ولم أسأل الرئيس الأمريكي في ذلك.

حل لمواجهة الضغط

ولكن لكى يرتفع الرئيس فورد فوق كل هذه الاعتبارات المحلية والصراعات الداخلية، فإنه يحتاج إلى سلاح جوى جديد في يده يواجه به جماعات الضغط في كل مكان. هكذا كان رأى كيسنجر حتى تدخل القضية مرحلة جديدة. ولكننى أكدت أننى لا أملك عرضًا جديدًا فيما يختص بالنقطة الأولى وهى مدة صلاحية الاتفاق، وأنا

---

(١) السادات كان يعلم بأن هناك نفوذ صهيونى على الدوائر الانتخابية في أمريكا.. ومع ذلك كان يعتقد بأنه يمكن من خلال التنازلات التي قدمها لأمريكا أن يكسب صداقة أمريكا.. وأن تعامله كمعاملتها بإسرائيل.

مازلت عند كلمتى في حالة انسحابهم من المضايق والبترول، سأمد بقاء قوات الطوارئ الدولية سنويًا بدلا من ستة أشهر..

عندئذ قال كيسنجر أن إسرائيل تتخوف من أن يستخدم الاتحاد السوفييتى حق الفيتو ضد بقاء قوات الطوارئ الدولية على سبيل خلق المتاعب، لأنه لم يكن له دور في هذه الخطوة إذا تمت، أو أن يعترض في مجلس الأمن على وجود قوات الطوارئ. فماذا سيكون الوضع عندئذ؟

قلت لكيسنجر أن هذا لن يُقدم ولن يؤخر شيئًا بالنسبة لى طالما أننى موافق على وجود قوات الطوارئ على أرضى نتيجة لدفع عملية السلام. هذا بالإضافة إلى أننى عندما أرغب شخصيًا في إنهاء بقاء قوات الطوارئ الدولية فسأفعل هذا في الحال دون الحاجة إلى قرار من مجلس الأمن أو فيتو من الاتحاد السوفيتى. فهذه ليست مشكلة على الإطلاق فالمسألة مسألة نية وليست مجرد إجراءات شكلية. وقد سبق لنا أن نفذنا كل ما قمنا به من تعهدات. والأمريكان يعلمون جيدًا أن إسرائيل هي التي تخل دائمًا بالتزاماتها اعتمادًا على معاملة التدليل التي تلقاها من الأمريكان أنفسهم.

ولذلك فأنا أرى أن الأساس في حل المشكلة هو دخول أمريكا كضامنة بيننا وبين إسرائيل، وخاصة أن الامريكان يعرفوننا جيدًا ويثقون في كلمتنا كما نثق نحن في صدق الجهد الذى يبذله كيسنجر منذ أول لقاء لى معه في نوفمبر ١٩٧٣ بعد الحرب مباشرة لإقامة سلام مبنى على العدل. وقد حان الوقت أن تثق إسرائيل فيهم. لأنها على الرغم من كل ما تحصل عليه من أمريكا التي أنقذتها وأوقفتها على قدميها سواء في وقت الحرب أو السلم، على الرغم من كل هذ فإن إسرائيل لا تثق في أمريكا أبدًا كما أنها لا تثق في أية دولة أخرى. وهذه هي السمة الرئيسية لسلوك اليهود على مر العصور، فهم يشكون في كل الناس. وكانت نتيجة هذا الشك الأزلى أنهم كانوا يرفضون معاشرة الناس أو الاختلاط بهم على مر العصور: فانعزلوا في الجيتو والأحياء التي أغلقت عليهم في معظم مدن العالم.

وقد طلبت من جانبي أربعة مطالب لإكمال هذا التحرك هي:

أولا: أن يتم فض اشباك على الجبهة السورية.

ثانيًا: أن أحصل على ضمان أمريكي بعدم عدوان إسرائيل على سوريا.

ثالثًا: أن يشترك الفلسطينيون في التسوية في مؤتمر جنيف.

رابعًا: أن ينعقد مؤتمر جنيف بعد إتمام فض الاشتباك على الجبهتين..

وبالنسبة لمساهمة الأمريكان في حل القضية، فقد أردت أن يدخلوا كشهود على ما يجرى بيننا وبين إسرائيل لكى يحكموا بأنفسهم: من الذى يكذب ومن الذى يفى بتعهداته؟ فالقضية أصبحت لا تحتمل أي تلاعب أكثر من ذلك.

مشكلة جهاز الإنذار

وبالنسبة للنقطة الثانية الخاصة بجهاز الإنذار المبكر [المونيتور] فقد نوقشت في جلسة المباحثات الأخيرة في اليوم التالى وأكدت على عملية دخول أمريكا بكل وزنها في القضية عن طريق التقدم بعرض أمريكى يحدد المواقف بعد ذلك بناء على من سيقبله ومن سيرفضه. وبذلك يتحول تلاعب إسرائيل إلى التزام أمام الدولة الكبرى التي تمنحها كل شيء. وهناك سابقة مشابهة في فك الارتباط الأول الذى عندما أوشك على الانهيار، طلبت من كيسنجر أن يتقدم بعرض أمريكى إلى كل من مصر وإسرائيل. فقد كانت إسرائيل معبأة بعقد العظمة المنهارة وأحلام السيادة التي تلاشت أمام أكتوبر المجيد وغير قادرة على اتخاذ أي قرار. ولكن عندما تقدم كيسنجر بالعرض الأمريكي قبله الطرفان. ومن الصعب على إسرائيل بالطبع أن ترفض عرض الدولة التي بدونها لا حياة لها على الإطلاق.

ولكى تدخل أمريكا بكل وزنها في القضية وتتحول من موقع الخصم المعادى لنا إلى موقف الشاهد المحايد، طلبت منها أن تقوم ببناء جهاز إنذار مبكر شبيه بذلك الذى أقامته لإسرائيل حتى يكشف لنا نحن أيضًا عن التحركات الإسرائيلية.

وهذا الجهاز أحدث ما في العصر الإلكترونى من ابتكارات لأنه لا يكشف التحركات العسكرية فقط، ولكنه يقوم بالتشويش على أجهزة الرادار، واللاسلكى، وبطاريات الصواريخ، أي كل الأجهزة الحربية التي تستخدم الرادار واللاسلكى.

وكنت أعلم أن الاتحاد السوفيتى يملك هذا الجهاز، ولكننى إذا طلبته منهم فلن أحصل عليه بالتأكيد. وقد حكيت للشعب عن حكاية الأجهزة البدائية التي كانت لدينا ورفضوا أن يعمل عليها المصرين ثم سحبوها مع قرار سحب الخبراء ورفضوا بيعها لنا برغم أننى طلبت شراءها أكثر من مرة وكانت حجتهم أنها تحت التجربة مع أنها أجهزة عادية وبدائية ولديهم ما هو أحدث منها بمراحل. أما أمريكا ففي إمكانى أن أصل إلى قرار حاسم معها، وهذه هي السياسة الأمريكية التي لا ترتاح إلى أنصاف الحلول بصفة عامة.

ولذلك قبلت بقاء جهاز الإنذار المبكر الإسرائيلي على أساس حصولى على جهاز مثله وبشرط أن يشرف على الجهاز مدنيون أمريكيون، أي شهود على تحركات إسرائيل وتحركات على الجبهة منعًا لأية أكاذيب أو ادعاءات أو تلاعب في المستقبل.

وفى تلك اللحظة أدركت أن الرئيس فورد سياسى من الطراز الأول وليس رئيسًا مترددًا أو خائفًا وتنقصه الخبرة والباع الطول. كان يدخن البايب - مثلى تمامًا - ومن خلال الدخان المتصاعد صاح قائلا لكيسنجر "إن هذه العملية يمكن أن تكون مفتاحًا

لحل الموقف"، أي أنها ستلقى قبولا من كل الدوائر المعنية. كان كيسنجر مذهولا من المفاجأة ولكننى أضفت أن بقاء قوات الطوارئ الدولية لا يساوى شيئًا بجانب هذا العرض المصرى الجديد الذى كنت أهدف منه إلى أن أحصل على جهاز مثل هذا يعتبر إضافة كبيرة إلى قواتنا المسلحة. وأن لا يبقى أبنائى في القوات المسلحة في وضع يحصلون فيه على معلوماتهم عن عدوهم بطرق متخلفة خاصة وأن الاتحاد السوفيتى رفض أيضًا أن يجرى لنا الاستطلاع. بطائرات الفوكسبات وقد سحبها أخيرًا. كما أعلنت للشعب.

دهاء كيسنجر

ولكن كيسنجر لم يرغب في التخلي عن دهائه، فسألنى عن المصدر الذى سأحصل منه على جهاز الإنذار المبكر.

فأجبته بمنتهى البساطة أننى سأقوم بشرائه من أمريكا نفسها فكما أنهم أرسلوا هذا الجهاز إلى الإسرائيليين كأصدقاء، فنحن نطلب الجهاز بنفس الشروط لأننا أصدقاء الأمريكان أيضًا، ولكن ليس على سبيل المنحة لأننا سنشتريه. وسيقوم بالعمل عليه مصريون وبذلك ندخل عصر أحدث تكنولوجيا ويحصل أبنائى في القوات المسلحة على أرقى ما وصل إليه العلم.

وبالفعل حاز هذا العرض إعجاب الرئيس فورد ووافق على أن يبيعنى هذا الجهاز بكل ما فيه من تكنولوجيا غالية ويتكلف ثمنه كثر من مائة مليون دولار.

الناحية الاقتصادية

بالنسبة للناحية الاقتصادية أفهمت الأمريكان أن المطلوب لتدعيم اقتصادنا ليس ١٥٠٠ مليون دولا كما يتصورون، ولكنه ١٥٠٠ مليون جنيه استرلينى. وسأحصل على نصف المبلغ من العرب كقروض طويلة وبفوائد مخففة، وبفترة سماح أربع أو خمس سنوات بحيث أبدأ في لدفع المنتظم بمجرد أن يقف اقتصادنا على قدميه، وأخذ نقطة الابتداء ثم الانطلاق بعدها.

أما المعونات الخيرية فأنا أرفضها رفضًا باتًا على سبيل المبدأ. والسعودية والكويت وقطر وأبو ظبى على أتم استعداد لإقراضى بأكثر من نصف المبلغ. أما عن أمريكا فأنا أعلم أنها لم تستطيع معونتى بأكثر من ٥٠٠ مليون دولار - كما علمت من الرئيس الأمريكي من قبل - على أساس ٢٥٠ مليون دولار للصندوق و٢٥٠ للمعونة العادية مثل تلك التي حصلنا عليها في العام الماضى [١٩٧٤].

وطلبت من فورد أن يعمل على تدبير النصف الآخر كقروض طويلة الأجل منه ومن حلفائه وقد قبل الرئيس فورد.

الفضل لحرب أكتوبر

وهكذا كان اجتماع سالزبورج اجتماعًا مثمرًا وبناء للغاية. فلم يقتصر فقط على جس النبض والتعارف، بل تخطى هذه المرحلة إلى مرحلة الالتقاء في وجهات نظر عديدة مما أضاف أبعادًا جديدة إلى العلاقات المصرية الأمريكية التي كان الفضل في عودتها إلى مجاريها الطبيعية يرجع إلى حرب أكتوبر والمساعي الحميدة والجهود المشكورة التي بذله الدكتور كيسنجر في فض الاشتباك الأول.



حديث ضاحك بين الرئيس السادات والرئيس الأمريكى فورد خلال لقاء القمة فى سالزبورج

وفي اعتقادى أن أهم شيء خرجنا به من اجتماع سالزبورج - وهذا ما قلته لحسني مبارك وإسماعيل فهمي - تلك الصداقة التي ترعرعت بيننا وبين فورد: حتى لو لم يتم شيء بخصوص النقاط التي نوقشت. فمجرد الاحتفاظ بأمريكا إلى جانبنا مكسب كبير في حد ذاته. ولذلك نبهت الرئيس الأمريكي إلى هذا وأعربت له عن إصرارى على الاختيار الأول الذى يحمل في طياته التصور الشامل والحل الكامل لمشكلة الشرق الأوسط من جانب أمريكا. وخاصة أن وقوف أمريكا إلى جانب الحق العربى في جنيف سيغير الوضع كلية بما يتيح للمشكلة أن تتحرك في طريق الحل أخيرًا. أما إذا نجحت إسرائيل في أن تجعل أمريكا تنحاز كلية إلى جانبها فمعنى ذلك أن المشكلة ستتجمد إلى ما لا نهاية. هذا إذا لم تتعقد أكثر وتصبح مستعصية على الحل بحيث لا تجرؤ أية قوة في العالم على الاقتراب منها.

المزايدون العرب

ومنذ فض الاشتباك الأول مع أمريكا قررت التعامل مع الأصل وليس مع الفرع. فأمريكا تملك مفتاح الموقف كله، أما إسرائيل فكلها متاهات جانبية وطرق مسدودة. ولكن بعض العرب يزايد عن خبث وسوء نية، والبعض الآخر يتصرف بناء على انفعال أهوج، وضيق أفق، وعدم استيعاب لمتغيرات العصر. ولذلك لا يفهمون معنى إصرارى على التعاون مع أمريكا فهى تملك مفتاح الموقف كله وفى يدها كل أوراق

اللعبة أو القضية في الشرق الأوسط سواء شئنا أو لم نشأ، رضينا أو لم نرض. فإذا فشلت الخطوة خطوة يمكننا الذهاب إلى جنيف دون شك أو تخوف من الموقف الأمريكي. وبذلك نمنع الاستقطاب وحالة الركود الناتجة عنه عندما تنحاز أمريكا تمامًا إلى جانب إسرائيل، ويقف الاتحاد السوفيتى إلى جانب العرب بأسلوبه المعروف.

ومن هنا كان حرصى على أن تظل أمريكا محايدة إلى الحد الذى تسمح به الأوضاع الأمريكية بيننا وبين إسرائيل في حالة إذا لم نجعلها إلى جانبنا. فالنظرة الأمريكية عندما تكون موضوعية وغير منحازة انحيازًا أعمى كما كان الحال في سنة ١٩٦٧ وما قبلها وما بعدها مكسب كبير في حد ذاته وفى أية مرحلة من المراحل سواء نجح كيسنجر في سياسة الخطوة خطوة أم فشل، سواء نجح في مؤتمر جنيف أم فشل. فلابد وأن نواجه مشكلتنا ونحلها طالما أن الله عز وجل قد منحنا العقل الذى نفكر به، والإرادة التي نستمر بها، والقرار المستقل الذى يمكن أن نصدره دون خوف من أحد. فنحن نعرف صالحنا والقرار الذى يمكن أن يصدر عنه.

وأمريكا تعلم جيدًا أننا خرجنا نهائيًا من المأزق الذى وقعنا فيه منذ عام ١٩٦٧. وبعد أكتوبر ١٩٧٣ صدرنا المأزق بالكامل إلى إسرائيل التي أصبحت تواجه بمأزق جديد في كل خطوة تخطوها. وأصبح الانسحاب ضرورة حتمية لا مفر منها بالنسبة لها. وسواء رفضت سياسة الخطوة خطوة كما أحرجت أمريكا في مارس ١٩٧٥، أو رفضت مؤتمر جنيف، فكل هذا الرفض تأكيد للمأزق الذى عجزت عن الخروج منه.

الأعصاب الهادئة

أما أنا فأعصابى هادئة تمامًا، وتفكيرى بعيد كل البُعد عن الانفعال والتشنج، وتصرفاتى محسوبة ومدروسة، وقراراتى حرة وملك يدى بالكامل، ولك خطوة جديدة في المستقبل هي لصالح وطنى طالما أننا نملك اليقظة الكاملة لكل مناورات إسرائيل وتلاعبها.

وهذا ـ للأسف ـ ما لا يدركه المزايدون العرب، أو ما لا يريدون إدراكه. ومع ذلك فإنه لا يصح إلا الصحيح. والدليل على ذلك أننى نجحت في كسب صداقة الرئيس الأمريكي علاوة على الأرض التي كسبناها داخل الشعب الأمريكي لدرجة أنه عندما تسببت إسرائيل في فشل مهمة كيسنجر، أجرى استفتاء لقياس الرأي العام الأمريكي. وكانت نتيجة الاستفتاء أن ٥٠٪ من الرأي العام الأمريكي يعرف أبعاد موقفى تمامًا. مع أنه كان من المفروض أن يحدث العكس نظرًا لسيطرة الصهيونية على وسائل

قياس الرأي العام، وأجهزة الإعلام والدعاية[1]. فيكفى أن تدرك أمريكا أن إسرائيل لا تعبأ بالوزن العالمى للسياسة الأمريكية في المنطقة، بل أنها تعمل على تشويه صورتها بوضعها في موقف الدولة العاجزة عن اتخاذ أي قرار حاسم. وهذا ما يثير حنق الولايات المتحدة وخاصة في مواجهة الاتحاد السوفيتى.

البيت الأبيض أخيرًا

هكذا أصبح البيت الأبيض بيتًا صديقًا لأول مرة منذ عشرين عامًا من العلاقات المتوترة والمتدهورة والمقطوعة بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية.

ولم يكن الطريق إلى البيت الأبيض محاطًا بالورود، بل كان مُلغمًا بالأشواك والمتفجرات. وللحقيقة والتاريخ فقد أثبت البيت الأبيض نيته الطيبة من خلال مساعيه الحميدة وجهوده المشكورة لنزع الأشواك والمتفجرات. وكان عند كلمته دائمًا احترامًا لمكانته العالمية. وكان من الطبيعى أن تقابل هذه الروح الطيبة والمساعى الحميدة والجهود المشكورة بكل ترحاب من جانبنا.

وبذلك أصبح الطريق إلى البيت الأبيض طريقًا مأمونًا بعد أن طهره الجانبان: المصرى والأمريكي من كل قطاع الطرق الذين أغرمت إسرائيل بإرسالهم من حين لآخر، وبثهم على جانبي الطريق حتى يقضوا على كل احتمالات اللقاء بين جمهورية مصر العربية والولايات المتحدة الأمريكية.

ولقد كان أول اتصال لى كما قلت بالرئيس الأمريكي بعد انتخابى رئيسًا لمصر أقول كان أول اتصال لى مع البيت الأبيض يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠[2] أي بعد ولايتى بشهرين وقلت يومها في رسالتى للرئيس نيكسون ضمن ما قلت في رسالتى أن لكل فعل منكم رد فعل منا فإن كان خيرًا خطونا نحوكم بالخير. وأنا كان سيئًا رددنا عليه بمثله.

ولقد خطا البيت الأبيض خطوته بالخير بعد أكتوبر المجيد.. وسيكون ردنا بالزيارة للبيت الأبيض وكلنا ثقة بأنفسنا بخطوة أكثر خيرًا..

هذه هي مصر العربية الخالدة.. أصالة وصلابة وإيمان.

*** تم ما سُمِح بنشره من المذكرات ***

(١) يؤكد السادات من قبل على سيطرة النفوذ الصهيوني على الدوائر الانتخابية الأمريكية.. وهنا يؤكد على سيطرتهم على وسائل الإعلام.. ورغم ذلك كان مُصرًا على أنه يمكن أن يكون صديقًا لأمريكا من خلال تقديم التنازلات.

(٢) الخميس ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠م - ٢٦ شوال ١٣٩٠هـ

العريضـة التى وقعها ٧٦ شيخا لم تكن تعبر الا عن رأى ٢٢ شيـخا

قلت ان استخدام السوفيت لحق الفيتو لا يقدم ولا يؤخر شيئا
اسرائيل لا تثق فى أمريكا ولا فى أى دولة أخرى

مذكرات الرئيس السادات



البيت الأبيض .. بعد كل هذا



حديث ضاحك بين الرئيس السادات والرئيس الامريكى فورد خلال لقاء القمة فى سالزبورج .

مطالب صممت عليها :

❶ فض الاشتباك على الجبهة السورية
❷ ضمان أمريكى بعدم اعتداء اسرائيل على سوريا
❸ اشتراك الفلسطينيين فى مؤتمر جنيف
❹ أن ينعقد مؤتمر جنيف بعد فض الاشتباك على الجبهتين

ظن الاسرائيليون بعد ذلك ان التحرك نحو السلام قد فقد قوة الدفع اللازمة له واطمانوا بعض الشىء ولكن يقظتنا كانت تحتم علينا الا نترك زمام المبادرة لكى يفلت من ايدينا . ولعل هذا هو السبب الجوهرى وراء اجتماعى بالرئيس فورد فى سالزبورج فى اول يونيو ١٩٧٥ . وهو الاجتماع الذى بدا باقامتى مادبة غداء للرئيس فورد فى قلعة فوتشيل شلوس القديمة التى نزلت بها ، وتقع على بحيرة فى وسط الجبال حيث جمال الخالق يحيطها من كل جانب . حضر فورد الغداء والقى كلمته . وكانت هذه اول مرة القاه فيها .

ان الرئيس فورد من زعماء العالم الذين يرتاح اليهم الانسان من اول لقاء وهذا يرجع الى سمات البساطة والوضوح والطيبة التى تبدو على وجهه وفى سلوكه . وكنت قد شاهدت فيلما عن الرئيس فورد فى اول لقاء له مع اعضاء الكونجرس بعد توليه . ومن الفيلم ادركت ان كل ما فى الرئيس فورد ينم عن الصدق والصراحة والوضوح ، سواء فى كلامه او هيئته او سلوكه . وعندما قابلته شخصيا تأكدت لدى الفكرة التى كونتها من الفيلم. فكان اهم ما ركز عليه فى الكلمة التى القاها على الغداء **ان امريكا لن تسمح بتجمد الموقف او تجميده مرة اخرى . وكان ردى عليه انه حان وقت اتخاذ القرارات الحاسمة ، وامريكا ليست فى حاجة لكى نعيد على مسامعها ان كل الاوراق فى يديها ، وانها المصدر الرئيسى للحياة فى اسرائيل سواء فى السلم او فى الحرب ، وانها الدولة الوحيدة فى العالم التى يمكنها ان تؤثر على اسرائيل تاثيرا حاسما . والتاثير الحاسم لابد وان يحتاج الى قرار حاسم وهو ما يتحتم على امريكا ان تتخذه الان حفاظا على وزنها الدولى الكبير فى منطقة الشرق الاوسط**

بعد الظهر ذهبنا الى القصر الذى ستعقد فيه المباحثات . وكان الوفد الامريكى مكونا من الرئيس جيرالد فورد ووزير الخارجية هنرى كيسنجر ومساعد وزير الخارجية جوزيف سيسكو ، وكنت على راس الوفد المصرى الذى تكون من نائب رئيس الجمهورية محمد حسنى مبارك ونائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية اسماعيل فهمى . وبدات الجلسة الاولى بطرق المشكلة راسا .

وطلب الرئيس فورد منى ان اشرح له وجهة نظرى، فاوضحتها له فى الخطوط الرئيسية التى تتمثل فى ان مفتاح **الموقف كله فى يد امريكا لانه لا قائمة لاسرائيل ولا كيان لها بدون امريكا ، ومع ذلك فانه امر شاذ للغاية ان تعمل اسرائيل على ضرب سياسة امريكا فى المنطقة القائمة على عدم تجميد الموقف فى المنطقة من اجل حل يقوم على العدل ، وتعمد اسرائيل الى تشويه وجه امريكا بافشال سياسة الخطوة بخطوة . وهى السياسة التى جوهرها هو دفع الموقف باستمرار لتجنب التجمد ، وهى السياسة التى يعمل الاتحاد السوفيتى كل جهده لمهاجمتها وافسادها والتندر عليها ومحاولة تاليب من يدورون فى فلكه فى العالم العربى لضرب التضامن العربى . وبهذا تكون اسرائيل متحالفة مع الاتحاد السوفيتى ضد الولايات المتحدة .**

وفى نهاية تحليلى للموقف ذكرت اننى قلت لكيسنجر اثناء قيامه بمفاوضات الخطوة خطوة ان سياسته لن تنجح لانه من الواضح ان اسرائيل تستغل الخلاف الراهن بين الكونجرس والحكومة الامريكية لكى تنفذ منه الى التخلص من كيسنجر حتى تكسب الوقت وتصل الى الانتخابات عام ١٩٧٦ ، وهو العام الذى تعجز فيه السياسة الامريكية عن التحرك والحسم . وبعد ذلك ياتى عام ١٩٧٧ على امل ان يكون الموقف العربى قد تفتت . فاسرائيل تعتقد ان العرب عاطفيون وانفعاليون ، ولذلك فان السياسة الاسرائيلية تضع فى اعتبارها دائما ان العرب عاجزون عن التماسك مدة طويلة . وهى فى انتظار التفكك ان عاجلا او آجلا من هنا كانت استماتتها لكى تكسب الوقت بقدر الامكان .

ومن ناحية اخرى فقد اكدت فى مباحثاتى مع فورد ان اسرائيل تخشى السلام ولا تقدر على صنعه . لقد ظلت زهاء ٢٦ او ٢٧ عاما تتغنى بكلمة السلام حتى صدق العالم انها الدولة الوديعة المحبة للسلام وان ماساتها انها وقعت وسط غابة من الوحوش المتصارعة . وقد ساعد العرب اسرائيل فى تكوين هذه الصورة البشعة لهم بسبب اصرارهم على رفض اى خطوة ايجابية لكسب العالم الى جانب قضيتهم العادلة وتركوا بذلك الميدان خاليا لاسرائيل لكى تصول وتجول فيه كما تهوى .

وبذلك اصبحت اسرائيل رمزا للسلام والحضارة والمدنية والتقدم ، بينما صار العرب رمزا للحرب والتخلف والدمار والرجعية برغم انهم اصحاب القضية العادلة .

لقد تمكنت اسرائيل من تخدير العالم باحلام السلام بتاكيدها أن كل املها فى الدنيا يتمثل فى اقامة سلام بينها وبين العرب .

وعندما ظهر رئيس عربى قادر على توقيع اتفاقية سلام اسقط فى يد اسرائيل التى سحب من يدها اخطر سلاح استعملته لكسب الراى العام العالمى الى جانبها . ولم اعلن عن استعدادى لتوقيع اتفاقية سلام بعد المعركة فقط فى ١٩٧٣ بل صرحت بهذا منذ عام ١٩٧١ . فاين ذهب تغنى اسرائيل بامل السلام البعيد الذى اصبح قريبا ؟

ان اسرائيل تخشى السلام ولا تحب ولا تقدر على صنعه لانها دولة اقامت كيانها على الحرب والعدوان . فهى اما تعيش فى حرب فعلية او على امل حرب مقبلة. وكل المعونات الحربية والسلمية تستمدها من اكاذيبها التى تنشرها فى كل مكان ، والتى تدعى فيها ان العرب يهددون كيانها بينما الواقع يؤكد انها هى التى تهدد الكيان العربى كله من حين لاخر بدليل انها ضاعفت مساحتها عدة مرات ، وكان العرب يخسرون دائما .

واوضحت ايضا أمام فورد أن اسرائيل لا تملك الحكومة القوية التى تستطيع ان تحقق السلام او حتى تتحرك فى اتجاهه . فحكومة رابين حكومة ضعيفة جدا كقيادة وكزعامة ، ورابين لا يستطيع مصارحة شعبه بحقائق الموقف . بينما الشعب الاسرائيلى نفسه يعيش نفس حالات التشتت والتمزق والضياع التى عانيناها فى مصر وفى الامة العربية جمعاء قبل معركة اكتوبر ١٩٧٣ . وما زال الجميع فى اسرائيل يتعلقون بنظرية الامن القديمة التى اكل عليها الدهر وشرب . وهى النظرية التى تنادى بفرض الصلح بالقوة على العرب ، والتفوق فى السلاح والسيادة على الجو وكل العناصر التى من شانها استمرار الاستسلام العربى كاملا .

ماذا يواجه فورد ..

وبعد الانتهاء من تحليلى للموقف قلت لفورد بصراحة انه امام امتحان ونامل ان يجتازه بنجاح . وموقفه يشبه الى حد كبير موقف الرئيس ايزنهاور عام ١٩٥٦ عندما هجمت اسرائيل ــ بتواطؤ مع بريطانيا وفرنسا ــ على مصر فى ٣١ اكتوبر اى قبل الانتخابات الامريكية باسبوع واحد فقط على اساس ان الرئيس الامريكى سيكون مشغولا بالانتخابات ، وعاجزا عن اتخاذ اى قرار حاسم ضد العدوان . ولكن ايزنهاور كان زعيما شريفا ووقف بكل حزم واتخذ قراره بكل حسم . ولم يكن قراره ضد اسرائيل فقط ؛ بل كان ضد بريطانيا وفرنسا ايضا . ومع ذلك نجح فى الانتخابات ضاربا باصوات اليهود الامريكيين عرض الحائط . اذن فالقضية تحتاج الى جراة واقدام ، وكل المطلوب هو اتخاذ موقف حازم يتوجه قرار حاسم .

عقب فورد على كلمتى باقتناع كامل فى ان لا يتجمد الموقف مهما كان الجهد الذى يبذل لكى تستمر قوة الدفع لعملية السلام واقترح ان تقوم امريكا بمحاولة اخرى على طريق الخطوة خطوة .. ووافقت بعد ان حللنا الموقف تحليلا كاملا من وجهة نظر استمرار الدفع . وصرح بانه وصل الى هذا الاقتناع بالفعل .

وعندئذ تدخل كيسنجر مستفسرا من النقطة التى توقفت عندها المفاوضات فى المرحلة الماضية . وكنا قد وقفنا عند نقطتين :

الاولى : مدة صلاحية الاتفاق .

والثانية : جهاز الانذار المبكر [المونيتور] الذى تضعه اسرائيل على المضايق لكى تكتشف به كل التحركات على جبهتنا .

وفيما يختص بالنقطة الاولى كان الاسرائيليون يطالبون بان ينص الاتفاق على ان تكون مدته من ثلاث الى خمس سنوات. وبالطبع رفضنا هذا الشرط الذى نوقش فى مفاوضات كيسنجر فى مارس ١٩٧٥ . وحددت موقفى باننى أكتفى بكلمة واحدة اقولها وهى اننى مستعد لتجديد بقاء قوات الطوارىء الدولية سنويا بدلا من كل ستة اشهر . ولا يمكن ان اعد باكثر من هذا فى نقطة مدة صلاحية الاتفاق ، فساجددها سنويا على اساس ان عملية السلام مستمرة ومتقدمة . ولا يعقل ان اجددها كل سنة بينما عملية السلام متجمدة واقفة فى محلها . اى انه لا يمكن الفصل بين شرط تجديد المدة وشرط تقدم عملية السلام . واعطيت كلمتى للرئيس فورد ان اراعى فى حساباتى سنة الانتخابات .

اما بالنسبة للنقطة الثانية التى تدور حول جهاز الانذار المبكر [المونيتور] الذى يكشف عن تحركاتنا وموضوع بقائهم فى ممر من الممرات ، فان الاسرائيليين يبدون استعدادهم للخروج من المضايق بشرط استبقاء هذا الجهاز فى موقعه . **ولكننى رفضت هذا العرض .**

عندئذ قال كيسنجر انه بما اننا وقفنا عند هاتين النقطتين فى المفاوضات السابقة ، فهل هناك امل فى تحرك جديد من ناحية مصر يمكن الرئيس الامريكى من طرحه على اسرائيل والدخول معها فى جولة جديدة من سياسة الخطوة خطوة بصرف النظر عن استغلالها للخلاف الراهن بين الكونجرس والحكومة الامريكية ؟

ادركت فى الحال السبب الذى دفع كيسنجر لكى يطلب هذا الطلب . فعندما فشلت مهمة كيسنجر وطلب

○ البقية صفحة ٤ ◄



البيت الأبيض .. بعد كل هذا

اذا لم نجعل أمريكا تقف الى جانبنا فهل يمكن أن تقف محايدة ؟

● ماذا قلنا حول جهاز الانذار ؟
● هل يمكن أن يقف فورد موقف أيزنهاور ؟
● انى أرفض المعونات الخيرية رفضا باتا

اجتماع الرئيس فورد بى فى سالزبورج ، كان معنى هذه الخطوة ان الرئيس فورد قرر ان يدخل الميدان بشخصه وثقله كرئيس للولايات المتحدة الامريكية بهدف الوصول الى حل للمشكلة .

والحل الامثل طبعا هو ان يتم حل نهائى للمشكلة ولكن بالنسبة للظروف التى يجتازها الموقف الامريكى داخليا بعد ووترجيت وموقف الكونجرس من الرئيس الامريكى فان المتاح هو محاولة الخطوة خطوة مرة اخرى . وكانت هذه هى الحلول المطروحة سواء فى اعادة تقييم السياسة الامريكية من ناحية امريكا او من جانب مجموعة العمل المصرية التى تعمل معى فى هذه القضية .

ومن هنا جاء استفسار كيسنجر عن امكانية تحرك مصرى جديد يشكل نقطة انطلاق لفورد وفى الوقت ذاته يتحول الى سلاح يواجه به جماعات الضغط الصهيونى فى الكونجرس ومجلس الشيوخ وكل المواقع السياسية الحساسة فى الولايات المتحدة، وذلك بعد ان اتفقنا ان الممكن فى هذه المرحلة هو الخطوة خطوة مرة اخرى فى سبيل الحل النهائى الذى يكون فى جنيف بحضور جميع الاطراف وبعد ان يكون الموقف الامريكى قد استجمع كل قوته .

والدليل على وجود هذه الضغوط الصهيونية ، انه قبل ان يغادر فورد واشنطن فى طريقه الى سالزبورج وقع ستة وسبعون من الشيوخ الامريكيين على عريضة تطالب الرئيس الامريكى بتقديم كافة الاسلحة الحديثة والمعونات الاقتصادية والمساعدات العينية الى اسرائيل ، لان تفوق اسرائيل هو الضمان الوحيد لاستقرار السلام فى المنطقة . **ولكن فورد نبهنى الى ان هذا الموضوع لا يجب ان يشغلنا عن المضى فى عملنا ، فهذه هى عادة المجالس النيابية التى عمل بها طويلا ، واضاف اننى اشتغلت ايضا رئيسا لمجلس الامة فى مصر ، ولذلك فنحن نعرف هذا التقليد النيابى القديم الذى لا يمنع اى نائب فى المجلس من ان يكتب عريضة ثم يمر على زملائه لكى يجمع توقيعاتهم . ومعظم الاعضاء يلقون بنظرة غير متفحصة ثم يوقعون من فورهم . ومن حساباتنا فى مجموعة العمل المصرية فان الرقم الحقيقى للشيوخ المتعاطفين بالكامل مع اسرائيل لا يزيد عن ٢٢ من الستة والسبعين نائبا الذين وقعوا العريضة كالمعتاد واضعين فى اعتبارهم النفوذ الصهيونى على دوائرهم الانتخابية وقد علمنا بعد ذلك من سفارتنا فى واشنطن ان بعض الموقعين على العريضة اتصل تليفونيا بالرئيس فورد بعد ذلك : وقالوا له ان توقيعاتهم لا تعنى انهم يرفضون السلام ، ولكنهم يهدفون فقط الى الحفاظ على الكيان الاسرائيلى .**

ولم اسأل الرئيس الامريكى فى ذلك .

حل لمواجهة الضغط

ولكن لكى يرتفع الرئيس فورد فوق كل هذه الاعتبارات المحلية والصراعات الداخلية ، فانه يحتاج الى سلاح جديد فى يده يواجه به جماعات الضغط فى كل مكان . هكذا كان راى كيسنجر حتى تدخل القضية مرحلة جديدة . ولكننى اكدت اننى لا املك عرضا جديدا فيما يختص بالنقطة الاولى وهى مدة صلاحية الاتفاق ، وانا مازلت عند كلمتى فى حالة انسحابهم من المضايق والبترول ، سأمد **بقاء قوات الطوارىء الدولية سنويا بدلا من ستة اشهر ..**

عندئذ قال كيسنجر ان اسرائيل تتخوف من ان يستخدم الاتحاد السوفيتى حق الفيتو ضد بقاء قوات الطوارىء الدولية على سبيل خلق المتاعب ، لانه لم يكن له دور فى هذه الخطوة اذا تمت ، او ان يعترض فى مجلس الامن على وجود قوات الطوارىء . فماذا سيكون الوضع عندئذ ؟

قلت لكيسنجر ان هذا لن يقدموا أو يؤخر شيئا بالنسبة لى طالما اننى موافق على وجود قوات الطوارىء على ارضى نتيجة لدفع عملية السلام . هذا بالاضافة الى اننى عندما ارغب شخصيا فى انهاء بقاء قوات الطوارىء الدولية فسأفعل هذا فى الحال دون الحاجة الى قرار من مجلس الامن او فيتو من الاتحاد السوفيتى . فهذه ليست مشكلة على الاطلاق فالمسألة مسألة نية وليست مجرد اجراءات شكلية . وقد سبق لنا أن نفذنا كل ما قمنا به من تعهدات . والامريكان يعلمون جيدا ان اسرائيل هى التى تخل دائما بالتزاماتها اعتمادا على معاملة التدليل التى تلقاها من الامريكان انفسهم .

ولذلك فانا ارى أن الاساس فى حل المشكلة هو دخول امريكا كضامنة بيننا وبين اسرائيل ، وخاصة أن الامريكان يعرفوننا جيدا



الرئيسان السادات وفورد اثناء المؤتمر الصحفى الذى عقداه معا فى سالزبورج وتعهد فيه فورد بان تواصل امريكا مساعيها لحل مشكلة الشرق الاوسط .

ويثقون فى كلمتنا كما نثق نحن فى صدق الجهد الذى يبذله كيسنجر منذ اول لقاء لى معه فى نوفمبر ١٩٧٣ بعد الحرب مباشرة لاقامة سلام مبنى على العدل . وقد حان الوقت ان تثق اسرائيل فيهم . لانها على الرغم من كل ما تحصل عليه من امريكا التى انقذتها واوقفتها على قدميها سواء فى وقت الحرب او السلم ، **على الرغم من كل هذا فان اسرائيل لا تثق فى امريكا ابدا كما انها لا تثق فى اية دولة اخرى . وهذه هى السمة الرئيسية لسلوك اليهود على مر العصور ، فهم يشكون فى كل الناس . وكانت نتيجة هذا الشك الازلى انهم كانوا يرفضون معاشرة الناس او الاختلاط بهم على مر العصور : فانعزلوا فى الجيتو او الاحياء التى اغلقت عليهم فى معظم مدن العالم .**

وقد طلبت من جانبى اربعة مطالب لاكمال هذا التحرك هى :

اولا : ان يتم فض اشتباك على الجبهة السورية

ثانيا : ان احصل على ضمان امريكى بعدم عدوان اسرائيل على سوريا

ثالثا : ان يشترك الفلسطينيون فى التسوية فى مؤتمر جنيف

رابعا : ان ينعقد مؤتمر جنيف بعد اتمام فض الاشتباك على الجبهتين ..

وبالنسبة لمساهمة الامريكان فى حل القضية ، فقد اردت ان يدخلوا كشهود على ما يجرى بيننا وبين اسرائيل لكى يحكموا بانفسهم : من الذى يكذب ومن الذى يفى بتعهداته ؟ **فالقضية اصبحت لا تحتمل اى تلاعب اكثر من ذلك .**

مشكلة جهاز الانذار

وبالنسبة للنقطة الثانية الخاصة بجهاز الانذار المبكر [المونيتور] فقد نوقشت فى جلسة المباحثات الاخيرة فى اليوم التالى واكدت على عملية دخول امريكا بكل وزنها فى القضية عن طريق التقدم بعرض امريكى يحدد المواقف بعد ذلك بناء على من سيقبله ومن سيرفضه . وبذلك يتحول تلاعب اسرائيل الى التزام امام الدولة الكبرى التى تمنحها كل شىء . وهناك سابقة مشابهة فى فك الارتباط الاول الذى عندما اوشك على الانهيار ،طلبت من كيسنجر ان يتقدم بعرض امريكى الى كل من مصر واسرائيل . فقد كانت اسرائيل معبأة بعقد العظمة المنهارة واحلام السيادة التى تلاشت امام اكتوبر المجيد وغير قادرة على اتخاذ اى قرار . ولكن عندما تقدم كيسنجر بالعرض الامريكى قبله الطرفان . ومن الصعب على اسرائيل بالطبع ان ترفض عرض الدولة التى بدونها لا حياة لها على الاطلاق .

ولكى تدخل امريكا بكل وزنها فى القضية وتتحول من موقع الخصم المعادى لنا الى موقف الشاهد المحايد ، طلبت منها ان تقوم ببناء جهاز انذار مبكر شبيه بذلك الذى اقامته لاسرائيل حتى يكشف لنا نحن ايضا عن التحركات الاسرائيلية .

وهذا الجهاز احدث ما فى العصر الاليكترونى من ابتكارات لانه لا يكشف التحركات العسكرية فقط ، ولكنه يقوم بالتشويش على اجهزة الرادار ، واللاسلكى ، وبطاريات الصواريخ ، اى كل الاجهزة الحربية التى تستخدم الرادار واللاسلكى .

وكنت اعلم ان الاتحاد السوفيتى يملك هذا الجهاز ، ولكننى اذا طلبته منهم فلن احصل عليه بالتأكيد . وقد حكيت للشعب عن حكاية الاجهزة البدائية التى كانت لدينا ورفضوا ان يعمل عليها المصريون ثم سحبوها مع قرار سحب الخبراء ورفضوا بيعها لنا برغم اننى طلبت شراءها اكثر من مرة وكانت حجتهم انها تحت التجربة مع انها اجهزة عادية وبدائية ولديهم ماهو احدث منها بمراحل . أما امريكا ففى امكانى ان اصل الى قرار حاسم معها ، وهذه هى السياسة الامريكية التى لا ترتاح الى انصاف الحلول بصفة عامة .

ولذلك قبلت بقاء جهاز الانذار المبكر الاسرائيلى على اساس حصولى على جهاز مثله وبشرط ان يشرف على الجهازين مدنيون امريكيون ، اى شهود على تحركات اسرائيل وتحركاتى على الجبهة منعا لاية اكاذيب او ادعاءات او تلاعب فى المستقبل .

وفى تلك اللحظة ادركت ان الرئيس فورد سياسى من الطراز الاول وليس رئيسا مترددا او خائفا وتنقصه الخبرة والباع الطويل . كان يدخن البايب — مثلى تماما — ومن خلال الدخان المتصاعد صاح قائلا لكيسنجر « ان هذه العملية يمكن ان تكون مفتاحا لحل الموقف » ، اى انها ستلقى قبولا من كل الدوائر المعنية . كان كيسنجر مذهولا من المفاجأة ولكننى اضفت ان بقاء قوات الطوارىء الدولية لا يساوى شيئا بجانب هذا العرض المصرى الجديد الذى كنت اهدف منه الى ان احصل على جهاز مثل هذا يعتبر اضافة كبيرة الى قواتنا المسلحة . وان لا يبقى ابنائى فى القوات المسلحة فى وضع يحصلون فيه على معلوماتهم عن عدوهم بطرق متخلفة خاصة وأن الاتحاد السوفيتى رفض ايضا ان يجرى لنا الاستطلاع . بطائرات التوكسبات وقد سحبها اخيرا . كما اعلنت للشعب .

دهاء كيسنجر

ولكن كيسنجر لم يرغب فى التخلى عن دهائه ، فسألنى عن المصدر الذى ساحصل منه على جهاز الانذار المبكر .

فاجبته بمنتهى البساطة اننى سأقوم بشرائه من امريكا نفسها فكما انهم ارسلوا هذا الجهاز الى الاسرائيليين كاصدقاء ،فنحن نطلب الجهاز بنفس الشروط لاننا اصدقاء الامريكان ايضا ، ولكن ليس على سبيل المنحة لاننا سنشتريه . وسيقوم بالعمل عليه مصريون وبذلك ندخل عصر احدث تكنولوجيا ويحصل ابنائى فى القوات المسلحة على ارقى ما وصل اليه العلم .

وبالفعل حاز هذا العرض اعجاب الرئيس فورد ووافق على ان يبيعنى هذا الجهاز بكل مافيه من تكنولوجيا غالية ويتكلف ثمنه اكثر من مائة مليون دولار .

الناحية الاقتصادية

بالنسبة للناحية الاقتصادية افهمت الامريكان ان المطلوب لتدعيم اقتصادنا ليس ١٥٠٠ مليون دولار كما يتصورون ، ولكنه ١٥٠٠ مليون جنيه استرلينى . وساحصل على نصف المبلغ من العرب كقروض طويلة وبفوائد مخففة ، وبفترة سماح اربع او خمس سنوات بحيث ابدأ فى الدفع المنتظم بمجرد ان يقف اقتصادنا على قدميه ، واخذ نقطة الابتداء ثم الانطلاق بعدها .

اما المعونات الخيرية فانا ارفضها رفضا باتا على سبيل المبدأ . والسعودية والكويت وقطر وابو ظبى على اتم استعداد لاقراضى باكثر من نصف المبلغ . اما عن امريكا فانا اعلم انها لن تستطيع معونتى باكثر من ٥٠٠ مليون دولار — كما علمت من الرئيس الامريكى من قبل — على اساس ٢٥٠ مليون دولار للصندوق و٢٥٠ للمعونة العادية مثل تلك التى حصلنا عليها فى العام الماضى [١٩٧٤] .

وطلبت من فورد ان يعمل على تدبير النصف الاخر كقروض طويلة الاجل منه ومن حلفائه وقد قبل الرئيس فورد .

الفضل لحرب أكتوبر

وهكذا كان اجتماع سالزبورج اجتماعا مثمرا وبناء للغاية . فلم يقتصر فقط على جس النبض والتعارف ، بل تخطى هذه المرحلة الى مرحلة الالتقاء فى وجهات نظر عديدة مما اضاف ابعادا جديدة الى العلاقات المصرية الامريكية التى كان الفضل فى عودتها الى مجاريها الطبيعية يرجع الى حرب اكتوبر والمساعى الحميدة والجهود المشكورة التى بذلها الدكتور كيسنجر فى فض الاشتباك الاول .

وفى اعتقادى ان اهم شىء خرجنا به من اجتماع سالزبورج — وهذا ما قلته لحسنى مبارك واسماعيل فهمى — تلك الصداقة التى ترعرعت بيننا وبين فورد : حتى لو لم يتم شىء بخصوص النقاط التى نوقشت . فمجرد الاحتفاظ بامريكا الى جانبنا مكسب كبير فى حد ذاته . ولذلك نبهت الرئيس الامريكى الى هذا واصررت له عن اصرارى على الاختيار الاول الذى يحمل فى طياته التصور الشامل والحل الكامل لمشكلة الشرق الاوسط من جانب أمريكا . وخاصة ان وقوف امريكا الى جانب الحق العربى فى جنيف سيغير الوضع كلية بما يتيح للمشكلة ان تتحرك فى طريق الحل اخيرا . أما اذا نجحت اسرائيل فى ان تجعل امريكا تنحاز كلية الى جانبها فمعنى ذلك أن المشكلة ستتجمد الى ما لا نهاية . هذا اذا لم تتعقد اكثر وتصبح مستعصية على الحل بحيث لا تجرؤ اية قوة فى العالم على الاقتراب منها .

المزايدون العرب

ومنذ فض الاشتباك الاول مع امريكا قررت التعامل مع الاصل وليس مع الفرع . فامريكا تملك مفتاح الموقف كله ، اما اسرائيل فكلها مناهات جانبية وطرق مسدودة . ولكن بعض العرب يزايد عن خبث وسوء نية ، والبعض الاخر يتصرف بناء على انفعال اهوج ، وضيق افق ، وعدم استيعاب لمتغيرات العصر . ولذلك لا يفهمون معنى اصرارى على التعاون مع امريكا فهى تملك مفتاح الموقف كله وفى يدها كل اوراق اللعبة او القضية فى الشرق الاوسط سواء شئنا او لم نشأ ، رضينا او لم نرض . فاذا فشلت الخطوة خطوة يمكننا الذهاب الى جنيف دون شك او تخوف من الموقف الامريكى . وبذلك نمنع الاستقطاب وحالة الركود الناتجة عنه عندما تنحاز امريكا تماما الى جانب اسرائيل ، ويقف الاتحاد السوفيتى الى جانب العرب باسلوبه المعروف .

ومن هنا كان حرصى على ان تظل امريكا محايدة الى الحد الذى تسمح به الاوضاع الامريكية بيننا وبين اسرائيل فى حالة اذا لم نجعلها الى جانبنا . فالنظرة الامريكية عندما تكون موضوعية وغير منحازة انحيازا اعمى كما كان الحال فى سنة ١٩٦٧ وما قبلها وما بعدها مكسب كبير فى حد ذاته وفى اية مرحلة من المراحل سواء نجح كيسنجر فى سياسة الخطوة خطوة ام فشل ، سواء نجح مؤتمر جنيف ام فشل . فلابد وان نواجه مشكلتنا ونحلها طالما ان الله عز وجل قد منحنا العقل الذى نفكر به ، والارادة التى نستمر بها ، والقرار المستقل الذى يمكن ان نصدره دون خوف من احد . فنحن نعرف صالحنا والقرار الذى يمكن ان يصدر عنه .

وامريكا تعلم جيدا اننا خرجنا نهائيا من المأزق الذى وقعنا فيه منذ عام ١٩٦٧ . وبعد اكتوبر ١٩٧٣ صدرنا المأزق بالكامل الى اسرائيل التى اصبحت تواجه بمأزق جديد فى كل خطوة تخطوها . واصبح الانسحاب ضرورة حتمية لا مفر منها بالنسبة لها . وسواء رفضت سياسة الخطوة خطوة كما احرجت امريكا فى مارس ١٩٧٥ ، او رفضت مؤتمر جنيف ، فكل هذا الرفض تأكيد للمأزق الذى عجزت عن الخروج منه .

الأعصاب الهادئة

اما انا فاعصابى هادئة تماما ، وتفكيرى بعيد كل البعد عن الانفعال والتشنج ، وتصرفاتى محسوبة ومدروسة ، وقراراتى حرة وملك يدى بالكامل . وكل خطوة جديدة فى المستقبل هى لصالح وطنى طالما اننا نملك اليقظة الكاملة لكل مناورات اسرائيل وتلاعبها .

وهذا — للاسف — ما لا يدركه المزايدون العرب ، او ما لا يريدون ادراكه . ومع ذلك فانه لا يصح الا الصحيح . والدليل على ذلك اننى نجحت فى كسب صداقة الرئيس الامريكى علاوة على الارض التى كسبناها داخل الشعب الامريكى لدرجة انه عندما تسببت اسرائيل فى فشل مهمة كيسنجر ، **اجرى استفتاء لقياس الراى العام الامريكى . وكانت نتيجة الاستفتاء ان ٥٠٪ من الراى العام الامريكى يعرف ابعاد موقفى تماما . مع انه كان المفروض ان يحدث العكس نظرا لسيطرة الصهيونية على وسائل قياس الراى العام ، واجهزة الاعلام والدعاية .** فيكفى ان تدرك امريكا ان اسرائيل لا تعبأ بالوزن العالمى للسياسة الامريكية فى المنطقة ، بل انها تعمل على تشويه صورتها بوضعها فى موقف الدولة العاجزة عن اتخاذ اى قرار حاسم . وهذا ما يثير حنق الولايات المتحدة وخاصة فى مواجهة الاتحاد السوفيتى .

البيت الأبيض أخيرا

هكذا اصبح البيت الابيض بيتا صديقا لاول مرة منذ عشرين عاما من العلاقات المتوترة والمتدهورة والمقطوعة بين مصر والولايات المتحدة الامريكية .

ولم يكن الطريق الى البيت الابيض محاطا بالورود ، بل كان ملغما بالاشواك والمتفجرات . وللحقيقة والتاريخ فقد اثبت البيت الابيض نيته الطيبة من خلال مساعيه الحميدة وجهوده المشكورة لنزع الاشواك والمتفجرات . وكان عند كلمته دائما احتراما لمكانته العالمية . وكان من الطبيعى ان نقابل هذه الروح الطيبة والمساعى الحميدة والجهود المشكورة بكل ترحاب من جانبنا .

وبذلك اصبح الطريق الى البيت الابيض طريقا مأمونا بعد ان طهره الجانبان : المصرى والامريكى من كل قطاع الطرق الذين اغرمت اسرائيل بارسالهم من حين لاخر ، وبثهم على جانبى الطريق حتى يقضوا على كل احتمالات اللقاء بين جمهورية مصر العربية والولايات المتحدة الامريكية .

ولقد كان اول اتصال لى كما قلت بالرئيس الامريكى بعد انتخابى رئيسا لمصر اقول كان اول اتصال لى مع البيت الابيض يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ اى بعد ولايتى بشهرين وقلت يومها فى رسالتى للرئيس نيكسون ضمن ما قلت فى رسالتى أن لكل فعل منكم رد فعل منا فان كان خيرا خطونا نحوكم بالخير . وان كان سيئا رددنا عليه بمثله .

ولقد خطا البيت الابيض خطواته بالخير بعد اكتوبر المجيد .. وسيكون ردنا بالزيارة للبيت الابيض وكلنا ثقة بانفسنا بخطوة اكثر خيرا ..

هذه هى مصر العربية الخالدة .. اصالة وصلابة وايمان .

○ تم ماسمح بنشره من المذكرات ○